

الهيئة العامة لقصور الثقافة

الفهرس

المجلد الأول

الكتاب الأول

متاهة الجسد

الكتاب الثانى

أشياء صغيرة

تقاطعات

غناء فردى

سلام عليكم

رغبة تحت شجرة الدردار

انتظار

تخطيطات

انكشاف

زيتونة

امرأة

السيدة/تساؤلات

أغنية صغيرة دافئة

تماثل

رمل

مزج

ثنائية

طلقة

مشهد

موسيقى أزهار فاضل

ثنائية

أبو حيان التوحيدى

الغجريـــون

الوعل

المغـــوليون

متاهـــة الجســــــــــد

الأعمال الشعرية

1975 – 1988

إهداء

إلى أمي

هأنذا قد أعددت المائدة

هكذا تتسلح ضد الموت

ضد مرارة الجسد

ضد الإهمال

والندم

ايلوار

الجسد لفظ والروح معنى.

ابن عربى

لا تقل إن كل هذا خيال وضلال

فليس فى العالم خيال بدون حقيقة..

جلال الدين الرومى

(ضعف الطالب والمطلوب)

قرآن كريم

واردات الوقـــــــت

قيل لها: أهكذا عرشك. قالت: كأنه هو...

قيل لها: ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها.

قرآن كريم

فصل

[1]

ليكن ...

سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى وأقيم فى الفضاء صلواتى

إلى أن يحل الليل رموزه فى غابة النهار

ويحل النهار شفرته على مغاليق الليل..

سأتبع امرأة ما إلى بلد ما وأكون بمثابة الشكل للمعنى

سأدخل الحديقة أولاً

وأقف على سدرة الرأس وأتنفس ما بين النهدين هواءً صافياً

وأقيم بناءاتى ما بين النهد وشريعة النهد

وأؤذن للصلاة من غسق الليل إلى مطلع الفجر.

فصل

[2]

هل يغسل النهار قدميه فى جسد الليل

أم يتمدد الليل فى حديقة النهار ويظل هكذا نائماً عرياناً

النهار يقول لليل: أنت قبضة فى يمينى

سأشرق عليك بنوافذى

وأفتح عينيك المغمضتين وأرتب أمراً ما

وأجعل كل جزىء منى

يقف على حقيقة كل ذرة منك

هنا سأبتكر لك كلاماً ما يليق بك

فابتكر لى كلاماً

يليق بى

وأخرج من معناك إلى فوضاى

ومن فوضاك إلى معناى..

فصل

[3]

هل أحمل فى يدى مشكاة وأقف على بوابات جسمك

وسراديبك وأتسلل من بين عساكرك وأعضائك عساى أحيط

بك؟!

النهار يقول لليل: لماذا يقف الخيط الأبيض قدام الخيط الأسود

وينازله؟ ولماذا اختلط اللونان؟

أأنت معني

وأنا معنى؟

ما هو معناك إذن..

وما هو معناى؟

الليل يقول للنهار: أنا من طينة وأنت من طينة أخرى

أيها النهار: سأقف على قيد ذراع منك وأنازلك وأفصح عن

هيولاك

إذن..

أعدك بالمحو كما تعدنى بالصحو

أنا سكرك وأنت إفاقتى أيها النهار

سأورق على تخوم شمسك

أنت من رعاياى

كما تعدُّنى من أتباعك....

فصل

[4]

ليكن...
سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى
وأتبع امرأة ما إلى بلد ما..
وأكشف عن حصى الرغبة على حصير الجسد وأوسِّد الشهوة
مفاصل النساء
وأفك كل حرف من حروف الأبجدية بقبيلة منهن وأقيم بين
كل امرأة وجسمها أعراساً
وحقلاً من الرجال يزرعون دأباً فيحصدون ويحرثون من أول
الليل إلى آخر النهار عندئذ
سأقول للمرأة هيئى عرشك لى
فتقول: بخ.. بخ.. هييت لك ما أجملك!!

فصل

[5]

أنا أول الحرف

وأنت آخر الكلام..

أنا أول الضوء وأنت آخر الظلمة

أنا الأبد والأزل وأنت اللحظة المجزوءة لاغير

أنا السدرة وأنت الهاوية

دعنى أكشفك لى وأكشف لك عنك فأنكشف أمامى أنا المعنى

وأنت شكل المعنى

قلت أستخلص من النساء واحدة وأزين بها عرشىَ فلا أبالى

بالليل

ولا أعبأ بالنهار

حيث الحياة رحلة دائمة إلى الموت الدائم

والموت رحلة دائمة إلى الحياة الدائمة/

هى مركز الدائرة

وأنا نقطة على المحيط..

هى المجرة السابحة فى الفضاء الغويط وأنا الجزىء الغُفل

هى رمز الصيرورة

وأنا زمن التلاشى.

فصل

[6]

هناك..

حيث يرقد الأزل فى بحر الهيولى والكائنات بلا اسم ولا رسم

وبلا شبح

أو صورة

حيث كل شىء كأن لم يكن

هو العدم فى مجرة اللانهاية إذن... آ... آ...آ

حيث الكاف خارجة لتوها من الظلمات

ومتوجة بالإرادة والرغبة

حيث الزمن لا شىء

والمكان لا مرئيات.

سأقول للريح أن تنكش البيوت والشوارع وتطفىء المصابيح

وسأحترق بالرماد يوماً ما

وأصلى على جثمانى صلاة دائمة حتى أرى القمر بازغاً

فأقول له:

أأنت هى؟؟

فصل

[7]

عينها بحيرة ساكنة

وجسمها براكين...

صدرها مجرة مكشوفة ونهدها أغادير

جذعها نخلة ضارية وبطنها فتوحات

وما بين النهد وعريشة النهد تكون سموات وأرض برمل وأشواك

وعلى ساحل النهد تكون غابات بها الوحوش حشرت

ومن الأحراش ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

وعلى جزيرة الجسد ترتبك الذاكرة ويبحث الزمن عن اكتماله وفوضاه

هل يكشف الزبد عن سره

وينقبض البحر إلى نقطة فى الدائرة؟

أرى شجرةً زاكية تخرج من فوضى الجسد وجذع المرأة فأظلل

بها وأكلل بها وقتى

إلى أن تُرِيَنِّى من الحال والكلام ما أخوض به لجة الجسد ومحار الحرف

وأنجو من الموت فلا أطفو إلا على ساحل الجسد أو أموت ولا

أخرج منه إلا إليه

عندئذ

أشرق بنور شمسى على بحيرة الجسد الخضراء وأتهجى حروفه

وأفك مغاليقه وطلاسمه.

فصل

[8]

ألمس حصيرة الجسد فأجد فضاءً شاسعاً

يفصح الجسد عن تأملاته وأقاويله

فأنفض غبار النوم وطراوة الأعضاء وأقعد تحت شجرة الجسد

وأرتكز على منعطفاته

ودروبه

وأفتح باباً ضيقاً حَرِجَاً لا يفضي إلا إليه

هو بمثابة الألف

وأنا بمثابة الياء

هو بمثابة الحركة

وأنا بمثابة السكون..

كيف أستعين على الجسد بالمجاهدة والكتمان حتى يكشف لي

عن سماواته

وعدد نجومه وحصى طرائفه

للجسد/إذن/أبواب سبعة وسماوات غير مأهولة ولا دانية

وما بين سماءالجسد والجسد مثلما بين الموت والحياة من حقيقة

ومعنى.

فصل

[9]

أنكش الجسد بحصى الجسد
فيتذرع بحركاته وسكناته وأقف أمام بوابة الجسد فارغاً وأتكىء
على جسمي بالصبر وعلى أعضائى بالبلوى وعليها بالمراوغة
والتسليم حتى أقبض بيدى على شىء منه
هل هى بداية المحنة أم محنة البداية؟
سأنشق إذن على خيانات المعنى وأرتكب خطيئة المجاز وأتوقف
قدام حبائل الصورة ودهاليز الاستعارة
وأعود صاخباً
أدفع الزمن أمامى كالعجل المقدس
وأسوقه للذبح عصر كل يوم
وأتخلص من بقية الرطوبة الأولى
وأحبس التخيلات فى قفص النيران
وأدخل جزيرة الجسد متوجاً بالوقت
والإقامة.

فصل

[10]

سأبتكر خبر اللغة
وأكتب عن تفاصيل الجسد وأقاليمه
سوف أخرج من فضاء الفاصلة إلى النقطة ومن النقطة إلى زمن الفاصلة
ولا خوف لديَّ على المعنى
سوف أعبر تحت ركام العالم ومماواته وأتوكأ على حضارته المنتفخة ومخاوفه
طوفانى يغلب كل شىء إذن
فلا أسير إلا وفق هواء الرغبة وفوق تخوم المعرفة
يحلو لى أن أجد فراغى فى الفراغ فأدشنه بخرابى وانكساراتى
يحلو لى أن أتحدث إلى اللغة دون كلمات
وأربيها تحت سقف بيتى كالقنافذ
الهواء جزيرة صاخبة من عالمى الذكورة والأنوثة
وفيه يتمرأى ميثاق عالم الذر وهيولاه بين كينونة الكاف وثبوت النون
– حيث للكمون وقت وللظهور وقت آخر...
الصورة تشكل المعنى
والمعنى هو قلب الصورة وجوهرها بلا منازع.

فصل

[11]

قلت: سأتخذ سبيلى فى البحر سرباً ولا أمكث إلا فى الحرف
فلا أختفى إلا بين الرسم والإسم حيث أجدنى قائماً أصلى أمام
جسد امرأة واحدة
إذن سأعود للوراء
إلى الأبدية
حيث كل شىء فارغ إلا من معناه
إذن
سأخترق تخوم الزمن وأسحب كرسى إلى الوراء وأنزل إلى بئر
الأبدية الفارغ وأنزع عن الغلاف قشرة الموت والحياة
وأفتش لى عن صورة هناك...!!

فصل

[12]

واقف أنا/ أتحرك حركة طولية وعرضية فى نفس الوقت/بلا
رسم ولا كثافة
أجمع ما أشاء من المعرفة وأتحرك حركة هلامية تقطع الأبد
والأزل فى لحظة
وأتنفس هواء الحرية الأولى ولا ذاكرة لى
تنفتح السماوات أمامى فألفها بشريط أخضر وأخرج من
الناحية الأخرى
حيث الفراغ الغويط فأدلى ساقى
وأدحرج الأرض بقدمى وأتعلق فى قصبة الهواء العالقة.

فصل

[13]

إنها المرأة

تنزل بى من جثث الوقت إلى أرائك الخلوة وليونة العشب

وارتطام الحكايات

إلى حيث يفضى النوم بى عند حدود المعرفة وفناء السوى

أكتب عن قصب الجسد وليمون الرغبة وحشائش العرق النازل

على سلم الظهر

ومن سلم الظهر إلى بقية الأطراف وأنسجة الأجنحة

أكتب عن توهجات الأشعة وزوال ما يسمى بالليل فى دائرة النهار

واختفاء الشمس والقمر عند تلاقى الجسد بالجسد

وعلى غلاف الرغبة أفك طلاسم سحرنى وأنصب خيام سحرى

وأنتظر أوقاتى

وأقيم أبنيتى إذ تتداعى.

فصل

[14]

أكتب عن ملامسة الخلية للخلية

واكتشاف الحكايات بما لها عند كل ذكر وأنثى من تفاوت

وأشتعل بفصوص العشب وعناقيد الرغبة الخبيئة المحتدمة عند كل طرفٍ

وتحت كل ثنية أهز كلماتى فينفرط عقد لسانى ويشى بى

أمام كل رجل وامرأة وعند كل صاحب طريقة وفى كل مقام

وعلى امتداد كل زاوية أقيم صلواتى ونسكى وأقول: هنا

محياى ومماتى

وعلى مشارف النشوة لا أفكر فى النوم ولا أعبأ باليقظة

فقط أكون هكذا:

عينان زائغتان ولا تستقران على شىء

وما بين سماء الإبط والإبط تقوم مدائن الأولين والآخرين بما

فيها من نمارق مصفوفة

وأحجار كريمة

وأنهار من عسل مصفى هو لذة للشاربين

فلا يدخلها إلا إياى.

فصل

[15]

أكتب عن تلاشى الذاكرة وفيوض الأشياء
عند فيض كل رجل على امرأة بعينها وفيض كل امرأة بعينها
على سلالة بأكملها
أكتب عن ملامسة الليل للنهار
وملامسة النهار لليل
حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود وأنا قائم بمشاغلى
أكتب عن انسلاخ البدن فى أقصى البدن
وتكاثر الأرض على شفا الجسد
وأبحث عن امرأة أخرى
بها ما فى الأولين والآخرين من تفاوت هو المعنى
ومن معنى هو الأزل والأبد
ولا فرق لدى إذ يختصمون فيها وأنا أسمع وأرى..!!

فصل

[16]

أقبض بيدى على غصن سماء نازفة وأتوجنى شيخ الوقت

أتشبث فى دائرة الرؤيا وأداوم معراجى صوب مقامات الحال

ألامس غابة أشجار من مرجان

وأفض بكارة أنهار من ياقوت

وأفوض نفسي ملكاً للآلهة الصغرى

هذى المرأة صاعدة من أبخرة الروح

إلى جنات الأنس

شفتاها آخر ما أخرجت الأرض من الضوء

عيناها لؤلؤتان

اختبأ الوقت بداخل إحداها

والأخرى جمعت ما فى الأرض من المأوى

كيف أرتب أشجارى فى طاولة الأمس

وحالى ممتد عبر الوقت

وكيف أمد جسورى لسماء نازفة..

وأداوم معراجى صوب مقامات الحال؟

فصل

[17]

إنها الذاكرة

تشعل ما يتبقى من الليل فى غابة النهار

وتشعل ما يتبقى من النهار فى غابة الليل وهواجس الأمهات

ها هى ذى عربات اللذة آتية من خلف بوابة الجسد

وعليها من الصهد وكلام النهار ركام

ونتوءات

لتنصب توهجاتها تحت خيمة الجسد وعلى امتداد أراضيه

ومشارف سماواته

وتقيم تفرعاتها

واحتفالاتها

فوق شجرة وحيدة تسمى الرغبة

وهى مواطن الألوهة

ومنابت الشمس ومنازل القمر.

فصل

[18]

كيف أكتب تواريخ الجسد وأضيء به شجر النهار

وأزرع بين كل جسد وجسد

جزيرة

من الدم المسكون بالتنزلات الليلية والوصل

وأصلى صلوات لا أول لها ولا آخر

ثم أسجد سجدة طويلة بهية فلا أقوم بعدها أبداً حتى أرى

الجسد بازغاً

إنها الذاكرة:

طوفى – إذن – أيتها المراكب الراسية عند خلجان الجسد واعبرى

حاجز الوقت

وتطوحات القيام والقعود إلى أن أخرج من برزخ النوم

إلى عتبة اليقظة

واهدئى.

فصل

[19]

اهدئى عند خليج يقال له القيامة

وأمام بوابة واسعة

يقال عنها الأرض

كى أقول للجسد: أنت سيدى

وللأرض:

ازحزحى قليلاً فسوف أهبط عليك بأسمائى وشاراتى

إلى أن تقوم الروح بازغة

وبها يعرف الليل طعم النهار ويعرف النهار أنوثة الليل

فأهتف:

أيها الجسد: أين حدود السماوات والأرض

أيتها الأرض: ما هى حدود السيد الجسد؟!

يعرف الليل شكل الأمكنة ومخابىء النهار

ويعرف النهار خطى الليل

فهل يعرف الجسد شكل توهجاته وعدد أوديته فى الليل

والنهار؟

إنها الذاكرة.

فصل

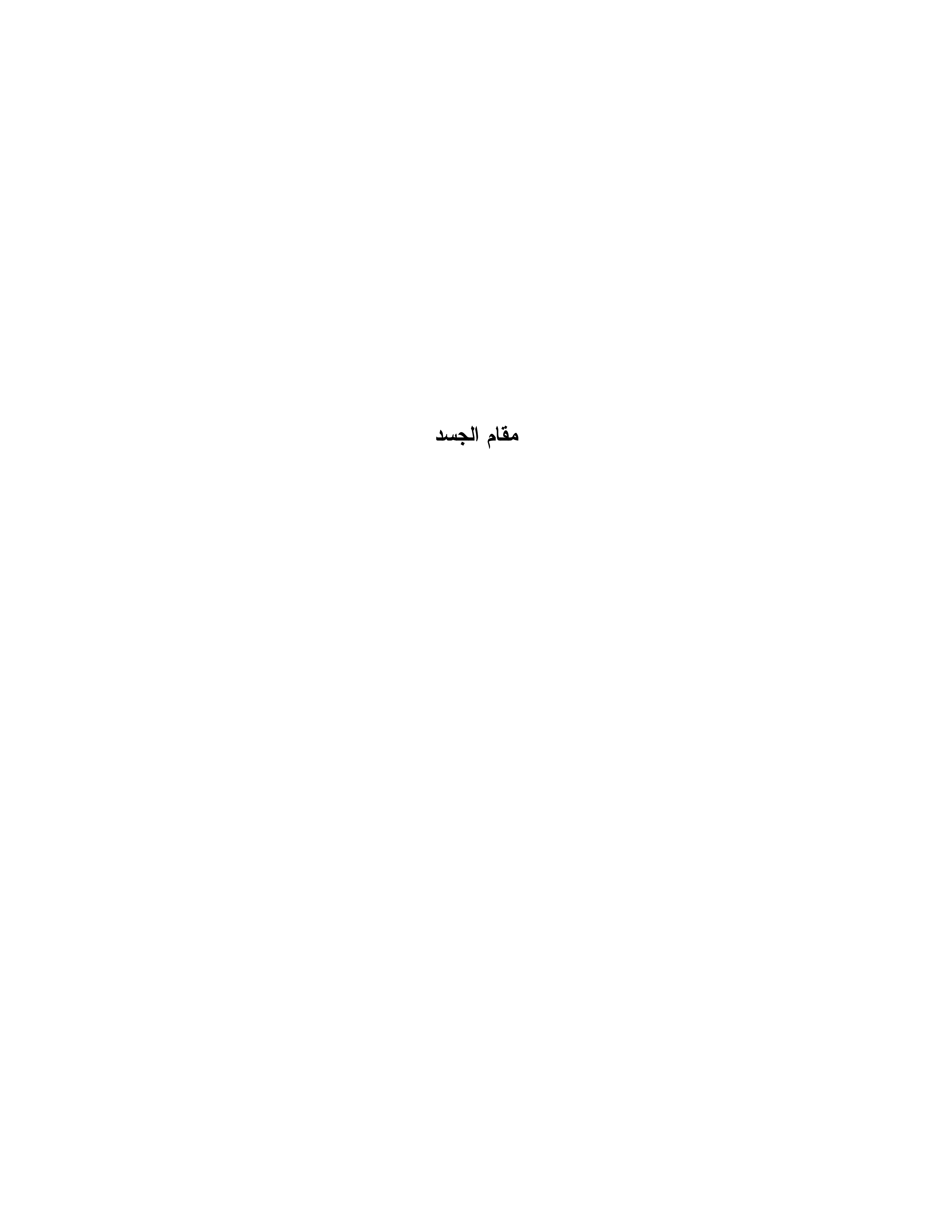
[20]

ليكن..
سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى
وأمد يدىَّ فى هوة الجسد وأقترب من قارورة الروح
ليكن...
سأفتش فى أرض سبأ عن امرأة أخرى تسمى بلقيس
وأسأل عن (وضاح)
(وديك الجن) وعن هدهد سليمان
وأقترب من حقيقة امرأة ما وأسأل عن صنوبرة الجسد
وزهر النهدين وياقوتة الإبط
واكتناز الصدر واكتمال الأعضاء على أبهة الضوء
وليونة الردفين
وما بين الفخذ والفخذ
من جنات وأقانيم...!!

فصل

[21]

كيف يكتب الجسد رموزه ويطلق حشائشه ويدون ما له من أسماء
على مرايا جسد اخر؟!
تخرج الشمس فى الصباح لامعة ومتلصصة من تحت سماء الإبطين
وتتجول بحرية فى حديقة الجسد النائم
وتفرز رغاءاتها على شعر امرأة نائمة
فى حديقة رجل نائم
عند تلاقى الليل والنهار على خريطة الجسد
كيف تكتب الشمس عن زوال الليل في دائرة النهار
وتؤرخ لانكسار النهار
على صفحة الليل؟
يهبط الليل من شرفة فى الفضاء
ويتوكأ على عدد من النجوم حيث السماء شآبيب من الضوء
والغيوم قطعان ترعى فى اللا نهاية
والزمن مرايا ونواميس!!
آه
ليكن...
سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى
وأتبع امرأة ما إلى بلد ما.



مقام الجسد

فصل

[1]

إنه الجسد

يشرح لي طريقة قيامته

وعدد صلواته فى اليوم والليلة وأهيىء له نفسى

والأرض

تنفرج عن أيقونة الجسد

بلا منازع أو قوة

كيف أعلن عن قيامة أخيرة وأصطفى من النار لغة

وحيدة

لتكون مقامى

أيها الجسد:

اخرج علىَّ من مكمنٍ ضيقٍ حرجٍ

وتصبب علىَّ

كاليواقيت

وتشبث بجنازاتى

وقل لى: أنا الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ

ولا تقل لى:

أنا أنت أو أنت أنا

فبيننا علامة

ومواثيق على ما نخفى وما نعلن.

فصل

[2]

أيها الجسد:

كيف أصطف فى حواريك وأصطفيك فلا تخرج علىّ الوحوش

بغتة

فى وضح النهار

والناس نيام

وأنتظر مقدم الموت فلا أخاف

وأخلع عليك من أسمائى وشاراتى

ماتنوء بحمله

وكشفه

وأتوكأ على مفاتيحك لأعرف ما بغرفك من هدايا ونواميس؟!

عندئذ

أقترح عليك عدد صلواتىَ فى اليوم والليلة

ولا أبالى

أأنت عارف بها

وطاقتى لديك مثل حبة من خردل وربما أقل

وأتشح بك فى كل واد تقيم فيه

ضيفَ سفرٍ

ورفيقَ وحشةٍ

وصاحبَ مقام.

فصل

[3]

هل وردة أنت يا سيدى الجسد؟!

أم طائر يلتف حول رقبتى وعنقى؟!

أتمدد بين ذراعيك كالجوهرة الزائفة العتيقة

ولا

أفتش عن رقدة لى

وأحتسى شراب النبيين والفقراء

وأفر إليك كالضحية.

فصل

[4]

لا تخرج علىَّ أيها الجسد

فجأة

وحولك الحرس الطائف فى المدينة يسعى ويفتش عن كل غيابة

وينقب عن كل صاحب جب

أنا الخائف المترقب كل جنودك

وعساكرك

وأقطارك ملآنة بالعبيد والجوعى

من كل فجٍ عميقٍ

وعلى كل شكلٍ ولونٍ

ومن كل جنسٍ

وديانةٍ

فكن رفيقاً بى

أليست لديك رغبة فى البوح والشكاية لمرة واحدة

أليس لى عليك من سلطان!!

توضأ بجانبى!!

وصلِّ علىَّ صلاة مودعٍ

واحفر – لى – حفرة عميقة عرضها السموات والأرض كى

أتمدد فيها

وتتسع لرقدتى

ولأوقاتى

ولأنام نومة بهية بهيجة فلا أبحث عن قيامةٍ ثانيةٍ

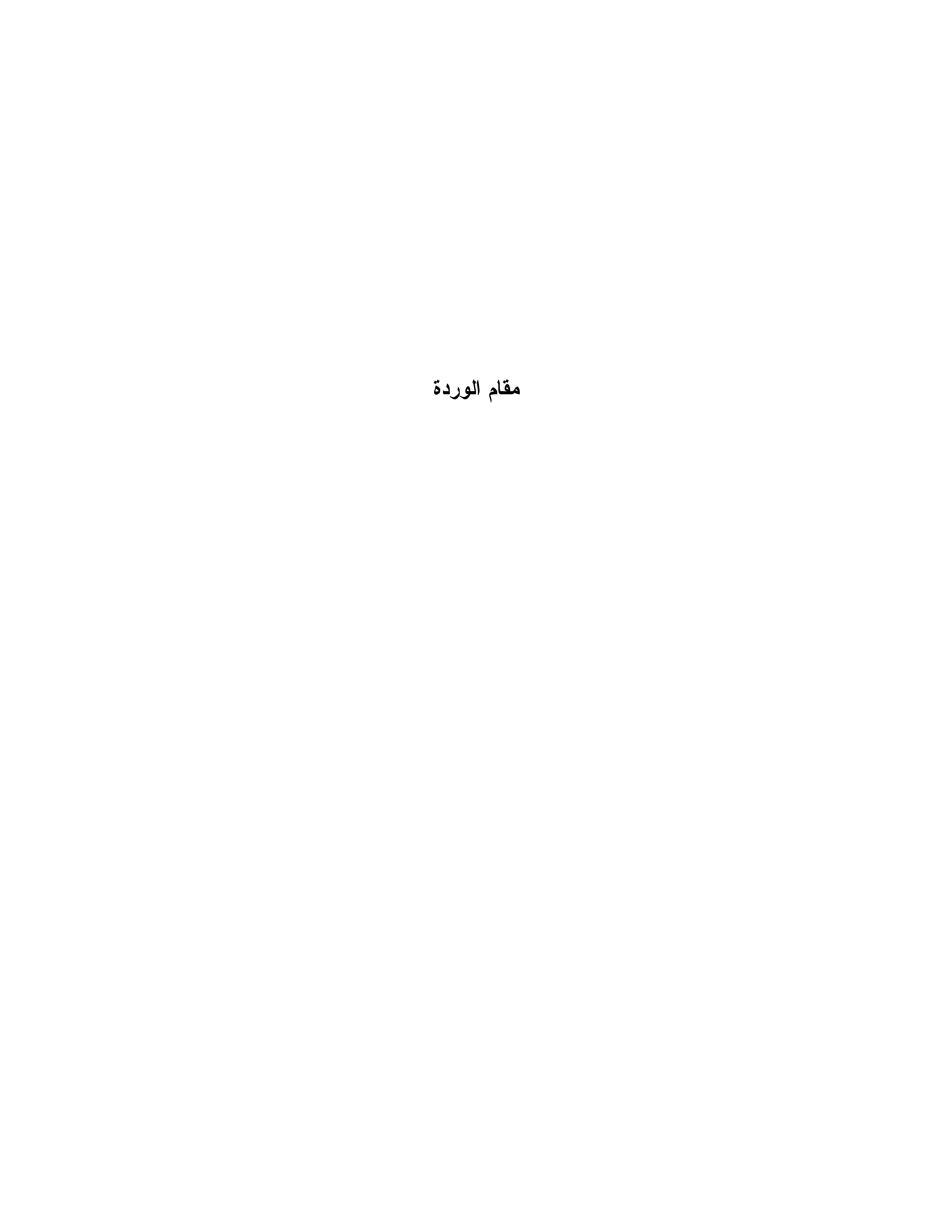
ولا أحصى عدد قتلاك

وعميق هاويتى.

فصل

[5]

أأنت فرح بهذا أيها الجسد ومأخوذُ
فلا يُخاف عليك
أو يُغار منك؟!
إذن
سأناولك أوجاعى
فناولنى إذن خياناتك
ولا تخش علىّ من الغرق والفجيعة
أيها الجسد
كيف أصعد إليك وأنزل
وأصطاد سمكك الأخضر المتوحش بالشصَ
ولا أنتبه إلى الغرقى
وهم كثيرون
أيها الجسد
كيف أفك رموزك
وأحصى عدد كلماتك وكمالاتك
أيها الغامق المصقول بالوجع والخيانات
أأنت غامض مثل الوردة
ومفتوح كالهاوية؟!



مقام الوردة

فصل

[1]

الوردة طائشة وبغى

أصحبها

من حيث اختلف الندمان – إلى طاولتى – فترد السهم المقذوف

إلىّ

وأودعها سرى فتذيع السر

وتكشف عن عريىْ قدام خفافيش الروح

فهل تملك أن تكشف عن سوءة بدنى المفضوح

أمام غوايتها

وتعود فترتاح على!!

الوردة طائشة وبغى

أيتها الوردة

كيف أعلمك الأسماء

وأنزل خلفك دهليز الموت الأرضى

وأصعد نحوك مثل الفرح النائم

خلف مقاصير الماء

فأنتبه إليك ولا

تنتبهين إليّ

هل وردك قتلى

وحروفك آونة أخرى

وسماؤك

طاولة للأغراب

وفى أرضك فرسان يقتتلون إذا جن الليل عليك

وحين يفرون يغيرون على؟!

وأنت كما أنت تروحين وتغدين

وفي آخر منعطفاتِ – الروح – تقومين هنالك

مشرقة

ومفارقة

مثل نبى.

فصل

[2]

أيتها الوردة

من علمك الأسماء

وأعطاك اللون السرى

وهيأكِ

وسوّاكِ

إلى أن يرث الله الأرضَ

على طاولة الروح

لماذا أيتها الوردة

أنكشف عليك

ولا تنفتحين علىّ؟

فصل

[3]

أيتها الوردة
حين أتيناك سألنا صاحبة الحقل
هل عندك ورد حتى نتملاه
أو نحرسه
أو حتى نعنى بسقايته
فأجابت صاحبة الحقل
وردى لا يصلح للندمان ولا ينكشف
وردى نعسان بين غلائله
لا يمكن أن تلمسه كف!
قلنا يا صاحبة الحقل
ائتنسى واحدة حتى نرعاها بسقايتنا
فأشارت نحو القائمة هناك على طرف الغابة
عنق من عاج
أوراق من ماء أجاج
وخيوط من ضوء غماز وهاج
ورحيق من زبد يتصبب فى كأس من زبد أخاذ رجراج
وسماء تتدلى ناحية الوردة
فتحاول أن تلمسها
لكن ذؤابتها
تتنضد عن شمس متبخرة
فى نهر غناج
مهتاج
قلنا يا صاحبة الحقل
الوردة قائمة فى أقصى الحقل وها نحن نعانى
من جرح الوردة
هل يمكن للوردة أن تتجرح على شريان الوردة
حتى نحصى قتلاها أو نلمسها؟!

قالت صاحبة الحقل

الوردة شوك

والوردة شوق

الوردة توق

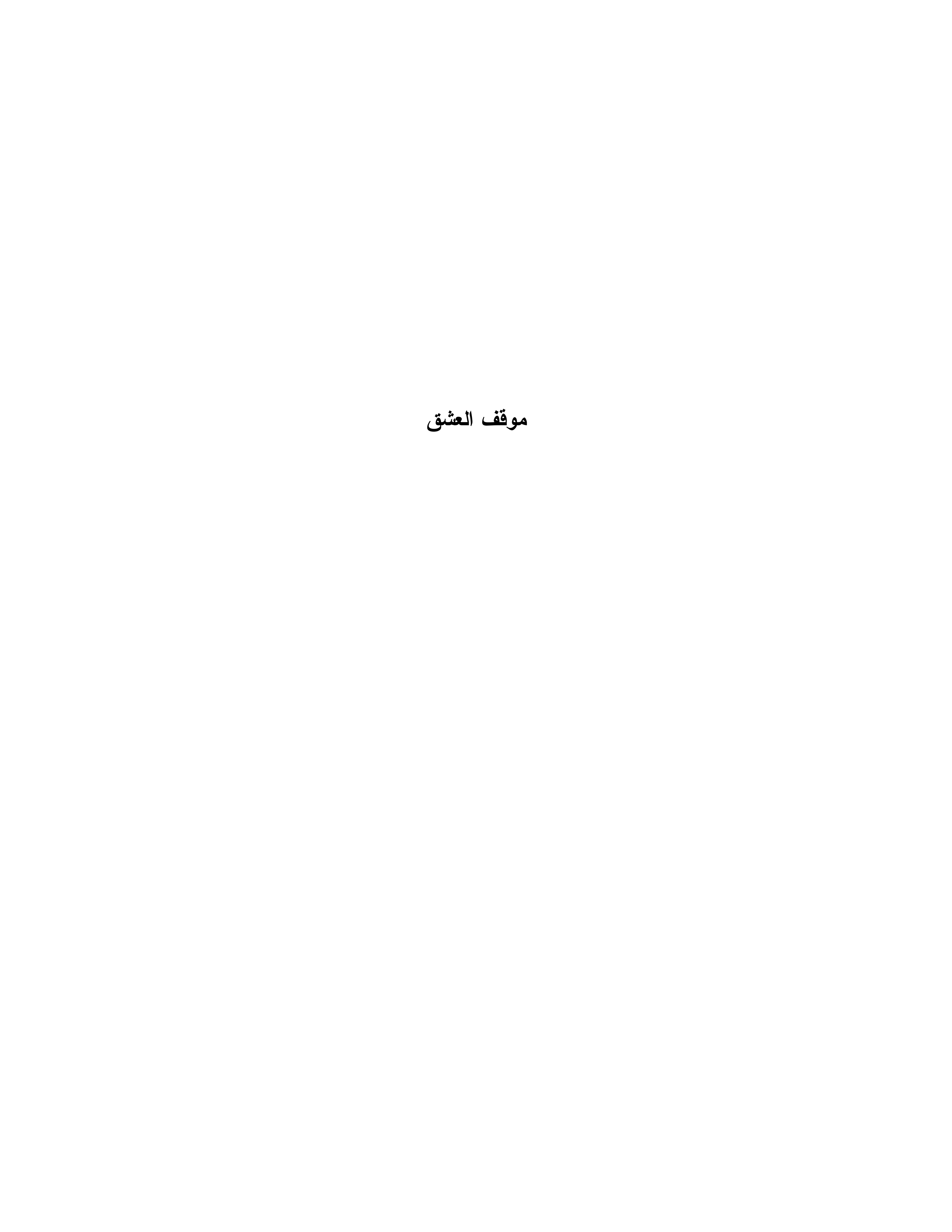
والوردة فتك

وأنا

أنا وردى

لا يصلح لمصاحبة الندمان ولا ينكشف؟

فهل يمكن أن تلمسه كف؟!



موقف العشق

أ- قبض

[1]

امرأة غازلت ثوبها الورد ثم استوت فوق سجادة

من جسوم الزنابق

والقز

بعض الأيائل – ترعى فرادى – بقمصان أشجارها

هل لها من عشيق سواى بهذى المدينة؟

من يرسل الطير – محتبساً – فى انطلاق الرياح

السوانح

ثم يعود وصافاته كالغزالات

يرتعن فى البيد

والجبل الصائف المتخضر

قرب ذراها

وما هالنى بعض هذا الذى هالها

اتخذت لها شاهداً من مقامات موتى

وصلبان بعض العذارى

وأكملت أركان وقتى بأسمائها

ثم قلت

لعل الذى دَلَّه دُلِّه..!!

دمى باسط جرحه فوق أعجازها أو سلالاتها

مرة

كاد يخدعنى فانقبضت كحرفين مشتبكين

ونمت طويلاً على العتبات الصقلات ثم بكيت

أذى دارها؟؟ واقتربنا؟؟

فصل

[2]

تلنى للجبين هواي فصحت وصاحت

خيول الرمال الظميات جاءت وأرخت أعنتها قرب أعتابنا

فاشربوا

وامكثوا فى المضارب بعض العشيات أو فاشعلوا نارها

خلفها كان سهل من الماء يعلو

وكنت رقدت طويلاً على بابها

فمن ذا الذى جاءها والنجوم انطفت

وكانت تغلِّق أبوابها

قلت: موتى وشيك بأعتابها

دلنى صوت طير يطير قريباً على مرقد من حرير وخز

أكنت انتظرت طويلاً؟

ونقر خفيف على الباب من؟!

قلت: هيا افتحوا وامنحوا للغريب المسافر بعضاً من الزاد

مازادنى بعض هذا الذى زادها

قلت

أحمل صرة موتى وأرحل

علّ الذى صده صدها.

فصل

[3]

كان طير يحلق فوقى ويهوى قليلاً ليمسح فوق جناحى
طيور من الضوء خضر تتابعنه
فمن ذا الذي دلها؟
ربما طافها طائف واختفى
فاختفت كالنجوم المغيرات هذي اليواقيت
من ينقذ العير رحلتها أوشكت
وحادى القبيلة قد خاله الخيل أو خانها
– خلِّه يستبين مواقعه –
فالشعاب مسالكها أدلجت
والمهارى السلالات فرت كخطفة برق
وهذى الأيائل ضلت طرائقها بين شعث الجبال
وصفر الشموس انتهى وقتها والرَعاء انتهوا
قرب ورد شحيح
وهذي الغزالات ضامرة
نالها بعض هذا الذى نالها
ثم كنت هناك إلى سدرة لم ير القلب فيها سوى ذاته
فانحرفت يميناً وحاولت أنظر
لم أستبن أى شىء وحاولت أسمع
فى الأذن وقر
ترى ابيضت العين مما بها أو رأت؟
ما الذى أشعل الرأس شيباً؟

فصل

[4]

وكنت انحرفت يساراً

صرير الحروف أصر

وأصمى الصِّبا والصَّبا

ثم غشَّى علىّ

أجرنى

– سلام عليك وحين ولدت وحين تموت وحين ستبعث حياً –

وراودنى القلب عما به

فاستجرت بأترابها وما جارنى أى شىء

رأيت دمى سائلا فوق صدرى

وخصبت أطرافها

كم تبقى من الموت

سهماً رميت وما قد رميت أصادت سهامى أم صادها؟

فصل

[5]

قلت: أرحل خلف اليمانينَ

ركب.. وعيس بأطراف أجفانها

أو رمتنى بلحظ من النار كالمهل يشوى الفؤاد ويترك فوق الأعنة

آثارها

ليتها

من لها فى المدينة غيرى؟

وأدلجت فى الليل

تحتى يئز الحصى

والخطى شابها بعض هذا الذى شابها

ثم طال السُّرى والثرى – كالثريا –

وزالت عن الحى بعض النجوم

وأوشك ليل السُّها فى السَّها

ثم همت بنا

وهممنا بها...!!

أوَ كان الذى همنى همها؟؟

فصل

[6]

ربما

ويا صاحبى: ارفقا... أو قفا.. وابكيا.. واشفقا

وانزلا عند ربعٍ قديمٍ

وقولا لها

أقيمى هنالك بعض الهنيهات

هذى الديار بها ما بها

فالنوى

والنياق

وخضر الخيام الكثيرات من ذا يقلِّع أوتادها؟

قلت

يمم

– تيممت – ...

حتى استوت فى الظهيرة أقمارها.

فصل

[7]

ثم كانت شقائقها كالدهان

استرحنا قليلاً من السير فوق التراب

وصعَّدنا نحوها خطوها

أطلت مع الغيم عين المها

كان قلبى كليماً

وليلى كليماً

وخطوى كليماً

أكنت كليما – بساحاتها – ثم كانت كذاك من الوجد كلمى

أهذى سليمي تشقشق؟ أم ذى مها كالمها؟

هل ستفتح؟ أم ستغلِّق أبوابها – دونها – ؟

كان قلبى لها

فصل

[8]

ثم أُذن فى العير

هبت رياح على الأرض صفر وأشعل بعض السُّرى ليلها

وارتحلنا

ارتحلنا وكنت أجفف قلبى

دمى كان أحمر مثل الشقائق

هل سيقود إلى بهوها؟

يا لها

هل لها من عشيقٍ سواى بهذى المدينة؟

يا ليتها

كم تبقى من الوقت؟

ما دلنى غير برق يخصِّف أقمارها

هل ترى برقها؟

حمحمى

أوقفى قرب هذى المضارب بانت سعادُ

أهندا ترى أم تُرى ما دهى؟؟

ب– فيض

[1]

قطرتان
وينفصل الضوء أو يعتم الأفق شيئاً فشيئاً
ويلتحم الجسدان
على ساحل الأخضر المتوقد
والأبيض المرمرى
الذى يتكسر فوق سهول
من العاج
والآبنوس
وبحر من الحمرة المطلقة
هدأ الضوء
فانسحبى يا خيول الرماد
امسحى عنك بعض التوقد ثم اصهلى مرة
مرتين
ثلاثاً
وعشراً
– فهل يتبين خيط الفجر الأبيض من خيط الليل الأسود
أو تصَّايح بعض الديكة معلنةً
عن بدء صباحٍ
مملوءٍ شغفاً؟

فصل

[2]

كنا استرحنا قليلاً على الورد

ثم استوينا على العرش

فوق الأرائك معقودة بالنجيمات

وانفلق البرق من فوقنا خصلات من الضوء

هل تستريح التويجات فوق أسرة أجسادنا لغة تستقر على

صدفات المحار

نخيلاً

وزيتونة

وحدائق غُلباً؟

أهذى الفرشات وعل يطارد وعلاً

ويربطه فى خيوط من القز واللون

سرب من البقر الأبيض المتوحش ينحل قرب العشيبات آنية

من زجاج

– ولؤلؤ منثور –

على جبل شاهق من زهور وماء؟؟

فصل

[3]

من يشعل النار فوق خرائط أجسادنا زبداً يتطاير فوق حدائق

أجسادنا

خمرة

تتقطر أو تتعصَّر؟

هذى الفراشات – جامحة – تتعقب بعض الأيائل

وهى تفر إلى السهل

– مفجوعة –

تتربص بالغور والظل فى الشمس

هل تتنكر للرمل ألوانه؟

فصل

[4]

حداء

آ...آه... يا قاصراتِ الطرفِ وياذواتِ الأكمامِ..!!

اقتربن دمى يحترق

واغتسلن أمامى عرايا

ولا يحجبكن عنى إنس ولا جان

لا صلاة.. ولا حياة

لا فلاة...

ولا موت

يا قاصراتِ الطرفِ

ويا ذواتِ الأكمامِ

اجعلننى أتمتع منكن بالغناء

وانشرن بهجة أعضائى على المنائر القديمة والقلاع العتيقة

كى تهتدى السفائن لى

وتحط طيور النوارس المجهدة على ذؤابتى

وقمم ثلوجى المشتعلة

حتى يأتى قمر أخضر – ضال – فيهتدى لى وينير ممراتى الضيقة وبدنى المعتم

ليكشفنى أمامكن.

فصل

[5]

آه

فضة أصواتكن مرايا وأخاديد

خدوركن هوادج للشتاء والصيف

وخموركن زينة – ومقاعد للكشف والسمع –

احججن إلىّ

أو أصبو إليكن...!!

واملأن جرارى بالماء وشفتى بالتراتيل

وقصبة صدرى بالغناء وعينى بالمحبة وقلبى بالمودة والبراءة والإثمِ

وخلونى أَطّوَّفْ بكن أو طفن حوالى.

فصل

[6]

ها ولدان مخلدون

يحملون كئوساً من فضةٍ وأباريقَ من يواقيتَ وأساورَ من ذهبٍ

وإستبرق

يجلسون على سررٍ متقابلةٍ

ونمارق خضراء

من زمرد ومرجان

وينظرون إليكن بمودة

واحتدام

افتحن لى

يكفينى منكن عناء السفر ووعثاء الطريق وطول الرحلة

وقلة الزاد

وأنتن لؤلؤ مكنون.

فصل

[7]

يا قاصراتِ الطرفِ

ويا ذواتِ الأكمامِ

دمى فى رقبتكن إن أنا مت قبل الرؤية والمشاهدة

وحضور حفلات العرس

والتتويج

والتعميد

ألا ترون دمى وقد خضب أطرافكن

وسال على شرفاتكن مرايا وأخاديد

ومقاعد للسمع والبوح

وفوق أسرتكن أزهر وأينع

وكلما سقط على الأرض اهتزت وربت

وأنبتت من كل زوجٍ بهيجٍ؟!

فصل

[8]

آه يا قاصراتِ الطرفِ ويا ذوات الأكمامِ

أذَّن مؤذن العير – فى غبش الصبح – وأنتن فى خدوركن

تزججن بدمى خدودكن

وتغتسلن به

خمس مرات فى اليوم والليلة!!

فصل

[9]

الوعول تفر إلى ناصيات الجبال فتركض أو تتراكض
إذ تلمع اليرقات قريباً من الشجرات العجاف ويمتد هذا الغبار
مدى
ثم ينصهر الضوء – من فوقنا – قطرات من الماس واللؤلؤ
المتدحرج والعاج
هذى الحدائق مشغولة بالبنفسج فى الصبح
حين ينازعها الطل فى الليل
ها جسدى يتطاوح كالنخل من فرط خضرته
والرياح لواقح
تنفرج الشمس من فوقنا وردة تستحم على زبد البحر
ينعقد البحر من تحتنا
زرقة.

فصل

[10]

قطرتان

ويلتحم الضوء شيئاً.. فشيئاً

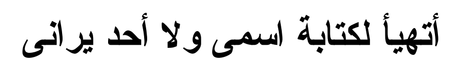
وينفصل الجسدان

على ساحل الأخضر المتوقد

والأبيض المرمرى الذى يتكسر فوق سهول من العاج

والآبنوس

وبحر من الحمرة المطلقة.



أتهيأ لكتابة اسمى ولا أحد يرانى

فصل

[1]

أتخدد كالأرض

وأصلى صلاة الشياطين ولا حول لى

وأقطف زهرة

رابية

فوق جسد ممتلىء

بكنوز الشهوة

ورغوة الإثم

وولائم

المحبة

ولا سواى هناك فى الحضرة

وأتمشى بين كلماتى

فلا أجد أحداً يسمعنى

أو يصلى علىَّ؟!

فصل

[2]

قلت

أنزع عن جسمى شهوة القراءات وعن عينى

رغبة البكاء والفرح

وأتلصص مثل ياقوتة صغيرة خضراء

فى خليجٍ

أخضرٍ

صغيرٍ

على الأسماك المتوحشة والميتة

وأتوضأ بحموضة الفجر

وصلاة الأرقاء

وأدخل فى غيابة الليل والنهار

وهأنذا

أخرج للناس عارياً

ووحيداً

وليس على جسمى ما يستر عريى

أو يسد رمقى.

فصل

[3]

قلت

إذن

أسير في الأرض

وبقيت مسيرة يومٍ ويومٍ ويومٍ

وليلةٍ

وليلةٍ

وليلةٍ

ولمّا لم أجد أحداً يكلمنى أو يشير إلىّ

تعثرت بنفسى

وخلوت إلى شياطينى

وقعدت تحت ظل شمسٍ

حمئةٍ

فإذا بى غارق فى بحرٍ لجيٍّ

تتقاذفنى الأمواجُ

وحولى الحيتانُ

والطحالب الغارقةُ

وأسماك القرش تتلاعب بأذيالها

وتتقاتل

نهمة علىَّ!!

فصل

[4]

قلت

لو أننى أعرف عدد الرمل والحصى

لو أننى أعرف موج الذاكرة

لو أننى أعرف

كيف أكور الليل على النهار

وأكور النهار على الليل

إذن

لنجوت

واتخذت من هذه الأسماك

رفاقاً

لى؟1

فصل

[5]

وبينما أنا غارق هكذا غلبنى النوم فخلوت إلى شياطينى وقلت

لنفسى

كيف تنام وأنت فى البحر غريق وغريب ولا منجاة لك

سوى الغرق والغياب

فكان أن ضحكت

واستغرقت فى النوم.

فصل

[6]

وكان أن رأيت امرأة بهيجةً وثملةً

وبيضاءَ كالورد

وتقعد فى حقل من الماس واللازورد

عن يمينها خلجان

من شموس

نائمة

وأقمار تتقافز بحيوية

وكتل من سحاب أبيض متراص

يلمع فى توهج وزينة

وعن يسارها طيور بيضاء وخضراء وزرقاء

فقالت لى

ما هى حاجتك؟

وما وجهتك؟

فتلعثمت

وإذ بسحابة بيضاء تظلل المكان والزمان وتنقلنى فى لمح البصر

إلى سماء بعيدة

ومليئة بالنجوم والكواكب

وليس على ظهرها من أحد سواى.

فصل

[7]

فأخذت أسير ذات اليمين مرة وذات الشمال مرة لعلى أجد

مخرجاً

فأنفذ منه إلى الأرض

وكان أن هدنى الحزن واستولى علىّ التعب

فاستويت قاعداً

تحت شجرةٍ وحيدةٍ طولها

سبعون ألف ذراعٍ

وبها ورق كثير

كل ورقة – منها – تغطى نصف قارة

– وهى في كل الأحوال مورقة وجميلة –

وأخذت أدق على جدران السموات والأرض

وأصفر صفيراً خرباً مجنوناً

وأخرج من جسدى

وأتشرنق بالودْق الأحمر والبرق

وبقايا النفايات

وأكحل عينى بذؤابات الأسئلة

والتأوهات.

فصل

[8]

كيف أعلن عن يأسى للسماء وأسترشد بنجمة ضالة

فى سماء ضائعة

وأرض مراوغة؟

كيف أهيىء نفسى لاحتمال الفجيعة والموت

بالدوران هكذا على الإرصفة إلى الأبد؟

طعم الهواء حامض

ولا ماء عندى

لا سماء لى بالأساس لأحتمى بها من الغرق والفزع ولا أرض تحتى فى الحقيقةِ

لأتشبث بها من الجنون والغرق

وهأنذا أتشرب نقيع الوجع ومراودة الأشياء

وأحتمى من الخوف بالخوف

ومن القطيعة بالصلب والقتل

فى كل آنٍ

وآن.

فصل

[9]

وجلست هكذا مقرفصاً أرتعد

وفجأة..

سمعت قرقعةً عظيمة وجلبة

ورأيت غباراً

يسد عين الشمس

وكان الهواء يتمايل ويسير أمامى صائحاً

فكيف أمسك به وهو يسير خلفى جثثاً

جثثاً

وأرؤسا مقطوعةً تتمايل وتتلوى

وتفح فحيح الحيات والعقارب

وها هى كتل الهواء البارد تحيط بى

فأتجمد كالكرة

وأتفحم كالصراصير

وألتف على نفسى وأتدحرج دحرجة خفيفة وأتذبذب كالوتر

وأغير وجهتى كالقشة

والشمس تتدحرج من بين رجلى تدحرجات هائلة

وتندفع أمامى تارة

وتارة

تندفع خلفى

وهكذا تحيط بى في توهجٍ وظلمةٍ وتنفلت إلى السديم

ودونما جلبة أو انفجار

والأرض تنسحب من على كرسيها

وتلتف بعباءة الزمن

وتتقدم بردانةً إلىّ..!!

فصل

[10]

صاحت الأرض: أيها الآبق
أيها الخارج من بين ضلوعى ورحمى
كيف تتنكر لى ولا تفر إلىّ
أما ترى
أننى فى حاجة إليك
أتقشر مثل الجلد
وأتعرى كالسراطين
وتسقط الأوراق عن كاهلى
والبحر هكذا هكذا
يلم أطفاله ويمضى
فغرقت المراكب وساح على كل من بالساحل
طويت الصحف
وجفت الأقلام
وتهيأت لكي أكون ثمرةً شهيةً
ولكن اللصوص اختبأوا تحت جلدى
ونهشوا سرتى ولحمى
وجففوا رحمى
وفتتوا عظامى والصراصير اختفت فى لحائى
وأنت ضفادع كثيرة كثيرة
تتفرع وتتناسل بقربى ولم تشأ أن تعرفنى
أهكذا تكون المحبة؟ أهكذا تكون المعرفة؟
لك الآخرة
ولي الأولى.

فصل

[11]

هذه هى سرتى أمدها إليك وهذا هو جسدى حصان لك فاركبْ وتوكأ عليه

ولا تقل لىّ وداعاً وداعاً

....

....

ها هو الجسد إذن يتكشف ويفصح عن سوءة بدن معتم

ورغبة دفينة

لا تقدر شمس دفينة

ولا قمر دفين

على عبوره

أو اجتيازه

فكيف يمكن الدخول إلى مسالكه الوعرة الخشنة

الملىئة بالوحوش والنمور والذئاب؟!

كيف أخيط جسمى إلى الأرض

وأربط ما بينى وبين سرتها بكلامٍ هو كلام الموتى

ولغةٍ هى هى لغة الشمس والقمر

وكافة ما تحمل الريح من تخيلاتٍ

وشهوةٍ

أهكذا تكون الحروف دائماً؟

وهكذا تكون العبارة أبداً؟

وماذا يربطنى بالليل وماذا يربطها بالنهار؟

فصل

[12]

هكذا أسعى إلى خرابى

وأبنى توافقاتي

أتدلى كأساً مكسورة لا يقربها الأطفال

ولا تحج إليها الشقائق

وثمرةً

– معطوبةً –

لا تسقط إلا بين الأنقاض

وكلمةً ناقصة

فى فضاء الحروف واللغةِ

وها هو الظل مساحة فارغة

والماء بلا لون

والسماء تتهيأ للسقوط

والإنهيارِ.

فصل

[13]

كيف أدخل إلى بيتك أيتها السيدة العجوز وأصلى وأسلم عليك وأنت

فى مكمنٍ ضيقٍ حرجٍ

تتغطين بالأوبئة

وتتزينين بالجراثيم

وتنتفخين كجثة؟!

أهذه غواية جديدة وشرك منصوب؟

صارت السماء أرجوحة

والشمس ثوباً ممزقاً!!

فصل

[14]

هكذا يكون خرابى أيتها الأرض
وهكذا يكون سقف بيتك أيتها السماء
ثانية..
أهبط للأرض
وأعرى تفاحة الهواء
وأقطف قليلاً من ثمر الضوء الحامض
وأتمشى وحيدا
على منزلقات الإثم والبراءة
وها هو ذا النهار يخرج وحيداً عن دائرة الرطوبة الأولى
إلي متاهات
لا أول لها ولا آخر
هل هذه بقعة الضوء إذن..
كيف أبنى سفينة واحدة
فتحمل كل متناقضات الأرض
وأصعد بها نحو قبة السماء.

فصل

[15]

ها هى ذى شجرة صغيرة خضراء تفترش

مساحة صغيرة خضراء

من الزمن

وتمد ذؤاباتها نحو شمسٍ غائمةٍ ونهارٍ مأخوذٍ بغيبته

وها هو الجسد

يصعد غريقاً نحو القاع

فلا تجد له سميعاً

ولا بصيراً

والأرض تثغو ثغاء مراً

والسماء تنفطر

إلى شرائحَ من تأوهات وحشرجة غريبة وصراخ

وها هو ذا كوكب يأتى أخيراً

فيطل علينا بفرحةٍ ودهشةٍ كأنها القيامةُ

أو كأنه المواقيت

وأنا أسمع ارتطام جسدٍ فرحٍ بجسدٍ فرحٍ وأرضٍ بأرضٍ وسماءٍ

بسماءٍ!!

فصل

[16]

هيئوا – إذن – طقوسكم

فسألتف على شرانقى الكثيرة الكثيرة وأدَّرع بالأسئلة الخائبة

والإجابات الفارغة

وأنزل عن جثث آلفها

إلى جثث أخرى معادية

وأستمرىء اليقظة

وهجوم الموت المفاجىء وضراوة القتل النهارى

والليلى

وأخدش حياء الشمس بيدى

وأضمد الأرض بجلدى

أيتها الأرض

لم يعد من وشيجة بينى وبينك

غير ما يألف الميت الحي من شجر الماء

ولغات الأرض فى صوت واحد

وحركة واحدة

وفى لحظة واحدة

وما بين السمك الطائر المحتضر والماء المختبىء بالذيل والزعانف!!

هل إيقاعك كلام العالم

وتراب نعليكِ عصافير ملونة وكواكب مندثرة وحضارات أخرى

زائفة

تتأهب للاندثار الأفول؟!

فصل

[17]

كنت فى شكٍ من أمرى

إلى أن أنفصلت عن جسمى وجحيمى

وخرجت أتلصص على الأرض

وحيداً

في غيبة النهار

وذهول الخليقة بالخليقةِ والموت بالموت

فضاء شاسع

يصنع الأنبياء ويقتلهم

سماء تمتد إلى غير ما وجهة فيؤولها كل أحد لحسابه!!

جدران ضيقة ولا يقال لها سجن!!

أرض قاتلة

ولا يقال عنها زنزانة!!

حرية أضيق مدى ما بين فكى نملة مقلوبة

أقمار ميتة

تتمشى على أديم سماوات معطرة

بالأريج والدعوات

صراخ ولا فم

وصوت ولا صدى ونهار بلا شموس

وأطفال ولا حلم.

فصل

[18]

هأ.. هأ.. هأ.. هأ

... أليست هناك نجمة وحيدة فى مستقر لها

إلا ويكون لها شكل القرابين

كلمات أخذت صوت التراتيل بلا خشيةٍ أو علامةٍ

على المحبة

فبأى آيةٍ ظاهرةٍ

وباطنةٍ

تأتى الشمس – مرتجلةً – كل صباح لتوقظنا

وتدق على نوافذ بيوتنا

وحدقات أطفالنا

ومن وقت الفجر إلي شجر النوم

يخرج وقت مزحوم بفضاء المحبة

وغواية القمر لأسماء سميتوها؟!

فصل

[19]

هكذا

هكذا أبنى توافقاتى

وألاقى محبتى الخاصة فى صحراء عرضها ذراع وطولها ذراع

وما بين ذراع وذراع

تختبىء مشاتل القتل

والقنص

فأدثر بفضاء الموت وأحتمى بى من كلماتى

وأهيىء جسمى

لملاقاة الصَّلب والشنق والقتل وكافة أشكال

الموت المدونةِ وغير المدونةِ كذلك

وأجهز حروفى لملاقاة الفرح

وامتلاء القلب بأجنة المحبة

وشواهد الاحتضار

وأختفى فى ملكوتى!!

فهل هذا هو الجسد الثمل الذى تتملكهُ شهوة الموت

فى طى المسافات

وعبور الأودية

ومهاوى الزمن

إلى أن يصل إلى قاراته الطافية الغارقة

ويعرى لغته وكلماته من الاستعارات والرمز وحبائل المجاز؟

فصل

[20]

كيف تكون الفراشات لغات مدوَّنة وغير مدونة
على جدران أجسادنا بين قوم مضوا وأقوام لا تنتوى المجيء
وما بين كل مجيء ومجىء تضيع المسافات وينعدم الزمن
ويصبح الوهم هو الحقيقة
وتصبح الحقيقة هى هى عين الوهم
وحبَّات يقينه؟!

فصل

[21]

كيف أعلِّم الضوء أن يتجمع فى شبكات هوائيةٍ
لأزمان غير محسوبةٍ
ولا مرئيةٍ؟
أنتظر مولد الكلمات على شفا حفرة من النار
وأركض فى اتجاه الغيم
والبحر
وأتدلى مثل كوكب ناتىءٍ
ومحتضر
فى سماء ثامنة
حيث لا ليل فيها ولا نهار
بل ظلام دامس!!
هكذا أتسلق الأودية
وأصعد إلى منافى السماء
وأظل أصرخ وأصرخ وأصرخ
حيث لا أحد إلا إياى
إلى أن أجىء
أو أنطفىء.

فصل

[22]

ها هى شمس تترجل بين ليلين فى حدائق النهار
وترسم تارة بالأحمر الجبلى وتارة بالأسود النيلى على الوحل
شكل سماء مملوءة بخرق الملوك وجثث الضحايا
ونفايات حضارات بائدة لمدن بائدة
وأرجل خيل تخب خبا خفيفاً على الرمل
وعليها رجال أولو بأس شديد
يحتطبون الرياح من كل فج رحب
ويمضون إلى غير ما وجهة ولا يلوون على شىء
ويهمسون بكلام هو إلى النشيد أقرب وإلى الرؤيا أمس
وما بين كل غارة
وغارة يترجلون قليلاً
ويسندون الموتى إلى حوائط الريح والسماء
ويسددون لها النبال والقسى
ولكنها تنحرف دائماً هكذا
فتصيب نجمة – وحيدة قصيةً – هناك في سماء ضالة
فينطفىء ضوء ظل مشتعلاً لقرون عديدة
وهكذا تغيب نجمة – وحيدة – ظلت مشتعلة ببهجة وفوضى...
فيصرخ أحدهم:
لقد أصبت نجمة قصية...!!

فصل

[23]

آن لى أن أطارد نجمة أخرى
لعلى أقدر على إطفاء هذه النجوم جميعاً
أليست لعبة طيبة
أن نصطاد النجوم واحدة فواحدةً
كما نصطاد الفراشات
أثناء نهار مشمس
لكى تعود السماء إلى سيرتها الأولى
دونما فرح
أو محبة؟
ألا نقدر أن نعلق هذه النجوم جميعاً بخيط من نارٍ ودخانٍ
إلى سقوف بيتنا
بجوار الجثث الماثلة على الجدران؟
وما هى المعجزة إذن؟

فصل

[24]

كيف لى أن أصف ما أرى

نهر من الرماد

شجر من طلح يخرج من أحشاء نجوم الصيف

سماء داعرة تطلق نكهتها

فى رائحة السوط

وشكل الجلادين

وها هى

تشرب قهوتها قرب الجثث المغدورة

فوق رمال الصحراء

قيامات كثيرة وليست قيامة واحدة

ونساء يتحلين بترقوة الشهداء

خلاخيل من أرغفة التأوهات وخبز الوجع الأزرق

المصحون بزمردات الدمع الغامق

وفضاء لا شكل له أو وزن

يأخذ تخطيطات مدن عاد وثمود

وإرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد

أمراء يشربون حليب الماعز الجبلى

ويدخنون بشراهة

ودموية

كأنهم آلهة ولا ريب

أميرات يتناكحن ويتناسلن دونما رغبة أو مودة

ويعطين أجسادهن لأول عابر لقاء نزوة طائشة

ويكتبن على أبوابهن ومقاصيرهن

هذه مقاعد للسمع والطرب والغناء والفرح فمن أراد منكم أن

يسترق السمع – وهو شهيد – فسوف يتبعه شهاب ثاقب

والماء بيننا وبينكم علامة على الموت والحياة لا غير.

فصل

[25]

هل كتابة السنوات على منعرجات الأحجار

ومنابع الرؤيا

واكتشاف لحظة الخلق والجنون

وشقائق النهار المبصرة

وغير المبصرة كذلك لغة لا يفضحها سر

ولا يزيغ عنها إلا هالك

فلا تذاع على الناس

كافة

ولها مملكة بهيجة من التخيلات والرؤى

وهى آفة تصيب كل عاشق

بقدر ما يقترب منها

ويبتعد

فبها يحترق

وبها يبعث مرة أخرى عند كل دورة وفى كل قيامة؟

فصل

[26]

وحيداً يتقدم قافلة اليأس

ويزرع فوق الماء صدى حنجرة متقيحة بدمٍ

كذبٍ

يترجل فوق رماد الورد

على مدد من قامتهِ

ويصلى صلاة الغائب والشاهد

ويؤاخى بين الرملة والصحراء

فهل أرخى لعناقيد الظل غوايتها؟

أتراه إذن يعرف عدد الرمل

ويمضى لفلاة متشعبةٍ

ويوازى ما بين القتلة

والقتلى

وسماء البلد المعمور بماء القتلِ؟

فصل

[27]

حان إذن وقت الصلوات...

يمسك حجراً ويخط عليه

تواريخ كواكب ميتةٍ

وبخارا

يصَّاعد من جسد يعرف حجم فجيعته ويمد لظل الأرض جنازته

له الرماد كله

والورد شباك على حديقة الدم

له الغناء كله

والوقت صلاة دائمة لمحبته

ينحاز إلى لغةٍ داميةٍ

ويؤرخ للكلمات على مزولة الشمس

ويمسك بين يديه غبار الروح

فهل هذا جسد مغروس فى جسد موشوم بالرغبة

وهواجس البكاء الأولى

ونعمة الفرح العقيم؟!

فصل

[28]

أتهيأ لكتابة مراسيمى بيدىَّ وأفك عن جسمىَ سطوة الجنس
وشهوة القراءات وأبحث عن خلية ناتئة لتكون مقامى
هكذا أتخلص من بقية الرطوبة الأولى
وأغتسل بماء الخلق
والجنس
ولا أحد يرانى
وأنزل إليكم متسخاً بالبراءة الأولى والطفولة المتسخة
وحلم الشموس المراوغة
والقمر الرائق الأخاذ
وأهبكم لعنة الحلمِ
وأدور مثل نجمة غريقة على القاع
تبحث عن عشبة غريقة فى القاع
وتفتش عن بقية العبارة وأحابيل الرمز والمجاز
لكى تفاجئكم
لكنكم هناك تنظرون:
جثثاً بلا رؤوس
فأفر من صومعتى إليكم
وأدخل فى عباءة الطقوس ومراودات الأحلام
ومذاود الأئمة
الغاوين فكيف أباغتكم؟

فصل

[29]

ها هي ذي دورة الفلك الأولى

تمر فوق الأرض

مثل شهوة معجونة بالنار

فيخرج منها الماء

والنازنج

والدبق الأسود

واليقطين

والهواء

فهل أتى عليَّ حين من الدهر لم أكن غير توافقات اللغةِ

ودوران الفلك الساكن

وكتابة الخليقة بالماء الأجاج

على ألواح الحمأ المسنون

وانتظار لحظة الندم القادم والفرح المؤجل

لإرادة المشيئة والمعرفة معاً؟

فصل

[30]

إذن...

كيف أصحبُكم جميعكمْ إلىَّ

كيف أردكم على أعقابكم مقهورين مغمورين وفرحين بما أنتم فيه

لا ما أنتم عليه

والماء بيننا نرجس يبيض فى الفراغ ويفقس مثل الدرن؟!

– وبينما أنا هالك هكذا –أخذت أحدق فى القاع وأترجل

وأفتح أبواب جسمى وأغلقها

وأسمع المصاريع وصدى المزاليج

رأيت قططاً تتقافز هنا وهناك

وأقماراً تصطدم بالنجوم والكواكب

وشموساً تتفجر انفجارات هائلة

وإذْ بيد بيضاء

تتقدم منى وتربت على كتفى

وتأخذ بيمينى.

فصل

[31]

قلت: ما هذا...

أما من رحمةٍ واحدةٍ لتشملنا ونصيب بها من نشاءُ

قالت: هو الباب فادخل

(1) محجر ألق يتزيا من السماء بالنجوم المرصعة

والأرض بكتابة أبجديات الخلق والنطق

وفرحة اكتشاف حروف جديدة مطمورة

وغير مطمورة بين الرمل والماء.

(2) ما بين الألف والسكون فرق شاسع وهول غير مأهول

ونوم أشد يقظة من الصحو

وصحو أشد فتكاً من الجبال وهى تندك دكاً

وتتكسر على مرأى من الشمس والقمر.

(3) ما بين حضور الألفِ وغياب السكون تتمخض الأرض عن شجرٍ هالكٍ وذرٍ

كثير من الناس

والحجارة المعجونة بالعظام النخرةِ

والأرجل المدماة

والبثور الناتئةِ.

(4) ما بين كل غياب وغياب

مرآة لزمان وغد وأرض مراوغة كامرأة غاوية لا ينفض

عنها طالبوها

فلا هى تقترب منهم إلا بمقدار ولا هى تستسلم لهم بغوايةٍ بل ثمة

غارات وحروب كثيرةِ أيضاً ومواجعُ

أفلا... تعطيهم مواعيد مستحيلة فيخلفونها؟!

فصل

[32]

قلت: كيف تسكن الأرض والسماء تتكسر كل يوم قطعا كثيرة
والنباتات تطاوح مثقلة فى الهواء بلا جذور ولا ثمر
والشمس تتقيح تقيحات عميقة ولا حد لها
وأنا واقف أرتجف كالشعرة المعلقة فى فراغ ذاتها وأكتب
تواريخى وأسمائى
وأحصى عدد قياماتى وخياناتى.
م: الميم ماء غارق فى الرمل
يهدأ قلب الذاكرة وتشتعل بقية الحروف والأسماء التى سميتموها أنتم وآباؤكم
وجع أبيض يغطى سماء المخيلة بالأعشاب والطحالب الخضراء
والنوارس المقتولة والسمك الطائر المتوحش
هل يشتعل الشجر الأخضر لكى تأتنس بالنار
وتتقرب إليها تحت سمع النهار وبصره..
بقدر ما تتقرب إلى سماوات الوقت وأخوة الأضداد ونجوم
القلب التى لا تعد؟

فصل

[33]

هذه صلوات الموتى

انظر:

كيف يقفون صفوفاً صفوفاً ويشتعلون بالبكاء والسهر وبقية التراتيل

والحجارة تطقطق طقطقات موارة

وتطاير في كافة الأرجاء

كأنها الجراد المنتشر ولا أحد يبالى

فهل أقسم بمواقع الشمس والقمر وبقية النجوم

لو انفلقت الأرض

وانفطرت السماوات

وخرج شرر أخضر من الماء يهتز ويتراقص كأنه جان – ولى مدبراً –

لأخذ الناس يَّطاوحون فرادى وجماعات على الجثث المنثورة

ويقيمون النذور لآلهتهم الورقية

ويقدمون القرابين لأولياء نعمهم

ولا يعبأون بوجع الأرض

وتخثر الأجنة فى الأرحام

وتراهم كالخُشُب المسندةِ فلا يتكئون إلا على الفراغ الباهت

ولا يتساندون إلا على الجثث

البائدةِ.

فصل

[34]

ها هى عربة يجرها الموتى وخيول الوقت

ويسير خلفها الموتى

اسمها الأرض...

جنازة دائمة

وجثة متقيحة

ولكنها تبيض وتفقس

فى الأرحام.

فصل

[35]

أعرف ها أنذا أغشى أعينكم بالغيبة الأولى والفجيعة
ولا أجعل بينى وبينكم
حجاباً
ثم آخذكم لجحيمى وأنا ولكم أورادى
وعرباتى المكسرة وهزائم بدنى المقيم وأصلى عليكم
صلاة الشاهد والغائب ولا فرق لدىّ
قد تكون السموات أقرب إليكم من حبل الوريد
والأرض سلحفاة متحجرة فوق جبل عال اسمه اللذة والوجيعة
أيها الجسد المتسربل بإيقاع الجسد
وبقية الحيوات الأخرى
كيف تدخل حظيرة الجسد وأنت مقضى عليك بالموت
والقطيعة؟!
أيتها المرأة:
كيف تسكنين إلىّ وليس لى عليك من سلطان
أو محجة بيضاء؟!
ليس بينى وبينك غير ما يربط الليل بالنهار والنهار بالليل
والشمس بالكواكب المنتشرة؟
وها هى ذى عربات الزمن الفارهةِ تنحدر بسرعةٍ نحو الهاوية
بينما أحصنة الموت الخشبية تقف شاخصة تتربص بين مصاعد
الجسد ومهابطه.

فصل

[36]

هذه هى هِجراتهُ الدائمةُ
ليس فيها شمس ولا نجوم فكيف يكون مقامى
وكيف أحاول كتابة اسمى
وتواريخ جسدى
وهجرة بلدانى وغرق قاراتى
والحروف غالبة على
ثمة بحر شاسع بينى وبينك لا يهدأ وبه سمك ميت
وغرقى كثيرون
وأمواج متلاطمة متزاحمة
ورياح سود.

فصل

[37]

هلكت المراكب

وانجرفت السفن فى السيل

وطفا الضوء غريقاً

وتحول البحر إلى شياطين ومردة قاتلة

قلت: أخطو خطوات لى

فإذا بى أتدلى في الفراغ ولا اسم لى

أرسم توافقاتى ودوائر محبتى

وكلما أسير فى اتجاه ما

أجده مغلقاً وغويطاً فأتراجع تراجع الخائف المنجردِ

وأتداخل فى جسمى

كحشرة بغيضة إلىّ

غير أنى أسقط.. وأسقط.. وأسقط والفراغ خال كهوةٍ سحيقةٍ

وبئر بأدغال.

فصل

[38]

رأيت شجرة عظيمة تنبت فى السماء وحولها خلق كثير
عيونهم ملآنة بالتهاليل والهزيمة
والنساء عرايا
قلت: ما هذا؟
قالت: هؤلاء قوم فقدوا المحبة
ثم انتشروا فى الأرض جوابين
هيابين
قلت: أبنى سفينة لهم
وآخذهم جميعهم إلىَّ هؤلاء رفاق لى
وأخذت أجمع الأعشاب وألتقط من الأحجار ما يتيسر لى
وأصل ما بين كل حجر وحجر بدمى
وأخيط ما بين كل خلية وخلية بمودتى وسُنَنِى
وأشبك ما بين الأغصان بالأغصان لتكون سقيفة
للسماوات والأرض والمرأة بجانبى
وترجلت
فإذا بالماء يتفجر من كل جانب
والأرض غارقة فى قشورها
ونفاياتها.

فصل

[39]

قال رجل كهل:

لمن تصنع الفلك ونحن غرقى؟

ومن يركب معنا؟

ألا ترى إلى الماء فى كل جانب ونحن من ألف سنة هنا

ولا أحد يرانا

وتقلبنا الشمس ذات اليمين

وذات الشمال

ونحن ننظر ببلاهة

ورعب

نغطّ فى رقود هو إلى الموتِ أقرب منه إلى الحياة

وإلى حياةٍ ليس بينها وبين الموتِ سوى نفخةٍ واحدةٍ

وبرزخٍ وحيدٍ

قلت:

لقد أُلقى بنا فى متاهة غير مأهولة

وركن مهمل من كون مهمل

وغير مأهول

إلى أن تقوم الساعة

ألا ترى إلى الشجر وهو يخبىء براعمه فى جذوره

والنهار يموت واقفاً

والثمار حامضة تساقط وتهوي إلى الأرض.

فصل

[40]

أخذنى الرجل وصعد بى إلى جبل عال وهو يصَّاعد أمامى وأنا أسير خلفه

وكلما دنا خطوة اتسعت المسافة

والرمل يتقبقب قبقبات عميقة تتلوى كأعناق الحيات والأفاعى

وفى كل خطوة تخرج علينا الوحوش بغتة ونحن لا نشعر

فينهرها الرجل

ويتمتم بكلمات

فإذا هى كالفراش المبثوث تتبعنا

وتحلق من فوقنا

ومن تحت أرجلنا

وأنا أغذ الخطى

والرجل يغذُّ الخطي.

فصل

[41]

وكان فوق الجبل نهر من ماء غير آسن

فقلت:

أشرب؟!

فقال لى: اشرب

فشربت شربة ملهوفةً عجلانةً ولما أرتوى بعد

وكان أن أمتلأ جسمي بالدود والقروح

وقد صار قلبى قابلاً كل صورةٍ

والشمس حديقة مملوءة بالعناكب

والمراكب الغارقة

ورحت أدثر بالشمس فتدثر بى

وترقد ما بين سرتى وعينى

وأجفف خرقى وسراويلى من البلل والبرودة وأمشط لها شعرها

وأمسد جسدها بلسانى وعجين سرتها بريقى

وهي تنام فى حجري هانئة وغير خائفة

وأنا فرح بها ومأخوذ

وهى فرحة بى ومأخوذة.

فصل

[42]

أهذه هى– إذن – الشمس
تنام بين سرتى وعينى
ويلهو بها أطفالى
وليس بينى وبينها حجاب
أمشط لها شعرها
على أريكة القلب
وأفك عنها عقدة الليل والنهار
وأخرجها عن دائرة الألفة والعادة إلى حديقة الزمن
والدوران هكذا على الأرصفةِ إلى ما لا نهايةٍ
والقمر أفليه بيمينى
وهو أخضر وأبيض وبه نساء من كل لون وجنس يقمن فيه
ويتشحن بالخلاخيل والبنفسج
ويتزين بالكحلِ والإثمدِ.

فصل

[43]

ولما خفت على القمر أن يضيع منى
وأنا ألهث خلف الرجل
وعلى الشمس أن تفر إلى مساكن الغيبة
فأعود إلى الظلمة ثانية
قطعت شراييني وعلقتها أراجيح فى الفضاء
وربطت الشمس فى ناحية
ولففت بقية الشرايين حول عنقي وقلبى
وأنا أصعد خلف الرجل ذى الوطء
فتطلع الرجل ذاهلاً إليّ وأشار
أن اتبعنى وإلا فالغرق آت
لا محالة
وأخذ العرق يتصبب
وتجمعت القطرات الصغيرة كما اللؤلؤ تدحرج إلى أن امتلأت
الأنهار
فتشبعت السحب بالبخار
والبحر ليس بملآن.

فصل

[44]

وقعدت أدعك جسمى بفصوص الحلم وشجر المحبة

وأقول للرجل:

كيف أفرق نفسى وأجمعها إلى؟

كيف أبنى توافقاتى

وألاقى محبتى الخاصة

ولا حد لى؟

كيف أصعد إليكم

وأهبط

وأنا فى مكانى ثابت لا أريم؟!

فصل

[45]

أين هي المرأة...؟
فتقوم مقامى هذا
وكلما أنزلت عليها من مائى اهتزت وربت
وأخرجت من كل شمسٍ
وقمرٍ
وهى مليئة بالنجوم
والكواكب السيارة
المترجرجة فى شعرها
وذيل جلابيبها
وخواتهما الفصوص من اليواقيت والمرجان
واللؤلؤ المكنون
ولها ألف وجه
ووجه
وجسد وجسد
ولها خرائط شتى
وبها جنات وأنهار
وعيون يتفجر منها الماء
وكلما دخلنا عليها وجدنا عندها من الطيبات والرزق
ما يكفل أهل الأرض
كلهم جميعاً
ولها أصدقاء حميمون يطوفون عليها بالمودة والكلام الرحيم.

فصل

[46]

أين هى المرأة فأحرثها بجسمى

وأفتش عن كل بذرة نيئة وحامضة فى أرضها فأنضجها بشمسى

وأذريها بمذارتى

وألف جسمها بجسمى

وسرتها بسرتى

وقلبى عليها يتفتت

كلما غابت وآبت....

أو اختفت للحظة واحدة وبدت

وفى آخر الليل ننام منطبقين

كما تنطبق الأرض على السماء

بها أُحرق وتحترق بى

ولها عرش عظيم من التخيلات والمباهج

إذا دخلته حسبته

لجة

من قوارير وزمردات تلمع وتتلألأ

في غسق الليل

والناس نيام.

فصل

[47]

هل يكون لها من شغلٍ شاغل إلاى
وهل يكون لى من شغل شاغل إلا هى..
وكلما أتيت إليها وجدت عندها رزقاً كريماً وقوماً
يأتنسون
ويتسامرون
فأقول لها: بخ... بخ...
فيك محياى
ومماتى
وبك يتم فرحى
أقول: يا جنتى
فتقول: ويا جحيمى
أقول: أنت أرضى
فتقول: ويا سمائى
ويوم نبعث سنكون فى جنةٍ
عرضها السموات
والأرض
وأهيىء لها نفسى
فتهيىء لى رقدتى
ومواقيتى.

فصل

[48]

وتوقف الرجل فى مكانه
وأخذ سبعَ حصواتٍ عجافٍ ورمى فى كل اتجاه حصوةً
فغامت الدنيا وأظلمت وانطفأت الكواكب
وأنا أدعك عينى بالبكاء والسهر
وقال لى: انظر:
هذه هى مدينة عادٍ الأولى
ونظرت:
فإذا الموتى كلهم وقوف:
أعواد من الملح الجاف والكبريت الأحمر
وكواكب من الحجارة المندثرة
شموس معلقة فى فراغ أزرقٍ ولا نهائى وبلا ضوء
رؤوس مدببة كأنها الإبر والحراب المسننة
قمر أبيض صغير معلق
فوق أرؤس مقطوعة
ومتدلية من البيوت والنوافذ
ومشنوق من رقبته
وفى جبينه بقعتان من الدم الحامض المتجلط
وكلما يغلسونه
يزداد اتساخاً.

فصل

[49]

ها هو ذا القمر يجرجرونه على الرمال والأوتاد والحجارة

ومنزلقات الوحل

والرطوبة

وهو يفتح فمه ويغلقها

ويشهق شهقاته الأخيرة

والسماء ثوب مهلهل وبه خروم كثيرة

وهى تنزف ليل نهار

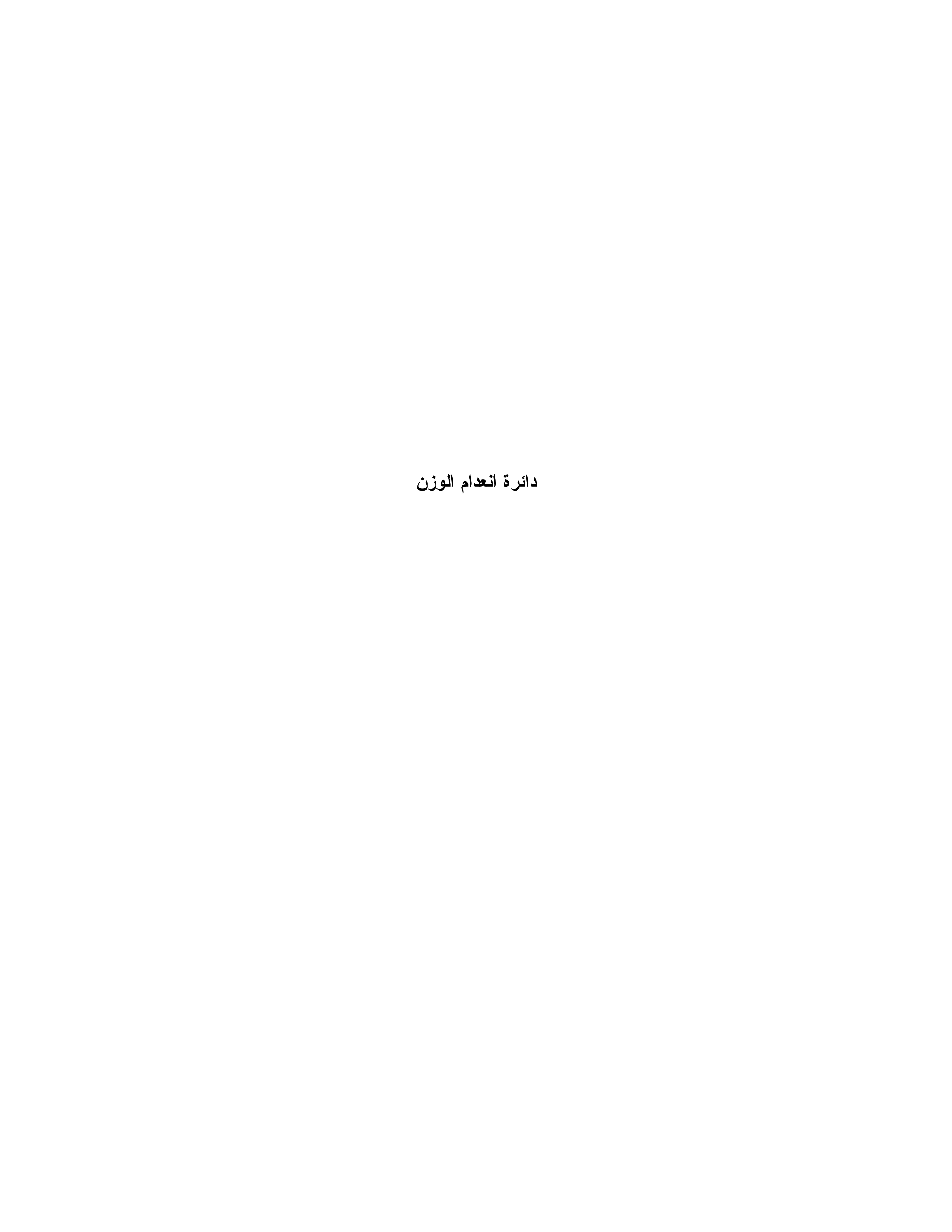
بماء كالمهل

يشوى الوجوه.

فصل

[50]

وها هى ذى الأرض امرأة جميلة
وعليها من النهار والليل ثوب بهيج
وفوق ظهرها حشرات سود
تفح فحاً غريباً كأن بها حشرجة
وهى تنهش من ثديها
وجسدها
وسرتها
وفمها الجميل الحلو
فلا يتبقى سوى سلسلة الظهر
وبقية الأطراف
وجداول صغيرة من الدماء
تتفرق وتتجمع فى كل اتجاه
وفى كل مرة تستغيث استغاثات مرعبة
ولا أحد يسمع أو يرى..
والرجل يضحك ويهذى ويلف سراويلَه
على منحدراته وأوديته
ويتقلب فى الهواء كأنه جان
وأنا يقظ أتحسس جسد الأرض وأحفظ دقائق أوجهها
وعجين سرتها
ولا حول لى...
فقعدت تحت شجرة صغيرة من السنط
وكانت الشمس جافة
وأخذت أرتل تراتيلى
وأصلى صلاةَ مودع..!!



دائرة انعدام الوزن

فصل

[1]

[يأخذ الرمل قنديله ويغادر صوب البلاد البعيدة واللحج النجم

من أوعز – الآن – للقمر المتلثم أن يتأبط صارية الغيم أو يتزيا بقافلةٍ ضالةٍ

وسماء رمادية حارقة

تتألب بين ممرين من جبل شاهق وبلاد أثيمة؟؟

طيور تحط على مدد شاسع وتغادر أحراشها

ثم تنكش ريشاً من الأبيض المتخضب بالدم لون خضرتها فاقع

ثَمَّ غيم يزنر فى الأرض بهجته ويفضض أردانه ويسافر

غزال طريد يفتش فى الأرض عن نأمة

يستكن إليها

ويبحث فى الغور عن قطرة حرة

ليس فيها من الخوف ما يتراءى له حين يفرد للريح ساقيه

أو يستقيم إلى بقعة خضرة.. وينام إذا ال..

شمس أعطت تفاصيلها لتفاصيله

فاستقر وحيداً

لموتٍ وحيد.]

فصل

[2]

[يد الله آمنة

حين أرخت عليه شقائقها وانبلاجاتها

أوَ كانت على الأرض كل ارتحالاته؟

رجل كان يتبع سيدة

حين لامسها الظل والشمس مدت من الغيم سجادة كان سنبلها

يتفتح

أوراقها قصب من هواء صقيل

هى الآن محجوبة بالكواعب والقاع ريم

وكانت تمر على الماء والآل

والأرض مقصورة من بهاء

حميم.]

فصل

[3]

يتابع رجل غيمته

فتصير نوافير من جمرة الضوء

تبعد وتدنو كل حين بإذنها واحتراقاته

هى علامته

وهو علامة عليها

أتراه إذن يعرفها قبل أن يلتقيا

وقد نقش اسمها على خارطة جسمه

وافترش باحة دارها ليلاً وأتاها على حين بغتةٍ من نهارٍ مشمسٍ

وأرضٍ رطبةٍ

وبلادٍ تتلصص عليه

وهو يقظ يحفظ دقائق أوجهها وتفاصيل جسدها المنتصب أبداً

فى الفضاء

ولا يفصح عن اسمها لأحدٍ فيعرفها

أما هى فبعيدة

كنجمةٍ بازغةٍ

فى سماءٍ مفقودةٍ وأرضٍ مراوغةٍ.

فصل

[4]

هى علامته وهو علامة عليها
فهل يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر
وعنده من المعرفة فوق ما يعرف من النعمة
وما لا تعرف من الجحيم
وله فيها ما يشتهى من الخمرِ المعتقةِ أما مُدُنهُ فخاوية
إلا من زهر أسود
وقمر منطفىء
وأجساد مضيئة وميتة
وحجارة متواطئة ومصقولة بدم كذب
والميثاق بينه وبين السيدةِ ماس مصفوف على الأسرة وفاكهة عطنة ومحرمة
لزمن قادم مستتر
بين السرة والـــ.. فخذين اللدنين
والعرق الصاعد النازل يجرى
كخيطٍ شفيفٍ
على أخاديدالظهر
وخواتم الجسد الخضراء
وسنابل الردفين الكهرمانيتين
وقناديل الشفاه البازغة والأسرة قطيفة وزعفران
وحجارة الجدران من ذهب خالص ولآلىء من طحلبٍ حامضٍ
فماذا سيفعل بأسماك رغبته الحمراء إذن وماذا سيقول لها فى آخر الليل
وهو لمَّا يزل يستقبل الفجر بجلابيبه المتلفعة ببهاء النجوم
وشوارد الأحلام؟!

فصل

[5]

كانت الرغبة المتوحشة شجرة متوحشة

ومليئة بالبرتقالات الناضجة والحامضة

والأغصان مشتبكة بوبرها وغبارها هل تحيل ممراتها فضة؟

حتى إذا أخذت الريح زينتها وأتت من كل فجٍ رحبٍ لتناوشها

وتتكىء عليها

خرجت الشمس محلولةَ الشعرِ وعاريةَ الأردافِ

والأوراق جنود مجندة وبروج مستنفرة تقذف بالحجارة والحمم

على كل من يقترب أو يحاول الملامسة هل يفكر فى الرؤيا

والشمس على جذع النخلة تتأود

وتتخلع

كامرأة ثملة وغاوية

وما من رجل واحد يمر عليها أو يعرفها فيلقى السلام.

فصل

[6]

حمل الرجل صرته

وودع الشجر والجبال والبيوت والشمس والقمر

وطفق يضرب فى الأرض مثل بائع متجول أو كعابر سبيلٍ

ويلوح بذراعيه لسفن الورق الباهتة

وفراشاته المختبئة على أزهاره الحجرية

وأومأ لجذع نخلة عجوز

– كان قد نسيها قبل ألف عام –

هى امرأة من دم الأرض والنخل

أغفت قليلاً على سرة الضوء

قامتها تشرئب إلى قصر مرمرها

بيتها فضة

ثَم ريم على القاع يجرفها بينما تتلفلف بالزهر والشمس هاضامر خصرها

ومناديلها من سماء ترابية ودخان

حين لامسها كانت الأرض من جمرةٍ

تتوقد

من يدخل الآن مخبأها

والطيور السماوية المشتهاة ترفرف فوق ذؤاباتها وممراتها زبد

من فصوص الحدائق

والأرجوانِ.

فصل

[7]

خيول كمثل الحصى والتراب

ويخرج وجه وحيد بين حوافرها والتراب له شهوة

ليس لى أن أرج دمى فاستمع

أسمع وقع خطاى

دمى غارق تحت قمصان أشجارها والسما شرر وغناء رفيف

فتهتف بي: ما الذى أبقاك فى الليل قرب فراشى؟

أنا... دثرينى

تنهدت وانفتل العظم أرجوحة واختلطت بأوردة الماء والغيم

شعرى يطقطق

وبإيماءةٍ خفيفةٍ خفيةٍ منها دخلت إلي تويجة الجسد

وحانات الأعضاء

فعرشتْ علىّ وحللت عنها مئزرها الصوف

فانكشف الجسد عن هيئته الأولى

ومثلما كان فى لحظة الخلق والأمر

وترجلت فى أرض وعرةٍ وسماوات غريبة وقلت: يا هذا من

أسرى بك ليلاً إلى هنا؟؟

والدروب وعرة والمنزلقات خطيرة وليست هناك من نجمة تدلك

أو دابة تحملك وما من أحد يغويك على حراثة الأرض وفلاحتها

وليس هناك من نهر قريب فنشرب منه أو نسقى خيلنا ورحلنا

أمجنون أنت لتفعل ما فعلت؟ وماذا حل بك من خرابٍ ونقمةٍ

فتأتى إلينا

حيث لا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا كواكب؟!!

فصل

[8]

دعكت أعضائى بوهج المحبة السافر وتوضأت بالخمرة المزبدة

وغسّلت أطراف جسمى بريقى المحترق الجاف

ونشّفت جسدى بأريج الليمون وخمائر البرتقال

وانفلتت نجمة وحيدة

تدور فى فلك جسدها المشع المسيج بوحشيته

وطراوة أعضائه وزهوره المتوهجة المترامية الأطراف

وتوجت نفسى ملكاً على فضاء نفسى

وانتظرت ألف سنة

فخرجت وردة صغيرة بورقة واحدة فقلت:

وردة وحيدة

بورقة واحدة؟

وفرحت بها وجلستُ.

فصل

[9]

وكانت قطرة صغيرة من الندى تتلألأ على طرف الوردة الوحيدة

وفجأة

رأيت شمساً تشرق من قلب الوردة الوحيدة فقلت:

دثرينى.. دثرينى أيتها الأختُ الوردة

فنضت الشمس عباءاتها الذهبية

ووقفت على مقربة منى لتستمع إلىّ فقلت: دثرينى...

أنا بردانٌ ولا من دابة هنا أو نأمة هناك فآنس إليها وأكلمها

ومذ أتيت إلى هذه البلاد لا أجد أحداً يكلمنى أو يؤوينى

فضحكت الشمس منى

وفككت عروة ثوبى

فأصبحت عارياً إلا من .... و...

كان علىَّ أن أقطف الوردة الوحيدة ورقة.. ورقة..

لأستر بها عريى فلم أفعل...

ونمت تحت ظل الوردة الوحيدة ألف سنةٍ

واستيقظت على صوت طائر يطير ويرفرف بجناحيه البنيين

ويضرب فى الفراغ بريشه المراوغ الأخاذ ويعلو ويهبط

فى دورات متتابعة وأنا أدعك عينى وأفتحها.

فصل

[10]

هل أنبتت السماء زهوراً ومن أين أتى الطائر الجبلى الوحيد؟
وماذا أنا فى مثل ذلك اليوم؟ كيف أضرب فى القاع وحدى؟ آه..
الصحراء شاسعة ولا أحس إلا بجسدى يعرش علىَّ
ولا يمكن لجسدى أن يكون زوجين اثنين..!!
فأخذت أجدف فى الرمل
وأفتل من حصيرة الهواء سلماً
وكلما أمر علي واد غير ذى زرع أشعل فتيلة جسمى وأرتل أورادى
فلا أجد على النار هدى
فماذا تكون الشمس والقمر والنجوم إذن؟
وأفقت ذهولاً
فإذا بالطائر الجبلى الوحيد يقف على جذع جسمى
ويخلِّع بضع شعرات بيض من رأسى ويمسح على عينى
ويهدل هديلاً جميلاً طويلاً.

فصل

[11]

كيف أعطى لجسمي قانونه؟

ولشكلى هندسة فراغه؟

ولشهوتى طقوسها؟

ولبدنى انكسارات ضوئه؟؟

كيف يكون الدم ماء

وأنا وأنت نضرب فى العماء الغُفْل ولا شىء نصلى ونسلم به

علي أهل هذه البلدة

وكيف يكون لشجرةٍ مثمرةٍ أن تعطى ثمراً عطناً

فلا يأكل الطير منه

ولا يتبقى بها غير فروع ذابلة محتضرة

ودم متخثر موبوء

وماذا عن قانون العالم إذا نحن لم نحاول اكتشافه ثانية؟

أما من امرأة وحيدة تكون سكناً لى وأقر بها عينا؟

فصل

[12]

وكلما أحاول أن أعجن الرمل وأخبز الهواء
وأدثر بجرح الأرض
وأنتخب من الشجر ذرية
ومن الشمس
كرة
لأطفال لا يجيئون غدا
تتسرب الأسئلة من رأسى وأراود نفسى عن القتل والقنص
هل فى ذلك قسم لذى حجر؟؟
تعبت عينى من النظر
وأذنى من السمع
فماذا سأفعل بالبالونة الصغيرة التى تستقر فى داخلى
وهى هى
مليئة بالثقوب والأورام
ومتى تشرق شمس الغد ثانية فأراها..
مثل خطاياكم متوهجةً
ولا معة؟؟

فصل

[13]

حصاة الرغبة الصغيرة ماذا أنت فاعل بها

وأنت جالس على عرش العالم

وفى يدك كرة ذهبية تدحرجها نحو الأرض وقتما تشاء

فمرة تكون حديقة من الدم مزدهرة

ومرةً

تكون قطيفةً متدليةً متعددة الألوان والشرائعِ

وتارة تكون قطيعاً من الماعز الجبلىِّ

تسوقه للذبح عصر كل يوم

وأنت فى مكمنك الأبدى

تراقب أخاديد الدم المنسرب

صوب الأنهار

والبحر ليس بملآن؟؟

فصل

[14]

هل تشتعل السماء وتنفجر كرة الأرض؟؟

ساعدونى على أن نشعل النار فى العالم

ونقيم مكانه أعراساً جديدة

وخرائب أخرى

ولكنها

على كل حال ستكون أقل سواداً مما هى عليه الآن

كيف يمكن أن نسكن الأرض

ونعلم أولادنا سكنى الأقاصى ومدن المستقبل؟

فنضع وردة على كل بيت ونقول لأهله انظروا:

هذه حضارة آتية

ومدن أخرى لم تطؤوها من قبل.

فصل

[15]

كانت الكائنات الحجرية حشرات بريةً بعيون تفح شرراً
وها هى أجساد على هيئة الآدميين تركب سفينة واحدة
فى بحر لجى
ظلمات بعضها فوق بعض
وتطفو السفينة حينا وحيناً تشارف الغرق
والموج طام
والصراخ يرتفع عالياً من كل جانب
قالت امرأة فى السفينة لرجل وحيد: إلى أين نحن ذاهبون؟
فأشار إلى البحر..
وأخذت المرأة الوحيدة تمسك بجثث الأطفال
وكلما مروا بموجة
قذفت بواحدة إلى البحر
والرجل مشغول بقناديله المنطفئة
وهو يضحك ويهذى.. كالمجانين: ارفعوا الشراعات عالياً..!
عالياً
غير أن موجة طامية طاوية أتت زرقاء مسرعة
ولها صوت عظيم كأنها القيامة
فانخلع لها كل من السفينة وانفزعت الأجنة فى الأرحام
وأخذ كل واحد من السفينة يصرخ ويبكى
والشمس تتأرجح تأرجحات لا معنى لها.

فصل

[16]

قالت امرأة فى السفينة:

تخلصوا من المؤن والذخائر فازدادت الموجة علواً والسفينة

تمايلاً وصاح رجل كان مشغولاً بتماثيله

ألقوا بالعجائز والمسنين إلى البحر

والريح تصفر صفيراً مجنوناً فازدادت السماء زرقة

والموجة علواً

والجثث تطفو وتطفو.. واحدة إثر الأخرى

وتغمز لكل من فى السفينة

كانت اللغة غير مفهومة والحروف أخذت شكل كائنات رخوة

وصُلبة بأجنحة من نارٍ

وعيونٍ تفح شرراً وسواداً وظلمة وسُمع ارتطام ما فتناثرت

الشهب جارحةً

وصارت السماء ثوباً ممزقاً ومرافىء غير آمنة

فمن صعد إلى السماء ونزل

ومن صرَّ الماء فى صرة؟!!

فصل

[17]

احتوت الموجة السفينة فتطايرت الألواح وسكنت الآلات وهدأ كل من فى القاع

وبقيت وحدى معلقاً بين البحر والسماء

فأخذت أهتف:

يا فضة النهار ويا زبد البحر

أين هى الأرض فأعيِّد عليها عيدى وأقيم طقوسى وأقدم قرابينى

وأمسح جلدي بورقها الباهت المصفر

يا فضة النهار ويا زبد البحر أين هى الأرض

فأهجم عليها بكُلِّيتى

ولا يتبقى عليها من ذرة أو رملة

ولا شجرة معلقة فى فراغ نفسها إلا وصرت ورقة من أوراقها

وخلية من خلاياها؟

أين هى الأرض فأمسح بها جسدى

وأدعك جلدى بفضتها

ها أنذا قد صرت عارياً ووحيداً

كلمينى أيتها السماء فأسمع صوتك

دثرينى أيتها الأرض

فأبدأ حلمى صاعداً إليك وهابطاً.

فصل

[18]

امنحينى أيتها الأرض حبة وحيدة من الحرية

فأوزع فصوصها علىَّ

وها هو الجبل عالٍ وشجرتك بعيدة عنى

دمى بقَع وجه الأرض

ولطَخ حدائق القمر

لقد خفت على ألوانك الذهبية من دمى المتخثر وموَالى الحامض

أيتها الشمس

أين صورتك فى عينى وبهاء نفسي؟

وماذا عن السيد الجسد والمرأة التى وهبتها كل شهوة لى

وهى ليس ملكى؟

أحترز منك بكائناتي الضالة

وقططى الميتة

وأحترز من كائناتى الضالة بك

أنتِ..!!

فصل

[19]

غناء يأخذ شكل الحنجرة الخضراء

توقفتُ تحت عين الشمس الحمئة ونظرت إلى الوادى:

أ – نمل يسير كجيش بلا ألوية

عصارة السماء قطع متجاورات وغير متجاورات من الدخان والمُهل

وغرابيب سود

وأبنية هرمة

ومساكن خاوية إلا من السنط والعصافير مشتعلة

والمسافة بين كوكب وكوكب

أقصر من المسافة بين الضحية وقاتلها

ولا مفر.

ب – النمل يزحف على الشجر

ومداخل الطرق

ويتخذ من الجيال بيوتاً

ومن الشجر سكناً له وإقامة

وهو أبيض وله رءوس مدببة كأنها الإبر وطلعٌ كأنه رؤوس الشياطين

فقلت:

أما من رحمةٍ واحدةٍ؟!

فأصابنى وابل من مطرٍ أحمرٍ ونفايات قمر مخنوقٍ محترقٍ

وكانت نخلة وحيدة فى قلب الصحراء

والشمس والقمر فى كل ليلة يأتيان إليها

والنجوم تتقبقب على ذؤاباتها كأنها جثة الزمن

وأشلاء عصر الطاعون.

فصل

[20]

ج – أهيىء نفسى لعاصفةٍ هى الخلاص وخلاصٍ هو العاصفة

د – أصنع من جسدى خميرة المحبة الواهنة

وألهو به أمام الأطفال لعلهم يفرحون

فإذا بهم يرجموننى بحجارة أرواحهم الضائعة

وشجرات طفولتهم الهرمة

وينظرون إلى شزراً وأنا أقول لهم:

تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين وأنا أريحكم.

فصل

[21]

ص – أرفرف بجناحين مشتعلين وأرقص على زبد الماء

وأؤاخى سمكاتى الذهبية فى كل الجهات وأدعو طائراً إلىَّ فأكلمه

وأراقصنى تحت شجر الوحشة

وعناقيد الغضب المشتعلة

وأجفف مساحة أخرى من الضوء

وأوزع على كل الجهات دمى وبقاياكم ثم أباركه فيكم

وأدع فى رحم كل امرأة طفلاً يحمل كل علاماتى

وقياماتى

فما من أنثى تحمل أو تضع إلاوتكون المحبة هى شجرتها الخضراء

وبيتها الذى تأوي إليه

ع – أخبىء بين كل تويجة وتويجة مدينةً مطمورةً وملامح لذرية منقرضةٍ

م – أما من أحد...

ك – تحت كل زهرة شمس صغيرة وسماء لوطن يقوم أو مملكة تشبههُ

س – متي يكتب كل منكم قصيدته بلغته التى تشبهه وحروفه

التي يأويها

ويربيها تحت سقف بيته كالأرانبِ

وقطط الفخار المشتعلة ومميأواته

ولا يحتاج إلى لغةٍ أخرى ليكون ابناً من أبناء المستقبلِ

ن – أما من أحد...؟؟!

فصل

[22]

<u>إشارة</u>

يأخذ الدمُ شكل الأتربة ومخدَّات النومِ ومحارات الأرغفةِ

ومربعات الزجاج والألوان وإشارات المرور

وتذاكر السفر

وحانةٍ قديمةٍ

وجسد امرأة ثرة ورجل عجوزٍ

فمتي نفر من أسمائنا الضيقة إلى مسمياتنا الرحبة

ولا يكون لنا شكل الحلازين؟

وتأخذ الأرض شكلَ عباءة رجل كهل تعابثه ريح عقور

وشجرة مقطوعةً على ضفة نهر قديمٍ

هجرته بهرجة المياه وظلال الحساسين

وليس على القاع سوى ذكريات ماء

زجٍ ودم ل

وضفدع يقرع ويتناسل بحيوية كأنه الجراد المنتشرُ

وتأخذ السماء شكل قبيلة مندثرة ولوحة فارغة

من الرسوم

والألوان والشراشفِ.

فصل

[23]

كيف أمسك الفراغ وأزين به نفسى
كيف ألون الضوء
وأضع بين كل فراشة وفراشة مقعداً لرجل وامرأة وطفل؟
كيف أضع بين كل زهرة واسمها مساحة
لحلم..!!
كيف أدخل جزيرة الهواء
وأتوج نفسى ملكاً عليه
وأجلس على أريكة الفضاء الخالية وأرتب أمراً ما
ليس الجنون أو الغفلة وليس النوم أو اليقظة
وأجلب لكم من كل حديقةٍ
زوجين اثنين...
لتشهدوا عرساً لكم بعرض السماوات والأرض؟
وكيف أجعل اللغة سهلة فلا تقف على أبوابكم حائرة
فتفهموننى ولا تطاردوننى
من على أبواب حناجركم وأدمغتكم المملوءة روثاً
وخرائب كأنها الضحية تُجز بالسكين؟!

فصل

[24]

هل اللغة قطط موبوءة وكلاب ضآلة فتركلونها كالنفايات؟

إذن احجزونى فى قفص أرواحكم الضالة

وسيجوا علىّ جدران سجونكم الباردة واقفلوا علىّ بالأقفال

كى لا أفر من زنازنكم

إلى متاهاتٍ لا أول لها ولا آخر..!!

بين اللون ونقيضه مساحات فارغة

وعلى الأرض

بقع من ضوء جاف وهواء أسود

ودم فى الأركان...!

فصل

إشارة

[25]

أقتنص من النوم ساعةً وأدخل فى حديقة الجسد

الملىء بالقطوف والوعول

وأركض فى اتجاه البحر.

أقطف غيمة برية وأتشح بالضوء والإقامة

وأقول لجسمى: هل امتلأت؟ فيقول.. هل من م.. ز.. ى...؟!

أطلق نحوك فراشة الجسد المسكون بغواية الجسد

وغابات الشوك الحمراء

وأمسكها ساعة أو بعض ساعةٍ حتى تشقق الأرض

ويكون لها طعم الكمثرى وبرتقالات الضوء الناشف

وعناقيد العنب المحمر وشجر الخشخاش الــ

مكتنز بجذوره وتشققات أوراقه ونزوعه وأفسح لنفسى

كوكباً عن يمينكِ وكوكباً عن شمالكِ

وآخر وراء ظهرك

فلا تعبئين بى أو تنظرين إلىّ

هذه ساعة الإقامة فى مدار الثبوت ووحشة الطريق فى مدار سفرٍ

طويلٍ

ليس على سوى الانتظار

إذن.

فصل

[26]

أفتش عن خيمة قريبة خضراء وأرتب فيها مراسيمى بيدىَّ

غير أنك تأتين فى ساعة متأخرة وتكشفين عنك غطائى

فأقول لك

زملينى... زملينى.. دثرينى... دثرينى

وبإيماءةٍ خفيفةٍ منك أدخل حدائق النهار المزينة بالإثم

والبراءة

وأطفو قليلاً على العشب

وتفاح الألم المخضر وأشلاء الحلم

وأكتب بحبر جسمك المرتعش

نشيد الطفولة الموءودة

ونشاز العالم المنهار

وأدعو غيمة ضائعة إلى مائدتى وسكناى والإقامة فى بيتى

وأغرس لك شجرة مخضرة تسمينها الحرية

فتغرسين أمام دارى غصناً من غصونها المتفرعة وتكتبين على

كل ورقة

هذه دوربك الوعرة وجنتك الموعودة

المفقودة.

فصل

[27]

حينئذٍ..

أغزل لك ثوباً من بقع الشمس وبقايا النجوم وزبد البحر وفضة الماء

وأرصعه بجثث القتلى وحدقات الجرحى

وتأوهات الألم المشع

وخرائب العصور

فتضحكين ولا تبكين

فكم تكرهيننى وأحبك

وأكرهك فتحبيننى

يا أنتِ: أيتها المرأة الحجرية اللعنة عليك ثم اللعنة عليك وإلى أبد الأبدين

فليس جسمى مركباً لك أو خفاً تدوسين عليه

لنسم الأشياء بأسمائها

سرتك كأس مدورة ولا يعوزها شراب ممزوج

وخمرة يدك لذة للشاربين

جسمك قطيفة مصبوغة بالعشب والشقائق

ولا يقيم عليه حارس

ولا تؤدى إليك هاوية هاوية

ولا يقر لكِ جسد على شريعة ما

أما أنتِ فشريعتك حضورك الذى هو غيبتك

وغيبتك التى هى أبقى

من كل حضورٍ فى نفس الوقت.

فصل

[28]

يمينك كرمة عنب ودوال لا مقطوعة ولا ممنوعة

وسرك ذائع فى الآفاق

وكلما قطفنا من ثمرك الشهى شيئاً

تفتقت الكرمة

واشتعلت العناقيد

وتكشفت لنا سوءاتنا التى لا أول لها ولا آخر

عينك شمس الله

يا الله...

كيف أخبز لك الفرح الدائم وأقدم لك المسرة

يا أنتِ

أيتها المرأة الحجرية

كم أحبك وتكرهيننى

وأكرهك

فتحبيننى..!!

فصل

إشارة

[29]

أزين نفسى لبهرجة الطفولة وطقوس الحلم وإدراك الحواس

وغير الحواس من سفر وركض ولهوٍ ولعبٍ وزينةٍ

وموت هو النعمة ونعمة كأنها القيامة ولا شىء بعد

وأتهيأ لمنازلة النوم والسهر

وكتابة تمائم الشجر وأحجية الليل

وحشرجة الأجنة

وأتتبع منازل الشمس والقمر والنجوم

وأغفو على بواباتِ جسمك

إلى أن تقوم الساعة

وأفك طلاسم سحرتك وسحرك

وأسرق نار المواءمة بين جسدى وعجينته الأولى

وبين الأرض ومسامها البعيدة القريبة وليس علىّ من سلطان إلا أنت

فأرسم فضاء نفسى بنفسى

وأزينه لعينى..!!

فصل

[30]

هل البحر كتابة أخيرة لسماء ثامنة

لا نرى منها غير الزبد والمحار والطحالب الميتة الخضراء وغير الخضراء

والمراكب الغارقة

والألواح الطافية

والسمك الأبيض المتوحش

وبقايا دم منقرض لعصور

باهتة منقرضة؟

أشتهى وردة بألف غصن

وامرأة ثرة تكون شجراً زاكياً ولباناً مراً

وعليها وبها يختصم الشمس والقمر ولها عرش نضيد.

يأخذ الرمل قنديله

ويغادر صوب البلاد البعيدة واللجج النجم

من أوعز الآن للقمر المتلثم أن يتأبط صارية الغيم

أو يتزيا بقافلة

ضالةٍ

وسماء رمادية حارقةْ

تتألب بين ممرين من جبل شاهق وبلاد أثيمة؟؟

فصل

أغنية صغيرة

[31]

مشاهد الغياب والحضور. لزمن محدوب مكسور

الوجه كوكب يدور

والأرض ناقة خضراء. تسير تحت قبة الدماء

والشمس بقعة حمراء

فى ثوبها المهدم المنسوج بالعظام والأشلاء. والريح مخبأ الجثث

رأيت نخلتين من زبد وماء

تخرجان من غيابة السماء

والطائر القديم

مسمر مصلوب فى الفضاء

والريش شاهد القتيل والدليل

هل كانت السماء علامة الدماء أم كانت الدماء علامة السماء؟

رأيت كوكبين من لجة ونار

يبكيان جرح الأرض

وينضوان زهرة الرصاصِ والحديد.

الوجه كوكب يدور...

والأرض ناقة خضراء

تسير فوق جثة الدماء..!!

كانت هى علامته

وهو قيامة عليها

تابع رجل غيمته ومضى...

فصل

إشارة

[32]

سنبلة فى غرفة نومى تتفتح

شجر مسكون بالضوء وبالكلمات يكلمنى

زهرة صبار تنبت فى حلمى

وتنادمنى

تأكل من خبزى وتشاطرنى كل مسراتى وهزائم بدنى وطقوسى

أشلاء عيون متبلورةٍ فوق الجدران تحدق بى

ماذا يفعل طلع النخل المتبعثر فى أرضى

وسفائن جسدى الغارقة بقاع البحر وأصداف الماء

أقدام عارية تدهسنى

فتفتت لحمى

وتذرينى للريح الهاربة من الجنات

ووحل الأزمنة الهرمة

وطواحين الموت

وبقع الضوء الغاربة المعتكرة.

فصل

[33]

وطواط يطوق بابى – مبهوراً – ويحلق فى سقف الغرفة
أقذفه بالنوم
فيرجمنى بحجارة أحلام متحجرة وبقايا شهوات نازفة وعصور منطفئات
سيدة تشرق فى الليل فتترك فوق الجدران مناشفها وضفائرها
وتحل على الشمس المخبوءة تحت وساداتى مئزرها
ثم تشير على بأن أتبعها
حتى هاجسة النوم ومطلع شمس حمئة
تفرد شالاً من وحدتها الخضراء على طرف غواياتى
وتفض على جسمى المتغضن أزياء أنوثتها
فأقوم وأتبعها مجنوناً من فرط الرغبة
جسد معجون بالعاج وبالحناء
وملفوف بحرير المحبة وسلاسل الضوء
وتنهدات الأجنة
وثدى كزمردة خضراء
وعينان من اللؤلؤ المصفوف على مقاعد اللون
وأرائك الخضرة المذهبة كأنها الزبرجد واليواقيت
والصدر خليج من العسل المصفي والمرجان المكنون
وسرتها كأس دامية ومصبات صاعدة وهابطة لنار لا يسهل اكتشافها
وجحيم كأنه المأوى
تحت شمسٍ هى الرحمةُ
ومحبةٍ كأنها النعيمُ.

فصل

[34]

أتأهب لمنازلة النوم

يمام يهدل فى ذاكرتى

ويعشش فوق خرائب أرصفتى ومناراتي المعتمة وبدنى الشائخ

أشعل قنديلى المطفى وأتبع بعض غواياتى

– الشراشف والنوم أم حلم عابر غطسته المرايا

ذهولاً أفقت –

تراءت لي المرأة – الحجرية – واقفة بين ماء ونار

أكانت هى الجمرة المستكنة فى مرمر العشب

ترسم وقع خطاها دماً...

وشموساً من الصلب

معروشة فوق قبة جسمى

والنجمة المستفيقة فى الغيم نوارةً

لزمان مضى

وزمان يجيء؟؟

فصل

[35]

ترسم الشمس كحل جسدها على رمل الأفق
المزنر بتقاطيع البداوة بخيوط من نار وأرجوان..
ودوائر من بنفسج لدن باكتناز الأعضاء
وخصوبة البدن الحى.
كأنها الأرض فككتها شهوة العطش
والنعاس
ووجع انفلاق الرحم بالرحم عن حبة النوى وبراءة الأجنة
وطفولة الحلم
هل هى الرحم
الأرض؟!

فصل

إشارة

[36]

كان رجل يسير مشغولاً بفضائه وامرأة تسير مشغولة بفضائها
والتقيا فإذا هما..
ورقتان لشجرة وحيدة
آثرت أن تظل واقفة هكذا ومعلقة فى الفراغ سنين عدداً
وكلما أقتربا أو تماسا كانت الشمس واقفة لهما بالمرصاد
والقمر يصعد ويهبط ليفر من منازل السكون والحركة إلى
مشارق الأرض ومغاربها
وهما يضحكان..
وينضوان من على جسديهما الشفيفين أردية القنوط ليدخلا طقس
الأشياء وطفولتها
ويجددان عهدهما بمواثيق لا تنفصم
وشرائع غير مكتوبة أو مدونة
هى علامة عليه
وهو قيامة لها
تعرفهم بسيماهم كلما التقى الماء بالنار
وأخرجت الأرض أثقالها.

فصل

[37]

واقف...

أنت فى مكمنٍ ضيقٍ حرجٍ

تراقب تفتح الجسد لوردة الجسد وامتلاكه لزهرة الشهوة الرابية

وتويج الأنوثة المنفرط على طرقات الليل الصُّلبةِ

والنهار قبة غاوية غازية لجسدٍ منهزمٍ

ومكنونٍ...

في سماءٍ بعيدةٍ

لا تشرق فيها شمس ولا تلتقى بقمرٍ إلا بمقدارٍ

فلا تتقابل المسارات

ويتفرق الحلم كأنه الفتات والأشلاء

وتنفك عرى الرؤى فلا يتبقى لديك سوى الحصى ووسوسة الحُلِى

وأزهار التراب المجففة وشجر النسيان الصاهل

على امتداد السمع والبصر والفؤاد وما أنت بمسئولٍ

عن كل ذلك ولا هى بمسئولة وكلاكما

فى غَيَابتين من غيابات الزمن لا تلتقيان إلا فى تواردِ الأحلامِ

وسنابلِ الخواطرِ الدامعةِ.

فصل

[38]

متى يقبل النهار أعزل وكأنه الطوفان والليل من ورائه جيش محيط

بألوية ودروع

كانت هى وردته

وهو وردة عليها

يستند عليها بجذعه ويقدم لها القرابين فتقدم له كأس الدمع

وحموضة المحبة

وبرتقالات الوجع الأخرس

فأى علامة تلك وأى آية؟؟

ويقابلها فى منتصف النهار والليل فلا تقابله إلا من وراء حجاب

ولا تكلمهم إلا رمزاً.

فصل

[39]

قائم هو بالليل والنهار عليها والناس نيام وهى مشغولة عنه بحدائق الندم
ومشاتل القنص والقتل
فلا يعرف أى طريق يسلكه
وأى الدروب يجدها مفتوحة ليفر إليها
حيث لا وصول أبداً ولا رجوع دائماً
وكانا...
إذا قالا فاضا
أنت... مشغولة
بسقاية الحجيج وإطعام الضيوف من كل فج
وأنا فى كل يومٍ
أجيئك مزدهراً بغواياتى وقوانين بدنى المنهزم فتجيئين إلي
مكتوبة بوجعك الخالص وحكاياتك التى لا تنتهى
فكيف أفتح أمام جسمك بوابة العشق
وتطلين على من فُرَجِ القنوطِ؟؟

فصل

[40]

ها هى متاهة الجسد إذن...
أنت مكتوبة بوجع القديسين وأنا مرشوش بالصلبان
وتمتمات المساجد
وأضرحة الفقراء
علامة أنت على السهر والحمى
وهذه هى شجرتك الضاربة عميقاً والضارية
وجذورى شاهدة على ما أقول
شمسك منسوجة على جسمى أخاديد ووديان وهي بطقوسها
وتفتحاتها علامة لى
كانت هى وردته وهو وردة عليها
وهى قيامته
وهو قيامة عليها..!

فصل

[41]

شجر فككته السماء عروقاً من الذهب الأصفر

المتوهج فى الليل

والغيم حافاته

كان لباس شهوتها بروقاً

ضفائرها المليئة بالسماوات القريبة والنجوم..

دخلت حجرتها الوعول البيض والزهرات

قادتنى الخطى وَجِلاً إلى طرف الحديقة والسماء ازينت بلباس

خضرتها

وها يسابق النجم المطيف تجاه غرفتها أوَ طرفها حور

ونار فراتها زجل

لطير غامض يأتى من الأيك القريب؟!

زجرت نفسى وأدرعت بشالها المعقود ما بين الضحى والليل

محبوس أنا فى لجة من ماء عينيها

فكيف أفر من برق

لبرق؟

وكيف يكون صوت حصاتها سكناً؟

فصل

[42]

استفقنا..!!

كانت رجفة الفجر المغبش بالعماء الغفل والأمشاج تعتلك

الندى والعطر

والنطف الخبيئة تشرئب كغابة مطمورة ما بين صخر الأرض

والسماوات

دانية قطوف الآل

هل قطعانها ذهب فأعرفها؟

أو اكتملت قوافل رحلها الحبلى بماء الخلق والتسنيم وانسربت

تفتش عن سلالة قطرة مخبوءة ما بين شعبٍ ضيقٍ حرجٍ

تمر الريح بين ذؤابتين

وينحنى جبل لصاعقة فأسكنه

ادرعت بشالها المعقود ما بين الضحى والليل

قلت: أخبىء الأشلاء من جثثى

وذاكرتى!!

فصل

[43]

هل ذاكرٌ أنت شكل المرأة التى فى حوزتك ولون جسدها وطعم

قرنفلها وحنطة بطنها

وعجين سرتها؟

وماذا ستفعل ساعة المد والجزر

وهى ليست ببعيدة عن هنا؟

هل خلخالها خشخشة الماء وبياض اللبن الحليبِ وفضة الغيم تطرز به

الريح

وتزين به أخاديد الشمس ومعارج القمر ومنازل النجوم

وهى هى غجريةٌ لا تحب سكنى الأعالى

وقمم الجبال

هى علامة على الموت

وأنت علامة على الحياة

ولا تهبط القرية التى أنت ساكن فيها

فلا تجىء إلا متخفية عن الرقباء والبصاصين.

فصل

[44]

عليها
عراجين وشهب وممرات وعرة كثيرة تسلكها
فماذا أنت فاعل بها
وهى عليك من الحسك والشوك ثوب لا يبلى ولا يزول فلا تخلعه إلا لترتديه
وأنت لا تزرع غير الوحشة
ولا تحصد سوى الهباء والذر؟؟
هى آهلة بك وموعودة وأنت آهل بها وموعود..!!
فكيف يكون لجسد ثمل أن يكون آية لجسوم كثيرة
والماء بينك وبينها نخلة
تتفرع فروعاً كثيرة وميالة
وتمد ذؤاباتها فوق أرضٍ هى الشيخوخةُ
وفضاءٍ هو الجحيمُ
فلا تطلع عليها شمس أو يزورها قمر
إلا ساعة موتها
وحتفها؟

فصل

[45]

تمت لك النعمة والمجد إن هى أشرقت

لها ملكوت جسمك الرحب تتبوأ من الأركان حيث تشاء فمتى

ستأتى متبرجةً

ثملةً

وفي يدها تحمل عطاياك وقطوفَ جسدها

وأنت ذاهب نفسك عليها حسرات؟

ولها عرش عظيمٌ

إذا دخلته حسبته لجةً من قواريرَ وزمرداتٍ من لؤلؤٍ مكنونٍ

وإن خرجت منه

تكسرت عليك النصال

وانفطرت الأرض

وتشققت الجبال ولا تدرى بأى بلد تموت

وهى

عليك واقفة..

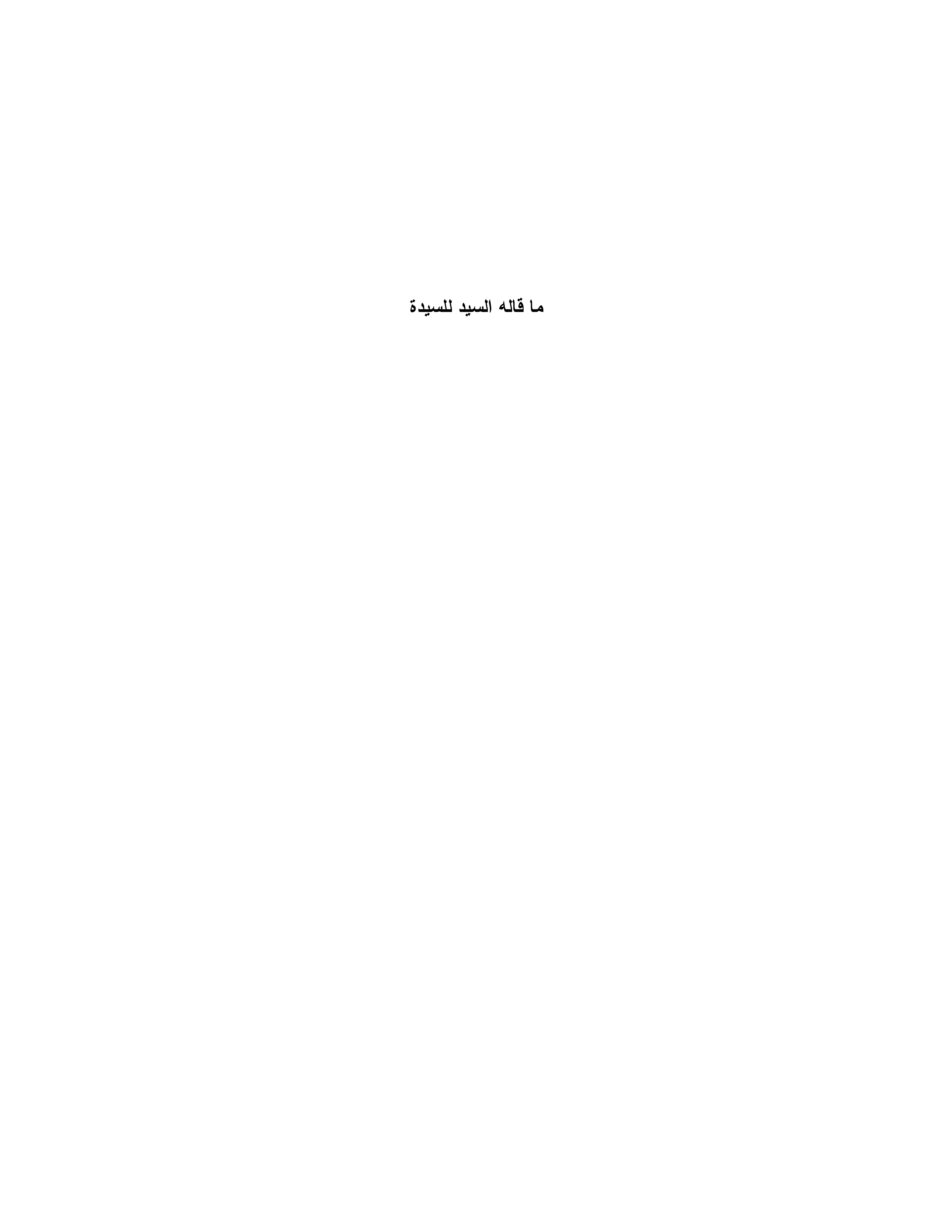
فلا تذهب نفسك عليها حسرات وقل لها فى آخر الأمر

سلام

هى قيامة عليك

وأنت قيامة عليها

طلعت شمس الفجر مذهبة عليك فاستفق.



ما قاله السيد للسيدة

فصل

[1]

...،

اندهش السيد من كلام السيدة

ورنا إليها ببصرٍ منجردٍ

وهو واقف على حافة الليل يرقب تحولات النهار

أليست القيامة أقرب إليَّ

من امرأة

أعرف تفاصيل جسدها

وحنطة بطنها

وعجين سرتها

وهي ممسكة بزمام وقتي

وأنا واقف على شجر التحولات

وأقاليم الرؤيا؟

عندئذٍ...

انتبهت السيدة إلى كلام السيد

وأخذت تقرأ بصوتٍ

رحبٍ...

فصل

[2]

ما بين سرتى وجسمى روضة واسعة

لا يعرف مداها أحد إلا بى

فخل عنك وتخل عنى

فهل تعرف أيها السيد لماذا أتخفى عنك بالليل والنهار

ولا أنكشف إلا لى؟

قمصانى هى الماء

ولغتى هى الأرض

وما بين كل قميص وقميص مسيرة ألف عام من الموت والحياة

فكيف تصل إلىّ أيها السيد وهى بعيدة

لا يبلغها السائرون إلا نياماً

بعد ميتاتٍ كثيرةٍ

وحيواتٍ غالبةٍ.

فصل

[3]

ما بين لغتى والأرض

أكبر مما بين السماوات والأرض من تفاوت

وكلامٍ هو كلام البرازخ

ولكنك لا تعرف أى كلامٍ هو لك وأى كلام هو لىْ

فلا يفك رموزه إلا أصحاب الضحى والليل

ولا يقترب من شفرته

إلا أولو العزم من الأخلاء والأصفياء ومن أذنت لهم

من أصحاب الحاجات من العشق

وطلاب الموت الحميم.

فصل

[4]

هذه سبيلى:

سهر بالليل ووجع بالنهار

إلى أن تقوم الأرض من قيامتها وما أنت بقادرٍ على أن تؤدى لىْ

ثمانى حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك

وها أنت ذا باخعٌ نفسك على أن ترانى

فهل لك فى حاجة أخرى

ورغبة دفينة أؤديها لك

فلن ترانى قبل هذا ومن بعدُ إلى أن تموت

ويخيم على الأرض الظلام

وتنشق الشمس والقمر

وما أنت بصاحب لي.

فصل

[5]

فعلى أى شيء تترقب وصولىَ من سفرٍ هو النصبُ
وهذى هى العير قد أقبلت
وما لك فيها من صاحبٍ أو غلامٍ
فننظر إليه أو نسأله؟
ارجع إلى أهل بيتك كى يكفلوك فلا حول لك فى هذا
ولا حول لىْ
فقط
هى أحوالى
ومقاماتى أتقلب فيها كيف أشاء
ولك فيها من العذاب بقدر ما لى فيها من النعمة
فبها وعليها أترقى درجى
وأصعد منعطفاتى وبروجى
إلى أن تبلغ منى الروح الحلقوم
وأمضى إلى بلدٍ
قفرٍ
فأنصب خيامى
وأعلن على الملأ نبأ استشهادى
وأقيم صلواتى وأقدم أدعيتى وأذبح قرابينى
إلى أن تشقق الأرض ويتفجر منها الماء
وأجمع الشمس والقمر حولىْ.

فصل

[6]

لكلامى شبهة المحبة

ولجسمى غواية الشياطين

وها أنت ذاهب نفسك حسرات ما بين شبهة المحبة وغواية الشياطين

ولا تفتش فى الأرض إلا عن قيامةٍ أخيرةٍ لى.

فصل

[7]

هأنذا أنظر إليك فهل تتعقبنى أيها السيد:
اخرج من تابوت الجسد
وأزح غطاء جسمك عنك ولا تكن كصاحب الحوت
وتوقف أمام كل امرأة فيَّ
فإن استقر الجسد مكانه
وثبت الحال على الحال
وانعقدت أطراف الموت الحمراء بين تراقيك وترائبك فاخلع نعليك إذنْ
واخرج من تعبك ونصبك
إنا رادوك إلى أهلك فى أدنى الأرض
كي تقر بهم عينا
ويقروا بك عينا
ولتبدأ من جديدٍ موتاً متكرراً جديداً وسهراً تعباً
وأنت بأعيننا فلا تخضع ولا تبتئس
وقف...
قف
إلى أن أخرج عليك بطوفان أسمائى وشاراتى
وأتعقبك فى كل واد تقيم فيه
وعند كل جماعة تحل بها ضيف سفر وعابر سبيل
إلى أن أتم نعمتى عليك وأهب لك لحظة واحدة لا تدخل في عدد السنين والحساب
وهى هى ليست من الزمن فى شيء
فلا هو موصول بها
ولا هى موصولة به...!!

فصل

[8]

أليست هذه رغبتك أيها السيد إذن؟؟

هكذا ذهب السيد إلى حال سبيله

ومضى...

لا يعرف فى أى بلد هو

وأخذ يقطع الليل فى النهار ويقطع النهار فى الليل

وقال فى نفسه:

سأنتظر سفينة أخرى

لتحملنى إلى امرأة بعينها

فلمَ كانت المرأة إذن علامة على السهر والحمى؟؟

وكلما مر على أهل قرية وأراد أن يضيفوه أبوا وراحوا يرجمونه بالحجارة

ويطردونه من بلدٍ إلى بلدٍ

ويطلقون خلفه الكلاب الضالة وقطط الظلام الهرمة النهمة

فتنهش عظامه ولحمه

وهو يهشها فلا تُهش وهى تتهارش من حوله وتزوم ويطردها فتطارده

إلى أن دمى الجسد وابتلت العروق بالوجع

والظمأ.

فصل

[9]

ورأى:

أن ممياواته تسير من خلفه على حجارة الأرض

جثثاً جثثاً وهى تصايح

فكيف يهرب من الوجع بالحمى ومن الحمى بالوجع

والبحر ليس ببعيد عن هنا وهو نائم ويقظان

ورأى:

رجالاً كثيراً يبكون ونساء يطوقنه بمناديل الفرحِ

والوداعِ

أيها السيد: أين دار السيدة؟

أيتها السيدة: أين هى دار السيد فننزل إليها ونحتمى بها؟

انكشف ستر الجسد إذن

ولاذ كل من السيد والسيدة بالفرار إلى أرائك النوم الحمراء

ومملكة الحلم الرحيم

وبقيا حتى ساعةٍ

متأخرةٍ

يتقلب كل منهما على فراشه

فوق شراشف المحبةِ

وعناقيد الرغبة المحتدمةِ.

فصل

[10]

وانطلق حديث دافيء يعلن عن بدء وصول السيدة إلي
حافة النوم
فخلع السيد أعضاءه عضواً عضواً وانخرط فى بكاء مر
وانخرطت السيدة فى لهوٍ ولعبٍ وزينةٍ
إلى أن انتبه السيد إلى الوقت
فتشاغلت – عنه السيدة – بالحلمِ
وهى تشير إلى جثث الذاكرة أن تدخل طقس الرؤيا
وإلى الجسد أن يتخفى فى سراويل النعاس الفضفاضةِ
هكذا امتلأت السماء بالسحب وأراقته ماءً على الأرض
بقدرٍ
وغلقت السيدة الأبواب وقالت:
هل تريد أن ترانى أيها السيدُ؟

فصل

[11]

أنا أقرب إليك منك

وأنت أقرب إليَّ منى فما هو قولك

وعلام تقلِّب علينا أهل بيت لنا وكل من يقابلك من صحبى

وندماى

وها هم أهل بيتك يضحكون ولا يبكون

وهمو ينظرون ما أفيىء عليهم من محبةٍ

وما أجزل من عطايا ومواقيت

آن للجسد أن يلتحف بعرائس النعاسِ الفضفاضةِ

وللنعاس

أن يلتحف بعرائش الجسد

فيسلطنه...!!

فصل

[12]

لمرمر جسمك أبدأ تذكرتى بالسفر

للمسافة مطوية فى قميصىَ

أنِحلُّ بارِجة من بخارٍ قديم

فأبحر صوب الشواطىء

والذاكرة

إنها لغة الحلم تشرق بى

من أول الصبح حتى حدود الضحى

وتقيم الكلام على حجر ناتىء وتصاويرَ من زبد فارغٍ

لتقيس المسافة بينى وبين ممالك جسمكِ

بينى وبين ممالك جسمك أرض بعيدة وهذا دمى...

يتربصُ

أو...

أصطفيه من النار والماء

أجعله قبضة فى يمينك

والأرض خاتم عرسٍ أسويه بين يديك

وأنسجه من رماد السماوات والأرض شعلة ضوءٍ

مبللةٍ

بالترائبِ

والرغباتِ.

فصل

[13]

افتحى جسد الحلم

وامنحى الذاكرة بهاء التخيلات والرؤى وصلابة التلاشى

وكونى إذا أخرج الليل أثقاله حلة ترتدينى

وترتد بى

كى أجوس خلال الديار

سأمنح صوتى بهاء الكمالات من جسد مورقٍ وأراضين

تغسل وجه النهار بأول حرف من اسمى

وآخر حرف من اسمك

اسمك: سيدة الأرض

واسمك:

جوهرة السموات.

فصل

[14]

على بابك الملكى افترشت دمى ثم أوَّلت ما يكتب الرمز
وما لا تقدر عليه لغة الإشارةِ
من معنى هو الحقيقة
وحقيقةٍ كأنها الحلم ولا شأن لىْ
خذى من جسدى وكلماتى ما يتعب فى تأويله علماء الكلام
وأساطين الحرف
وهمو غير قادرين عليه
وأسأليهم... سيداً
سيداً
ورهطاً
رهطاً
عن هذا الذي يقول ما يقول وبأى لغة يكتب ما يعرف وما لا
يعرف
ولماذا يتقول علينا بما يعرف وما لا يعرف وما لا طاقة لنابه ولا
قدرة لديه على احتمالهِ
ووصفهِ؟!

فصل

[15]

لن يجيبوك بشيء مما يعرفون ومما لا يعرفون وسيقولون:

ابعدوا هذه المرأة عنا

نحن نتصبب من تعبٍ وعرقٍ وهى تضَّاحك علينا

فبيننا وبينها ثارات قديمةٌ

ورحى حرب لا نخرج منها إلا منكسرين

ومتسربلين ببقايا الدم

وخرائب الجنازات

وهنالك قتلى وأسرى لا نحصى عددهم ولا هم يرغبون

بيننا وبينها أرض شاسعة لا نقدر على عبور مهامها

لا بالليل ولا بالنهار

ولا هى نائمة

ويقظانة

فخلع السيد أعضاءه عضواً.. عضواً وانخرط فى بكاءٍ مرٍ

وانخرطت السيدة فى لهوٍ ولعبٍ

وزينةٍ

إلى أن انتبه السيد إلى الوقت

فتشاغلت عنه السيدة بمراقبة عشاقها

ولغةِ حوارييها.

فصل

[16]

أوليت نفسى غواية تأويل حرفين ك.... ن...

كنت ناراً على قبة الوقت

آويت جسمى لجسمى ادرعت بشمس الضحى

عيونك منقوشة كالفراش على جبلٍ شاهقٍ

كيف أصعد نحوك أيتها المرأة الشاهقة

كيف أخلع قفاز جسمى

وأعلن للماء أنى استويت على الأرض أغرس فيها جحيمى

وأبحث عن جنتى

... ليس لى غير قيظ اسمها...

وخطاى خطى تتعثرُ فى شجر العرش

والملكوت

وكيف أدثر نفسى بوقت هو الوصل

لا تبعدى عن خطاى إذن

نحن اقتربنا من الأرض

ها هى ذى تتلفع بالموت والرغبات الأثيمة

هيا انثرينى على جنةٍ عرضها السماوات والأرض

كى أتبوأ فيها مكانى

وأشعل بعض خطاى

من أنتَ؟

ومن أنتِ...؟؟

فصل

[17]

بيننا: تسكن البلادُ وتزدهر صناعة الكيمياءِ القديمةِ وغناء

الفلاسفةِ

ولا نعرف غير اللهو

واللعب وتفاخر المودات والنسب الكريمْ

ولا يكون لنا غير أصدقاء حميمين نتفرس فى وجوههم

فنعرفهم بسيماهم

ونتقرب إليهم بالليل والنهار

فيتقربون إلينا بالمحبة والكلام الحسن

وليس لهم من حديث سوى حديث الغناء والطرب

فنشرب إلى أن تبتل العروق ويذهب الظمأ

وننتقل من واد غير ذى زرع إلى واد غير ذى زرع

ليله كنهاره

ومن أهل بيت إلي أهل بيت

فلا ندرك تكور الليل علي النهار وتكور النهار على الليل

وإنما هى حركة موصولة وحياة دائمة لا تكاد تبدأ حتى تنتهى ولا تنتهى حتى تبدأُ

وما بين الموت والحياة تحولات أخرى وأزمنة ضوئية لاتدركها

الأبصار ونحن بها فرحون

هكذا تكون المحبةُ أيها السيد

وهكذا يكون رباط الوصلِ أيتها السيدة.

فصل

[18]

بيننا: تتوافد الذكرياتُ على شجر الليل فى وضح النهار

وعلى مرأى ومسمعٍ من الليل والنهار يدور حديث دافىء بيننا

فلا ينقطع إلا بغفوةٍ

ولا يبدأ إلا بميعادٍ

هو الحلمُ...!!

فصل

[19]

بيننا الحركة والسكونُ

وما بين الحركة والسكون علامات..

لأنجمٍ كثيرةٍ

ضالةٍ

فى المجرات تفتش عنا

فلا هى تهتدى إلينا

ولا نحن نقول لها:

اهبطى بسلام.

فصل

[20]

بيننا: من أول الخلقِ إلى آخر الخلقِ رباط من الذرّ والكلمات المكنونة المنكشفة

ما لو أطلعت عليه

وخطر على قلب بشر

لولّى مدبراً وقال لى:

هذا فراق بينى وبينك إلى أى أجلٍ تراه وأى زمن أراه حتى تقوم الساعة

فأجلس منها مجلس أنسٍ وطربٍ وغناءٍ ورقصٍ ولن أبرح مقامى هذا

إلى أن تأذن لى

أو أمضى حِقباً إلى حيث تشاء السيدةُ

ويأخذ الزمن أبعاده ومسمياته

فأحمل فراغى على ظهرى

وألقى بمتاعى فى اليم

فلا أمكث فى زمان

ولا أفتش لى عن مكانٍ!!

فصل

[21]

بيننا: من سورة يوسف وأهل سبأ والأعراف
ما لا يقدر على تأويله الفلاسفة وعلماء الكلام
ولا يقترب منه الصوفيون
وأصحاب الكشف والمقامات
إلا بمقدارٍ
لها أحوال النعمة
وله مدارج العذاب يتقلب فيها كيف يشاءُ
فبأى متاهةٍ هو
وفى أى غيابةٍ هى؟؟

فصل

[22]

بيننا: يتخلى الليل عن عاداته وحاجياتهِ
ويواصل السفر والسهر إلى أن يحل فى جانبٍ
آمنٍ..
من جوانب السموات والأرض
ولا يبحث عن قيامةٍ أخيرةٍ
ويقول: بخ.. بخ..
لا رغبة لدىّ فى لعبةٍ جديدةٍ اسمها الموتُ والحياةُ
أنا ثمل وسكران هكذا
يا هذا..
فمن ذا الذى يقودنى إلى المنزلِ؟!
أنت هكذا
وأنا هكذا؟!

فصل

[23]

بيننا: من زليخةَ

وشجرة الدر وبلقيسَ

وامرأة لوط...

ما يخرج بنا عن حدودِ الكلام إلى متاهة الرؤيا

خلع السيد أعضاءه عضواً.. عضواً وتقلب على فراشه

فوق شراشف المحبة

وعناقيد الرغبة المحتدمة وانخرط فى بكاءٍ مرٍ

وانخرطت السيدة فى لهوٍ ولعبٍ

وزينةٍ

إلى أن انتبه السيد إلى الوقت

عندئذٍ...

اندهشت السيدةُ من كلام السيد

ومضت.

القيامـــــــــة

فصل

[1]

كل خطوةٍ وردةٌ

وكل زهرةٍ

فضاءُ (1)

إذن أهبط للأرض وأعرى الذاكرة

عن حجارة الوقت

وضوضاء الروح

ووعثاء الصعود والهبوط

وعناء السفر

ومكابدة الجسد للجسد

بمطلع الفجر

وانفلاتة العين من طوالعِ الرؤيا وجوابِ المشاهدة

وثقل الأعضاء

بالأعضاء...!!

فصل

[2]

إذن...

أدخل إلى عتمة الصبح

وأسرج ظهر النهار بتراب الغيمة

وحنَّاء الأصابع المحترقة

وحدائق الذكريات المعشوشبة

علي جدران الزمن المثقل بالتاريخ الغُفل

وجماجم الكائنات

ومواجيد الموتى الأحياء والأحياء الموتى

ونقوش الفراعنة الباهتة

فوق مراكب الشمس

ومعابد الكهنة..

وبخور العجائز الليلى
وصلاة الأرقاء
ودعوات القديسين والصلبان من الأزل للأبد
فمن يأسر الظل لىْ
وجوادى الجموح مضى؟!!

فصل

[3]

إذن...
أركب خيل المهارى السلالات وخيول الرمادِ لتمر بى إلى...
عجينةِ الخلق الأولى
ونطف الشجر الطالع من سجين
ورجْع الأرض
ووجع الولادة
وعند برعم الكلمات الواقفة من سنين عددا فى انتظار هجرة الشمس
من الغرب للشرق
وسفرالقمر الأزرق من الشرق للغرب
وانهمار مطر اللقاح الأحمر بين
شجر الجوع الأخضر وعطش الكائنات
الطالعة من دم الفجر
وقيظ الظهيرة
وقيلولة الرؤيا
إلى أن تقوم الساعة ويتهيأ الخلق لسماعِ الشهادةِ
ومعرفةِ حقيقةِ
الخلقِ والأمرِ.

فصل

[4]

الغيوم تظلل ناقة الليل فى وضح النهار

– دمى بينهن أسير –

النجوم على سدرة الرأس أحد عشر كوكباً

والشمس والقمر فى وسط الماء والرمل يسبِّحون وها هى

جنات عدن أعدت للجوعى وأبناء السبيل من كل فجٍ

ادخلوا الآن أرجاءها

وافسحوا للندى يتبطن بين ممراتها وهو يدخل

هذى مماشيها الصقيلات زُين بالحور والزنبق الغفل

والعشق يدخل مملكةً

ويؤاخى الجسوم الكثيرة.

فصل

[5]

كل خطوةٍ وردةٌ

وكل زهرةٍ

فضاءُ

وهذا فضائى

المدينة مخبوءة تحت شمس النهار

الأرض واقفة بانتظار المواليد الميتة والمحترقة معاً..

– هذا فضاؤك فلتدخل الآن فى الضوء

بعض الطيور يرتقن أطراف ثوبى بأثوابهن

كانت تواتيك فى مطر الفجر أبيض.. أخضر..

تنزع عنك ثياب الرقاد وتفتح محرابها النبوى أمامك

ادخل الآن ثوب التراتيل فوق الحوائط

والليل من جمرةٍ

كان أخضرَ...

فصل

[6]

كل النيازك مخبوءة فى قميصك

بحر من العشق والريم كان الفضاء البهيجُ

الملوك السكارى إذا دخلوا قريةً

أفسدوها

وجعلوها جثثاً من الرماد مبصرةً وغير مبصرةٍ

وبركاًمن الدم والوحل

لا يُعرف له أول من آخر

ولا بر من بحر...!!

فصل

[7]

وها هم الآن حولك قرب الحوائط

يمدون أيديهم إلى الماء فلا يلمسون قطرةً منه ولا يلبثون إلا ساعةً من نهارٍ

ويولون الدبر

وجوعهم يسعى بين أيديهم ناراً

وقهرهم

باسط ذراعيه بين أرجلهم وعليهم نار مؤصدةٌ

وفوقهم ملائكة سودٌ

وعبيد يضربونهم بالسلاسلِ

فترى أعينهم تفيض من الدمع حزناً

وهم ينظرون

فلا يُسمع لهم صريخٌ

ولا هم ينقذون.

فصل

[8]

شجر يطلع من طور سيناء...!! (2)
المسافة اشتهاءات من الفضة والضوء
أرض بالغة الخضرة والورد
الطيور على أعتابها شجر الضوء والبرقُ ترقد واجمة وممزقة فى
التراب الحى
والندى الوقت
وهذه هى خمائر من اللبن الفجرى
تنزع من فوقها ريشها تحت شمس الظهيرة
والمدى القلب.

فصل

[9]

راحت تنقر الوقتَ
وتحكى عن نهارٍ كليمٍ وسموات مبللةٍ بمحاذاة الولادةِ
المطَر الأحمرُ الساقطُ كالعهن المنفوشِ
الزرابىُّ
جميزةٌ من فوقها يأكلُ الطيرُ، والليلُ
النجومُ ندى يتكَسّرُ من تحتهِ الموجُ من فوقهِ الريحُ
ترقصُ بلا ضجرٍ ولا استواءٍ
ولا رهبةٍ، ولا مودةٍ...
أنا خائفُ أترقبُ
– والفضاء صنوانٌ وغير صنوانٍ
آيتهُ جنتانِ من نخلٍ حَفَفْناهما بنَهْرٍ
وجعلنا بينهما قتلى
وأشلاء جثثٍ

وعظامَ حيواتٍ
أكان لهُ ثمرٌ؟؟

فصل

[10]

هجرته رطوبةُ الذاكرة وخيانة الوقت والأرضِ
فسكن القلب وخرائط الجسد وكل أولئك كان عنه مسئولاً
وأرخ تأريخاً جديداً لجسدهِ المصلوب بين فضاءِ الكتابةِ
وحدائق الدمِ المتناثرة فوق كل ذرةٍ
وكل نأمةٍ.

فصل

[11]

علامته الفوضى
وعلامتها القيامةُ
وما بينهما شجرٌ لا يخرج من الأرض
ولا ينقطع له ظل
أو ثمر
كتب نفسه على شقائق الموت
وكتبت خرائط الفوضى على جسده تاريخ القيامةِ
وبداية المعرفة
واعترته سوانح الخواطر
فخط على التراب المملوء بالجثث

والعظام النخرة
حرفين مشتبكينَ
مثل الألف والسكون
ك
ن..!!

فصل

[12]

كان الفضاءَ
وكانت سلالمَ القيامة
وشهقة الجذور
وطوارق الليل
هجر فضاء الألوان
واشتجر مع الليل والبحر والناس نيام
كانت السموات سراويله
وشمسه البالغة الخضرةِ والورد
فهل من أحد يعرفكم فيها
أو يعرفها فيكم
وكانت هى الماء واجتلاء الوقت بالوقت
وهى هى اشتباك الريح بالريح
والجسد الحى بالجسد الحى وانفلاق الحبة بالحبة
والنار التى توقد من شجرةٍ زيتونةٍ
مباركةٍ
يكاد زيتها يضىُء...!!

فصل

[13]

كل خطوةٍ وردةٌ

وكل زهرةٍ

فضاءُ

ها هوذا جسدى فادخلوا عرشه وسبحوه بكرة وأصيلاً... (3)

ابنوا ممالككم تحت عرشى

وكونوا له خاشعين

اعترتنى رِعشة البدنِ

ومفارقة الأعضاء للأعضاء

والشمس على سرة جسمى تتفتح أسرةً

وتنفرج تويجات

ويأتى النوم فلا يكاد يعرفنى

وآتى إلى الصحو

فلا أكاد أدركه!!

فصل

[14]

وها هو ذا رحمٌ واسعٌ بحجم الأرض والسموات
تتسلل منه السلالات ووشائح القربى
وكان الطير أخضر
والغزالات سابحةٌ فى الفضاء الغويط وما بينهن دُمى وقطافٌ
من السنط
وجميز العطش
وحدائق الزقومِ
اقتربت الساعة وانشقت الأرض حاسرةً ثوبها
المملوء بجثثِ الخلقِ
وخضراءِ الدمنِ
ودودِ الخليقةِ
وسحبِ الدخانِ الأزرقِ والأبيضِ
وفوضى النهارالمملح بجذوع النخلِ
وحدائق الجنازاتِ.

فصل

[15]

هل تأخذنى سِنةٌ من النوم وغلبة الحالِ
فتأتى السيدة متلفعةٍ بهواجس الامتلاء وأعشاب السرة
والردفين الثقيلين الشفيفين
وشقائق النعمان
وأجنة الزهر ونزوات البرق...؟؟
هل تأتى السيدة التى
قرطها من دماء الشموس الصغيرة والأنجم الزهر
والخلاخيل براقة
ودمى فوق أعرافها سائل
مثل نهر من اللبن السائل المتخثر
والحمرة السامقة.

فصل

[16]

كانت الأرض نوارةً
والخلاخيل معقودةً في حمى الطير
والناس يومئذ ينظرون...
بين مصدقٍ
ومكذبٍ...
والشموس الصغيرة من غضب الرؤية وهواجس الاحتمالات
ترسم أشجارها اللؤلؤية
ومواثيقها
الأرضُ
والكائناتُ.

فصل

[17]

(أ)

كل زهرةٍ من دماء الشموس

الخلاخيل منصوبةٌ بين جرحين

والماء جار على فلكه الكائنات

وكنت أنا الشاهد الميت الحافظ الآن أسماءهم ومواقيت أوجاعهم

والنجوم اجترحت بكارتها

ودخلت وحيداً إلى عرشها وممالكها النيرات..

تهيأت للموت

أو للشهادة والصحو

همو ينظرون دمى قطرةً.. قطرةً

فوق أوراق عشب الحدائق

خوَّضت في الماء والماء

جاءت دمائى مزركشةً

وطيور الحدائق مغروسة

فى فضاء البراعمِ.

فصل

[18]

صبارة تنبت الآن فى رحمِ الأفق..!!

لهم عرش الرحمة

ولى ملكوت الشهادة

لهم غرف بحجم السموات والأرض

لا يدخلها الفقراء وأبناء السبيل والعصاة من كل فجٍ

والتائهون فى ملكوت أجسادهم الضيقة

وأوجاعهم الرحبة..

وفيها مقاعد للسمع والطرب

ومواقيت للبكاء

والسهر..!! (4)

فصل

[19]

(ب)

دخلت الأرض دورتها

والنساء افترشن قميص الشموس المزركش بالبحر والليل

والخضرة الشاهقة

انعصرن أواصر من شجرٍ

وأراكٍ..

وكانت هى الأرضُ نوارةً يتعمد فيها النهار

اليواقيت فى بطنها

والنجوم علي صدرها جثث

وعظام وأودية

ونخيلاً على ظهرها أوراق الدم

ماذا تريد؟؟

مددت يدي...

قطاف من النار دانيةٌ وجسوم من الملح تورق فى الأرض والخيل

كانت على حافر تتواثب

والشرر الريحُ

منغلقات فتوق السماوات

من يرتق الأرض فى شهوة الماء والضوء..؟؟

فصل

[20]

(ج)

فوق أعتابنا ترقد الشمس محلولة الشعر

أرخت ضفائرها المستشزرات على جسدى

وطيور النوارس مصلوبةٌ

فوق قلع من الريحِ والبرقِ

وامرأة

يتراقص بين ضفائرها المستخرجات من البحر والليل سمك الماء

حناء ألوانها

الصبحُ والليلُ

(قدت قميصى...)

طفل من الماء يخرج رجلاه من قصب الضوء

والشمس مبلولة فى قميص النهار

ترائبها قاصيات دوانٍ.

فصل

[21]

أكانت قطا الشمس – فى الغيم – محجوبةً والرياح المغيرات
معقوفةً
فى مدار السماوات والأرض...؟؟ (5)
أنا واقف فوق كومة قش وطين
دمى كان يجرى كنهر يسيل بلا أودية.. وكنت الرقيب عليهم
أحدق... (6)
أشهد على كل نأمةٍ ودابةٍ ورجلٍ وامرأةٍ وشجرةٍ وتويجٍ
أشهد علي الشمس والقمر
وهما يدوران متتابعين
وغير متتابعينِ
ولا يشهدان على شى أو ينبسان ببنت شفةٍ
على الجثث وهى تدخل معراج النفى ودوائر الإعدام وطقس
المواليد
وعفونة الحواس
وشفاعة الرؤيا
من سمعٍ وبصرٍ ولمسٍ وإدراكٍ.. إلخ إلخ
أشهد على الحديقة وليس بها من ثمر غير الجوعى
والأرضِ وهي ليست برتقالة للآكلين
وليس بها من نهر لمن أراد أن يشرب أو يرتوى
فقط هو الظمأ نهاية كل شىءٍ
وكل شىءٍ يلمع كأنه السرابْ!!

فصل

[22]

أشهد على كل أمةٍ بملوكها وطغاتها وزنازتها وعبيدها وقتلاها

وجرحاها وسجنائها وسجانيها

على الأجنةِ

وهى تستصرخ الله الذى سواها

– كائنات رخوة –

ألا تهبط إلى الأرض الأكثر عفونة ودموية

على الأرحام وهى تتقبض وتنبسط فى الخلاء

لكى تقذف بالأجنة

إلى الأرض البور

قرب شجر الوحدة وبنايات الظلم

وحيطان الخراب

وعمائر الفوضى...!!

فصل

[23]

أشهد على كل دورةٍ

وهي ترج العالم رجا

وتنثرهم جثثاً ورمما كأنهم جراد منتشر على أرصفة السموات

والأرض

وما بينهما برزخ من رمادٍ

أشهد على السمواتِ وهى تنفطر مدامع وقطراتٍ من مطر أسودَ

كأنها النعمة

والأرض تتفلت براكين كأنها القيامةُ

ولا من أح.... د... ى... س... م... ع... أو يرى؟!

فصل

[24]

أشهد على الجبال

وهى تضم الشفاه والعيون وعظام العشاق وقتلى المواجيد

على الشجرات العجاف وهى لا تمنح الظل أو تأوى الهوام وشعث الطيور

على الآدميين وهمو يدخلون قراهم – فى الظلمات – حتى إذا

أخرج أحدهم يده لم يكد يراها يكاد البرق يتخطفهم

ظلماتٌ بعضها فوق بعضٍ

ويتلصصون على النهار من فرجِ البيوت وستائر النوم الرجيم

ويفركون أعينهم بوجعهم خوفاً ورهباً

تحسبهم أيقاظاً وهم رقود

وخوفهم فى قلوبهم شجرةٌ من مسدٍ

وإذا نودوا فى الظلمات

يتحسسون قهرهم بأفئدتهم ولا يكادون يستطيعون حديثاً

وتقلبهم الشمس ذات اليمين وذات الشمال

فإذا هم كأعجاز نخلٍ خاويةٍ

لا ينظرون على الأرض أكانت مخضرةً أو غير مخضرةٍ

والسموات تنبت بالدهن

وعِهن للآكالين..!!

فصل

[25]

كل خطوةٍ وردةٌ

وكل زهرةٍ

فضاءُ

وماذا إذا أدخلونى زنازنهم وممرات هزائمهم وانكساراتهم

وغلَّقوا عليهم الأبواب

وسدوا منافذ الشمس والنجوم والليل والقمر

وأصبحتُ معلقاً بين الأرضِ

والسماءِ

لا من طائر يكلمنى

ولا من شمسٍ تدلنى علىَّ

أو قمرٍ يزورنى كل يوم خمس مرات.

أشهد على نفسى بالوجع وعلى غيرى بالمحبةِ عندئذ

أنظر كيف أغتسل والورود بعيدة

وشقائق النعمان لا تغطينى

وكلما أهم بالعصيان يجذبوننى

إليهم بالانكساراتِ والقهرِ.

فصل

[26]

أصنع وردة مخضرة من شراشيب دمى

وأعلق فى رقبة الريح أوراقها ورقة... ورقة...وأجعل على

كل جبل منهنّ جزءاً

فمن يدخل الآن بيتى

حرائقه

بالحروفِ وبالصبحِ مزدانةٌ؟؟

فصل

[27]

مزمور

انفتحت أسرة النوم

وانفرجت أسارير القنوط (7)

أقعد تحت ورق الموت وأبكى بكاء مراً فلا أري أطفالاً ورياحين

وزبداً أخضر يخرج من طور سيناء

لا تدركه الأبصار ولا تصل إليه الآذان

والسماء تويج يحترق

والأرض سلة من الخبز المتعفنِ

وذبابةٌ تغرق فى وحل المجرةِ

وتمتلىء بالأوبئة

وجرائم النهار والليلِ.

فصل

[28]

قلت أخرج عن هذه الأرض

لعلى أعثر على الماء والظلِ

أو أجد على النار هدى...!!

سوف آتيكم بقبسٍ من جوع الأرض

وحدائق القتل

ومشاتل القنص ورمل الخوف

وشجر النجوم المحتضر فلا تنظروا إلىَّ ببلاهةٍ ودهشةٍ

(كأنه الطوفان..)

سوف آتيكم كذلك بأزهار الجبالِ الذابلةِ

وحجارة السماء المحتدمةِ

المتواطئةِ.

فصل

[29]

ومشيت طويلاً تحت غيمةٍ وحيدةٍ منكسرةٍ
وكانت السموات تتفجر بالبرق والرعدِ
وأنا فى قلب المعركة
أحصى عدد القتلى
وخرائط الجرحى
وأعدُّ آهات الثكلى
فلو أن ما فى الأرض من شجرةٍ أقلامٌ وأوراق الشجر دفاتر
والبحر مداد
ما نفدت شهادات الخوف والفقدِ
والملائكة فيما بينهم يتقاتلونَ من أجل زهرة
والنوم تحت ظل تويج
والله
ممسك بزمام الكون لا يريم
ويضحك من بلاهة البشر
وحماقة الكائنات
وسخط الملائكة الصغار والكبار على السواءِ
ويزأر زئيراً شديداً فتزلزل الأرض منه
وتنهدم الجبال فتصير هباء مندكاً
ويسَّاقط الأطفال صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ
خاوية
ويطلبون الماء فلا يجدونه ولا يلمسون سوى رعشة الهواء
الأبيض لرعشة الهواء الأبيض
وتحسس الجسد الشبق للجسد الشبق
وملامسة العضو للعضو
على أسرة الفزعِ والهولِ.

فصل

[30]

وها هو نمل يزحف مثل جيش بلا ألوية..!!
فركت عينى
فرأيت ما لا عين رأت
شظايا من الشمس تخرج
وحجارةٌ تطَّاير فى الهواء
والأرض تتمرغ كامرأةٍ عجوزٍ (8) فى وحلِ الحيضِ وحمى النفاس الأسود
ومخاض الولادة
وجماع الكائنات المنفلتة من أسر الموت... والخوف
والنخل يأتى صفوفاً.. صفوفاً
متهالكةً
وغير متهالكةٍ
فلا أكاد أعرفه ولا يركن إلى ذاكرتى وموائدى المتناثرة على سرة الأرض
ورحى الشمس الدائرة كدوامة
رعب وفزع وخرافة
ويأتى إلى حجراتى متأخراً
فأطرده منخذلاً
وخائناً
والحشرات بشراهة تأكل وتشرب
من جثث الخلق
وأعضاء الجنس
والتويج ضد التويجة تتقاتل
وتشهر سيفها المصقول
ثم تغرسه فى جذر الهواء
فتتساقط قطرات الدم

ماسحة وجه الأفق

ويبكى إله في وحدته

وتنفجر صرر الماء على جزائر الأرض الممتلئة بالشهوة وخميرة

الخضرة

ثم تخلع زينتها وتتكفىء على قفا الذكريات الجريحة

وملوحة الزمن

تتثاءب

فلا تجد غير الوجع والرمم وآلام الطلق

فتتآكل الأعضاء عضواً عضواً.

فصل

[31]

كانت الريح أرجوحةً

يعتلى الطير هاماتها

والشموس الكليلةُ فى ذيلها الضوء والدم يختلجان على حافة

من جنائن خمرية

فى منازل قلبي الأثيم

النخيل به جِنة

هلْ يدلى قوائمه ثم ينشر فوق العشيبات ألوانه الداكنات ويلفح

ريح المفازة

والقنفذ الحجرىٌّ يعرى سراويله

بين شعث الجبالِ

وصفر الشموسِ.

فصل

[32]

حتى إذا أخذت الأرضُ زينتها وزخرفها
وتكحلت بشارةِ الصمتِ الأسودِ وشمس النهار المنجردةِ ووحل النطف
الميتةِ
وعظام الآدميينَ
وما يخرج من بين الصُّلبِ والترائبِ
وظن أهلها أنهم قادرون عليها
أتيناها نهاراً
على شهبٍ من خيولٍ سهوبيةٍ وغير سهوبيةٍ ونمارقَ مصفوفةٍ
يكاد البرق يتخطفها وتكاد تحترق ولو لم تمسسها نارُ
ويكاد دمها يضيء من رجفة الزلزلةِ وغرابةِ العصفِ.

فصل

[33]

وكلما أتت غيمةٌ

وأفلت نجمةٌ

استيقظت ملائكة الحلمِ

وهبطت إلى الأرض خفيفة... خفيفةً... تتواثب ذوائب قلبى الكليم

فتتبين موطىء النعمة

وشقائق الجنات والأنهار

وفتَّحت عينى على قطيفة النوم الفسفورية

وتمائم المشاهدة

وماءُ الحدقات الرحيمة يعلو ويهبط

فإذا نحن خامدون

وإذا هم يتدافعون حول خمر المواجيد

وعطايا الذاكرة

وموائد الأكل والشراب

تحرسهم أبراجٌ من فضةٍ وقلاعٌ من ياقوت ومرجان

ونورهم يسعى بين أيديهم فسألتهم:

لمن كل هذه الأرض؟؟

فصل

[34]

الشجر الطالع بين الوريد وفضاء الوريد

علامته الفوضى

وأوراقه الفيوض...!!

لمن هذه الأرض

النخلةُ القائمة على سندس الوقت

وفوق حواف الترع الجافةِ؟

الأنهارُ القائمة التى لاتنبع إلامنى ولا تصب إلا فىّ؟

لمن هذه الأرض؟

والكواكب التى انتثرت...

لمن كل تلك الرجوم التى تنبت على رأس كل طفل و كل شجرة وامرأة وتويج

وها هو حليب السماوات نار

والخطيئة آية الخلق وعجينة التكوين

فبأى خبزٍ من النار يأكلون ويشربونَ

وتتناسل السلالات

وما أظن أن تبيدَ هذه أبداً؟!!

فصل

[35]

لمن هذه الأرض؟؟

والمخافة التى أعرفها ولا أعرفها امرأةٌ بهيجة الطلعِ وحسنةُ الجسمِ والقوامِ ولينةُ الأعضاءِ والتكوينِ

والناس بين مصدقٍ لها وبين مكذبٍ...

وهمو جميعاً ينظرون إليها

وعلى بابها الحجرى المعلق بين قبة السماء المشتعلة وقمر الأرض المنصهرة

يقفون صفوفاً... صفوفاً

لا تبدأ ولا تنتهى

وهكذا هكذا إلى أبدِ الدهرِ..!!

فصل

[36]

لمن هذه الأرض؟؟

أوَ كلما أردت أن أدخل من بابٍ أو أخرج من آخرَ

وجدت عليه حرساً شديداً وشهباً

وملائكةً شدداً غلاظاً لا يسمعون نحيبى وطقطقة أعضائى

واختلاجات جسمى

وكلما أردت أن أقطف من ثمرةٍ

أو أتحزمُ بحزام الشمس اللماعة كان القاع صفصفاً

والناس نياماً فإذا ماتوا انتبهوا

وكلما مرت غيمةٌ دعوتها إلى مائدتىْ

وأقمتها على جثتى سنين عدداً

وأردت النزول إلى حافة الماء

غاض الماءُ

وقضى الأمرُ...؟!

فصل

[37]

أنا

تائه أتفصد عرقاً وأتصبب رعداً شديداً وفَرَقاً

أراود نفسى عن الأمرِ والأمرِ

وأتلو سورةَ الكرسى وأحمل فوق ظهرى أجنة الحلم وعناقيد

الغضبِ المشتعلةِ

وأحاول أن أرفع مجرةَ السماء تسَّاقط

أشلاءَ وجذاذاتٍ

فيهلك الحرثُ

والنسلُ..!!

كل خطوةٍ وردةٌ

وكل زهرةٍ

فضاءُ!! (9)

فصل

[38]

الهوامش

(1)

هى الزهرةُ الآن أدخل بين ممالكها

وأمدد جسمى الكليل الكليمَ

وأشرب من جرة الحلم

أقطف من جمرة المستحيل

الورود لظى والشموس – لظى – والعيون الأسيرة بالحلم كانت

لظى يتفجرُ

أو يخرج الورد من بين أطرافه ميتاً/

خائفاً يترقب

هل كنت أنظر؟

فصل

[39]

دمى كان أخضر والمطر الطير

هل مرت الريح مغسولةً

فى فضاء دمى

والظهيرةُ محلولةً فى قميصى؟!

من أدرج الريح تحت ثيابى

وأدلج فى الليل هذا النخيل

وأخفى البروق بجسمى

وعلق فوق ذوائب شعرى النجوم؟

هى الزهرة الآن أدخل بين ممالكها

وأمدد جسمى الكليل الكليم

أكانت شقائقها كالدهان؟

فصل

[40]

كانت الريح مصقولةً بالعصافير فى مطر الفجر

والأرض مغسولة بغرائز أعضائها

والشموس عليها سوار من النارِ

قبرة

وملاك يضمد بالورد جرحى

ويطلقنى...

فى فضاء النهارِ..!

فصل

[41]

(2)

شجر فى تراب البلاد الندى ثوبه

والمدى خيمة من غبارْ

كيف جاء إلينا؟

واتشحنا بألوانه

فالفضا جرحُهُ

والسماوات من عرشه المستعارْ؟؟

اركبى فوق هذا الرداء

– انتزعت سرابيله من طقوس الرمالِ –

ناقتى كانت الريح

والأفق قافلتى والشموس دليلى

فاقطفى وردةً من قميصِ دمىْ

وردى على الأرض بعض الرداء!!

فصل

[42]

... اقطفى

واغرسى نجمةً فى سمائى

وكونى إذا أقبل الليل معبودتى وجحيمىْ

– امنحينى على الرمل

شكل الفضاءْ –

شجر فى تراب البلاد

أكان الندى

ثوبه

والمدى خيمة من غبارْ؟؟

فصل

[43]

(3)

جسد يفصح عن حقلٍ مملوء بالحنطة

والأشجارْ

امرأةٌ

تجمع جمار النخل

وتلقى لفراشات الضوء

شقائقها

هل من رجلٍ يعرفها

فى هذى الساعة من غزوات الليلِ؟

طفل يتوضأ تحت ينابيع الشمس

ويقطف ورد الأنهار

ويحلم بسكينته
هل من أحدٍ يعرفه حين يهز الصبح الأبوابَ؟
هل راود نخل عشاقَه
أو قام إلى جنب مريديهِ؟؟

فصل

[44]

قمرٌ يرقد تحت الجذع
ويرسم تحت السرة شكل امرأةٍ خضراءَ تكون بلاداً وسماواتٍ
جناتٍ
وأراضينَ
وتفتح نهراً ما بين السرةِ والأشجارِ المتطاولة
على جسر النهرِ
ونهراً
ما بين الأشجار المغروسة فوق السرةِ
والأحجارْ
من ينقذ قمر الماء؟
ويحمل عن بعض العشاق مواجدهم؟

فصل

[45]

هذا النخل الراقد بين الجنيات ومطر الليلِ الأحمرِ
كان الجسد الطينى نخيلاً وعيوناً
يتفجر منها الماءُ...
قمر يلقي بتحيات الوقت إلى الأجسادِ
وجسد يلقى بتحيات الأجساد إلى الأجسادِ
فهل من أحد يعرفنى فيهم
أو من أحدٍ يعرفها فىّ؟؟

فصل

[46]

(4)
زهرتان تشرقان من عينيكَ
والحروف دمنةٌ
على الكلامْ...
والمدى شجيرة تظلل المتاه
هل رأيت نارك التى أشعلت فى الظلام
أم شربت من معرة النعمانِ
كأسك الحرام؟
فارتويت...
وانسللت من خبائها
تريق قطرةً من السواد
فوق ثوبها المدهون بالعظام
والدماءْ

فصل

[47]

والحروف أمةٌ

تؤمها فى كل ليلة ويسهر المداد فى عروقها

وأنت قائم تراود الكلام

عن كينونة الكلام

تمسك الحروف أن تميل

عن غيابة الحروفِ

والسؤال...

فصل

[48]

هل أتاك ضوءها فى وحشة الظلامِ

أم سكنت خلف بهجة الرؤى

دجنةً

تسح ماءها سدى على الرمالِ

أو تويجة – وحيدةً – فى غمرة الصحراء؟؟

أأشرقت بنور شمسك الخضراءِ غابةُ الحروفِ أم صليت فى

متاهة البشر؟؟

أأورقت عيناك

حينما توهج الظلام

خضت فى دما الكلام

أم رأيت وحدك الحروفَ أمةً

تطلُّ من وراء قهرها

فصل

[49]

وأنت بين الماء والصحراءِ تائةٌ

تكلم الكلام عله يصير وردةً

وتعصر التراب بالترابِ

من أدراك أن الورد فى نهاية الطريقِ والمياه

تحت أرجل الخيولِ؟

هل رأيت وحدك الحروف أمةً

وأرؤسا

ميالة

فى معطف الرياحِ

أو مغروسة فى مقبض البيوت

والجسوم خرقة

من الردى؟!

فصل

[50]

وأنت قائم بالليل فى المحراب

تفصِّل الكلامِ

بالكلام

أو تداهن الحروفَ بالحروف

أم تفتش النجوم عند يثربٍ

وتضرب الرمال بالرمالٍ

أم ظللت فى سكونك القديم كالإله

تراودالكلام عن كينونة الكلامِ

تمسك الحروف أن تميل عن غيابة الحروفِ

والسؤالْ

والمدى شجيرة تظلل المتاه...!!

فصل

[51]

(5)

شمسٌ ويواقيت

امرأة تغزل من عشب السرة

شجراً أبيضَ

وسماواتٍ

ونهارٌ يتفصد عن رغبات حارقةٍ

ومسراتٍ

زهراتٌ بيض

يطلعن عرايا وخفيفاتٍ

فوق الرمل المبلول الناعم ويحاورن القمر الصيفى الأبيض

ثم ينمن إذا انتصف الليل

وأخرج آخر نجم

شطآنهْ

فصل

[52]

جبال تغرق فى هدأتها

– قائمةً

كالأطوادِ

يمامات خضرٌ تغدو طالعةً من بين جلابيب الماء وتمرق من فوق

حدائق قلبى

وسماواتٌ

دانيةٌ

ترسم بالكحل عليها

لونَ امرأتى

وحبيباتى

جسدى يفصح عن رغباتٍ

لا حد لها.

فصل

[53]

(6)

سيدُ الضوءِ

يزرع أرض المخافة نخلاً

وزيتونةً

وكلاماً

المدى زهرةٌ فى يديهِ والفضاء الحطامُ

هل تكون الفلاة التى بين جنبيه ناراً

يصلى

لريحها أو يصومُ...؟؟

أم كتاباً حروفه من جحيمٍ

وجواباً

عن الجوع كان الفطامُ...؟؟

فصل

[54]

سيدُ الضوء

يقطف النارَ حينا

وحينا

يزركش الأرضَ بالموتِ أو يشعل النار فى الريحِ

كى يستقيم الكلامُ

آه...

يا سيدَ الضوء...!!

أنت سميتنى خائناً

وأنا قد تبعت خطاكَ

– ... فسلام لك من أصحاب اليمين

وسلام لك من أصحاب الشمالِ... –

سلامُ.

فصل

[55]

شجر الضوءِ باسطٌ جرحه فى يديكَ والمسافة مطوية فى يمينك
والأرض تلك التى
لا تزال كما كانت عليها من الغبارِ ركامُ
فاقطف النار يا سيد الضوءِ
وازرع وردةً فى قميص الرمالِ
المعبأ بالخوفِ
وانثر على الجبال دماك
-... ثم أذن فى الناس بالجوعِ
يأتونك سعياً
وعلى كل
ضامرٍ...
يأتين من كل فجٍ عميقِ
ليشهدوا كسفا من روءوس هوت تحت أعناقها
وبلاداً..
يلفها فى النهار الظلامُ

فصل

[56]

شجرُ الموت طالع فى كل أرضٍ

وعلى كل زهرةٍ

آثامُ

والرياح اليواقيت موءودةٌ فى فضائك

مثلما تقتضى الأيامُ

هل تستثير الرياحَ المغيراتِ صبحاً

والنجومُ

الجسومُ

فى بردتيك احتدامُ؟!

أنت سميتنى خائناً

وأنا قد تبعت خطاك

فالشمسُ

كانت طريقى

والأرضُ

كانت سماكَ...!!

فصل

[57]

(7)

أعرف أنكِ الأنثى

تناوش جسميَ المنهوكَ بالأعضاءِ

والشهواتِ

تنسجنى خيوط دمٍ

مفتتةً

وتجعل من قميصى الأبيضَ المغسولَ بالرغباتِ

مئزرها

ونفس قميصِها المنسوجِ

بالرغباتِ

والشهواتِ

تدهسنى إذا انحلّ النهارُ الأبيضُ المغسولُ بالرغباتٍ

والشهواتِ

هذا الورد يجرحنى

فتغمس قطنها المصقولَ

بين دمى

وعطرِ الليل

فصل

[58]

هذى الأرض ضيقةٌ

وواسعة عليَّ

ولا نزال على صراط الموت معتنقين

قرب شقائق الصبارِ

والصبواتِ

نبحث عن حظائرنا المليئةِ بالوعول البيض

والشجراتِ

فى دمنا نفتش عن خطوط اللهِ والأسماءِ

نمسك يومنا المبتلَ بالمطرِ الجميلِ

وبالكلام الحلوِ

والزهراتِ

آنيةً

وأيقوناتْ...

فصل

[59]

أعرف أن مئذنةً بحجم الريح

أن حمامة بيضاء

تهبط من فضاءِ الروحِ

– آتيةً –

من الجناتِ

والأنهارِ

تعرض عطرها المفضوحَ بين دمى

وعشب الأرضِ.

فصل

[60]

(8)

يتوضأ شجرٌ أخضرُ بين دمى

وسماواتٌ بيض يغسلن عباءتهن على ساحل ذاكرتى

قمرٌ يتسلل فى الليلِ

كطفل برىٍّ وينادمنى

أتواطأُ ضد الأوراقِ

وشجر النخيلِ وهذا النهرِ

وأحمل صرة موتى مثل القديسينَ

وأيقوناتِ الرهبانِ

وأترك فوق سراويل الريح

قياماتىْ

وأودعكم مثل الملاحين

فتتفجر سماواتي

ناراً أو جناتٍ

فصل

[61]

ويمر يمامٌ مثل الخلق كثيرٌ

أشعل فيكم بعض علاماتى

أمشى فوق الماءِ

وقطع النارِ

وآتيكم – محجوباً بالشوكِ

وبالدعواتِ

وأسكن فيكم –

فانتظروا أن تجدونى فوق جذوع النخلِ قتيلاً مغسولاً بالوردِ

وبالصلواتِ...!

فصل

[62]

طيراً مصلوباً يعبر بين الورقة وفضاء الورقةِ

وجهى فى المرآةِ

– أغربةٌ –

ووطاويطُ

جسدى يصبح أيقوناتٍ

وسماواتٍ

تنضح بالخضرة والألوانِ

شموس يتقاطرن نجوماً

وبحيراتٍ

وامرأتى مفتحمةٌ

فى برجٍ من أحجارٍ أو نارٍ

فصل

[63]

أحياناً تصحو فى الليل
فتغرس فى لحمى وردةَ حنطتها
تمزج ما بين البحر
وبين قطيفات السرةِ
ما بين السرةِ
والأيقوناتِ
أفتش فى ذاكرتى عن هذا النهر وهذا النهرِ
وأرسم فوق الجدرانِ
امرأةً أخرى
من سعفِ النخلِ
وخبزِ الفلاحينَ
وأحجارِ البنائينَ
ومن شمسٍ مائلةٍ
فوق جنائن قلبى
وسماواتى...

فصل

[64]

أحاول أن ألمسها

ينفجر الليل شظايا

ومجراتٍ

هل هذى الأحجارُ من الوردِ وهل هذا الوردُ من الأحجارِ؟

هل أفتح عينى

أم أغلقها؟

وامرأتىْ...؟!



الخضراء أحياناً تسمى الوردة

فصل

[1]

زبدٌ يستعيد استداراتِهِ

ثم يغفو على الصدر والبطن والسرتينِ

فهل تستريح النهارات فوق انكساراتِهِ؟

أم سماءٌ تخيم تحت انحناءاتهِ؟؟

ربما زبدٌ يستريح إلى زبدٍ يستقيم إلى زبدٍ يتعالى به الموج شيئاً فشيئاً

يصير امتداداً لشمسٍ تعرش أفياءها فوق صدر من العاجِ واللوزِ

تاجٌ

به يبدأ النهر والسهل بعض اقتراحاته

هل يكون سلاماً...؟

نداءً من الروح تشهق إثر اهتزازاتهِ؟

فصل

[2]

خضنى اللون

حين انتزعت القميصَ عن الصدر كانت يماماته تتأجج شوقاً

غواياته ينكشفن أمامى سهولاً

أأدخل أم أتراجعُ؟؟

بان لى البحر

وانكشف الستر

هذا الذى تتغطى به الفستقات اللواتى تفتقن فى الخضرةِ المطلقة!!

فصل

[3]

استرحت قليلاً
وأومأت للجسد البضِّ أن يتبعنى
كانت زهورٌ تنبِّت فى القلب والراحتين
ونخل يساقط أثماره
حبة.. حبة (كلى واشربى ثم قرى سلام عليك..)
ويسقط فوق التويجات تلك التى تتغطى بعطر السماوات
والأرضِ
نار تفك عراها
ونار بها تبدأ الأرض في الدوران
من ...؟؟
قلت: وعل يؤم رءوس الجبال
ويبحث فى القفر عن سوسنات
وظبى يطارد ظبية
.. سراب كثيف يغطى سماءً ورمل يطاردُ رملاً
وهذا هو الغور صدرٌ وردُ
أكان الرعاء انتهوا
والمضارب خلَّت شواغلها
واحتمت بالقبيلة هذى النجوم المغيرات
ليلاً؟!

فصل

[4]

من..؟

استطالت وحلت ضفائرها تحت وهج الشمس

انكشفتِ لنا والنهار احتمى بالنهار

فمن نبه القوم للسانحات الجوارحِ؟

أرخت على الصدر والبطن والسرتين خصيلاتها

فافترقن خيولاً

تطارد من يقترب

وانثنى الجذعُ

بانت بلادٌ

وحطت شموسٌ

غبار أتى من وراء السحاب الشفيف وها هى ذى

كان ليل يخيم فوق الجبال

(.. فمن سيعيد انتماءتنا للبلاد التى هجرتنا)

وراحت تنكر أشكالنا

فوقنا

أو كنا هجرنا مساكنها

ثمَّ شعب به يسرح الأيل قرب العشيبات

نوقٌ تحث خطاها ورحل يتابع سير النياق العصافيرِ

ريح تحط على هيئة الطير

مثنىٍ.. وثُلاثَ ورباعَ...!!

فصل

[5]

قالت: سلاماً....

فأومأتُ للركب أن يتوقف

أصغت لها الريح والطير

والشمس دانت لها جنتين من نخيلٍ وأعنابٍ

ألوف من الطير ترقب

هذا أنا أيها الركب أدلف نحو المدائن مزلزلات رواجف

أغفت قليلاً

فأنشد بعض السراة:

(لا تقل دارها بشرقيِّ نجدٍ كل نجدٍ للعامرة دارُ.. ولها منزل

على كل ماءٍ

وعلى كل دمنة آثارُ..).

فصل

وقفة

[6]

الضفائر مبتلة بالحرائق والغيم سجادتان من العشب والورق

الأبيض الداكن

المتراكض تحت السماوات والليلِ

والعينُ

غمازتان اثنتان تحطان قرب النوافذ والبحر

والشمس هذا القميص من الدم ألبسه

والفم والشفتان اشتهاءات بعض العصافير في غسق الليل

والنهد – زنبقةٌ – تشرئب على جسدٍ يشرئب على جسدٍ من

زجاجٍ وعاجٍ

وها أنت لؤلؤةٌ بالتويجات مغموسةٌ فى غبش الصبح

والعاج

هذا الأسى المترجرج

يهتز أو يتوهج تحت يدىً كفقاعةٍ من هواءٍ حميمٍ

وينحلُّ فوقى رذاذاً ثقيلاً من الماسِ

واللؤلؤ الحامض المتعصِّرِ

والنرجساتِ

فصل

[7]

وهذا هو الشَّعر مثل الخلاخيل والوردِ
من يستضيف الرياح له؟!
فالسموات به يحترقن أسارى
فهل أنتِ لى
مثلما أنت للماء والأرض
والخضرة الغامضة..؟؟
أم أنت كما أنت هذى المليكة
سيدة طلعها من دمى نابتٌ
بين أرض المسرة والعشق
زاهٍ
نضيدٍ..؟؟
فهل أنتِ لى يا امرأة؟
آه يا امرأة الخضرة الشاهقة..!!

فصل

وقفة

[8]

يصهل الفرسُ المتوجسُ حين يطارده البرقُ

هل كانت الرغوة الجبلية ناراً تراءت لنا من فتوق الظلام

فأنست القلبَ

وانفرجت وردةً

تتطاير أشلاؤها فوق أشلائنا الطافيات على جسد الماء

كنا انحللنا معاً

وانطرحنا على سُرَّة الرملِ

كانت طيور من الضوء والفضة المرمرية تعبر

ثم تحلق راقصة فى الفضاء البهيج

افترشنا الندى جسداً

والمدى قمراً

يتفصد عن رغبة العشب فى الانطلاق النهائى

ثم انطلقنا

وعند الصباحات كانت تظللنا كالحديقةِ

أجسادنا.

فصل

[9]

ربما لم نغب زمناً
أو بعدنا عن الأرض
كل الزمان تجمع في قبضة اليدِ – مثل الوريقة حين تدحرجها
الريح
قرب النوافذ
أو عتبات البيوت
أو لمتُ وقتاً فآلمت قلباً
وهيأت للزبد المتأرجح – نخلاً به يصعد الضوء سلمه..
فاستراحت خيولٌ
وحطت طيورٌ على ساعد النخل خضرٌ وخضبت
الشمس أطرافنا
فانحللنا كلؤلؤتينِ اثنتينِ
تدحرجتا صوب غور المودةِ
ثم انعصرنا رحيقاً من الماس والخمرة المطلقةِ
والسمكِ الأبيضِ المتوحش. ..

فصل

[10]

هل كان خيطاً من الضوء يفصل ما بيننا

والنجوم التى تتراءى على ساحل البحر فى الفجر؟

أم كان خيطاً من النار يجثم فوق أعنتنا ومدائن أجسادنا

قصباً

– من حدائقَ مغمورةٍ بالتويجاتِ –

حين تصفقها الريح

والنرجس المبتل

والخضرة المترعة؟؟

آه...

أعنابنا تتساقط فوق أسرتنا وهوادجِ أجسادنا خمرةً

أوكنا افترشنا الندى جسداً يتفصد عن رغبة العشب في

الانطلاق البدائى

ثم انتفضنا

وعند الصباحات كانت تظللنا كالحديقةِ

أجسادنا؟!

فصل

وقفة

[11]

كأوديةٍ من جحيمٍ حميمٍ تهبط المرأة المستريبةُ فى داخلى

ثم تطلق طيراً حبيساً وراء الشبابيك فى غرف القلب تأخذها

برهة

هدأة

وتفك ضفائرها المستشزراتِ على حممٍ من جحيمى الحميمِ

فقلت: إئذنى لىْ

فقلبت القلب بين يديها

وكانت حمائمها سافرات

دوانٍ

يراودننى عن دخول الحديقة فوق الأرائك والغيم

وازورت الشمس عن داخلى

فاحترقتُ.

فصل

[12]

لمن كل هذى الشقائق مزدانة بالبنفسج فى غبش الصبح

والورد فى غسق الليل؟؟

كنت تحسست جسمى

فأزَّ طويلاً...

وفار على ساحل من دخانٍ

وماءٍ

ومرت حمائم برية من فوقها الطير يلهو

دمى كان أخضر

وجهها كان أبيض مثل الشقائق فى الصبحِ.

فصل

[13]

هذى العيون أسارى
الشموس انتثرن حدائق من عنبٍ وأريجٍ
مودتها أم دمى شاهد فوق قمصان أحيائها
وغزالاتها ينتفضن أمامى عرايا
وفوق مشارف جسمي ينمن
وقد خضب العشق أطرافهن فجئن إلىّ بلا وحشةٍ
فصوبت سهمي لم يستجب لى
وصوبت طاشَ
وصوبت ثالثةً
– فاسترابَ–
وحوَّم فوق جناحى الكليلِ الكليمِ.

فصل

[1 4]

وطارَ

وحطَّ

ارتدى داخلى

فارتددت..

وأردينني

فارتديت دمى...

ثم قلت: ائذنى لى...

قالت المرأةالمستريبة:

هِيت لك...!!

هـُ

ى

ء

تُ

ل

ك

هييت لك..

ما أقتلك..

ما أجملك!!

وكأوديةٍ من جحيمِ حميمٍ تهبط المرأة المستريبةُ فى داخلى.

فصل

وقفة

[15]

أمسك شجرةَ جسمي أن تنهارَ على شجرةِ جسمك

أتشبث بالجذعِ

وبالسرةِ

أتعلق فيك كما أتعلق فى آخر أعضائى

أتمزغ تحت سماء بفضاءين

وأحلم تحت شموس بسماءين

أداهنُ جسمى بالغيبوبةِ والصلواتِ

أفارقكم فيها وأفارقها فيكم

هل جسدٌ وطنٌ أسكن فيه أم وطنٌ جسدٌ يسكن فيّ؟

أسرِّح خيلى كالرهبانِ

مساءً

كى ترعى فى أعشابِك

وسماواتِك.

فصل

[16]

هذا السهل الجبلىّ

الزغبُ الرطب على أرض السرةِ

والرائحة البيضاء المنتشرة فوق مسارب جسمى

وخلاياىَ

وأوردتى

أعشابُ الإبطينِ

يمام البر المتنقل فوق الجسد الجسرِ...

وتفاح النهدينِ

ورائحة الصندلِ

والعاج المحروق على جسدى المبلولِ

وهذى الأسماك – المتوحشةُ – الخضراء

الخلجان المملوءة بقناديل البحر

وزهراتِ البشنينِ.

فصل

[17]

ألفلفُ جسمى بالرغبات المطمورة والآلامِ
وأختبيء وراء الأكمةِ
كالقط البرى المتحفز
عيناك الوردُ وزهر الآكامِ
أشبك وردة جسمك في سترة جسمى
أو أشبك
سترةَ جسمى فى عروةِ
جسمك
أرفع راياتى المثقوبةَ بالريح
وبالدعواتِ
وأعلن عن فرحى
ومسراتى
أطلق آخر صيحاتى حول جزائر بدنى المعتمِ
وسفائن جسدى الغارقةِ
وأدعوكم
أنفجر رماداً
ويواقيتَ.

فصل

[18]

لحظتانِ

وينفلقُ الضوءُ

ثم يعود إلى كوكبٍ مِن سماءٍ رماديةٍ والشموس به يحتفلن

أسارى

الغزالات سابحةٌ فى الفضاء الـــ ... الغويط

وهذا هو الركب يأتى بعيداً... يطوف على كل وادٍ

– حتى إذا أتوا على وادى الـــ ... قالت..–

ترى قادها البرقُ

أم دلها النجمُ صوب طرائقَ من ذهبٍ وحريرٍ؟

قطاف من الورد والقز

أينع فى ركبهن

وزينَّ لى وحشتى فانتبهتُ

– وطفن على طرف قلبى فراشاً كليماً

– وما مسنى من لغوب –

وحذرننى بالسكوتِ انتبهت... لماذا أنا؟؟ ولماذا أنا؟؟

فصل

[19]

– أنا صاغر كالنيازكِ مغروسة فى السديمِ القديمِ – ابتدأن كما راقصات الملوكِ

يغنين لى عشقهن ويرقصن حولي فرادى

على خضرةٍ من جنائن قلبى

وفتحن لى بابه فانحدرت

– ادخل الآن هذى الممالك مطويةٌ لخطاك وأنت المليك بها والملاكُ

استرحت قليلاً على البابِ

أوقدن لى شمسهن

وأوفدن لى نجمةً

مصطفاةً –

فحطت على طرف ثوبى القديمِ

وشقت قميصىْ

ترى هالها الجرح لما رأت وازدهت بالدماءِ الجوارحُ

شقت قميصىْ

وخاطت خطاى إلى خطوهن؟!

انفضحتُ إذن

وانكشفت أمام العذارى.

فصل

[20]

يا أنتِ..؟؟

أنا واحدٌ بينكن أسير

ضحكن

وأغرقننى فى بحيرة ماءٍ أجاجٍ وأخرجننى

ثم أغرقننى فى بحيرة ماءٍ فراتٍ وغسلننى بطيوب الحدائقِ

والأقحوانِ

فنمت

وقلت: ارجعونى إلى أهل بيتىَ كى يكفلونىْ

فنادت على جمعهن

وجئن فرادى

وأدنين لى قاعةً من مرايا

أذى لجةٌ أتخوَّض فيها؟؟ سأغرقُ

تحلقن حولى

وغنين حتى انتهى وصلهن إلى وصل قلبى.

فصل

[21]

– أنا نائم يا صبايا الجبال الطريداتِ

خلين بينى وبين متاعى القليلِ

– وصحوى –

فأيقظننى من رقادى الطويل وقلبت أمرى

وكانت شموسٌ بعرض السموات والأرض تهبط حولى قريباً

ومرّ يمام كثير

وحط حمامٌ على زهر قلبى

– سنابله يانعات قطاف –

ونفَّض عن متنه جمرات الطريقِ

وأوعزت للقمر البض أن يتبعنى

فهل أفرخ الآن هذا اليمام الكثير

ومن ذا الذى دله أن ينام على زهر قلبى

وفوق حدائق

جسمى

يقومُ؟؟

الجسد شيخ الوقت

إلى اكرام عبد الحليم

فصل

صيرورة

[1]

الشمس صائرةٌ باتجاه السيد الجسدِ

وأنا صائر باتجاه السيدة الأولى

الأرضْ

ينصب الجسد خيمته باتجاه الروحِ وعلى امتداد السمع

والبصرِ والفؤادِ

وينتصب مثل نافورةٍ

خضراءَ

وهو قائم يصلى فى متاهات أوديته ونشوتهِ

وعلى حواف محبتهِ

كيف أبنى هزائمى وأوجاعى على مرأى ومسمعٍ منه

فلا هو يرتقى إلىّ ولا

أصعد أنا نحوه؟!

فصل

[2]

يتعب البحرُ من شجر الماء فى الليلِ

فيبتكر شواطىء النهار

وأتعب من شجر البحر فى الليل والنهار فأبتكر كلماتىْ

وأنكفىء على امرأةٍ بعينها

فأكتبها فوق جنتى

وجحيمىْ

وأقعد تحت شجرةٍ وحيدةٍ فأستظل بها

– فى نهار صائف

وفوق صحراءَ ضارية –

إلى أن يقول السيد الجسد كلماته

حتى أتعب من النظرِ والسمعِ

ولاتجىء أو تروح

فلا أعبأ بمن يجىء أو يروح.

فصل

[3]

أمسك بقميص الشمس والريح المضيئةِ المنطفئةِ

وأكتب فوق جسد السيدة الأولى الأرض

هنا كانت قيامته الثانيةُ

هنا كانت تحولاته واخضرارهُ

وزمن شروقاتِهِ وأفولهِ

وهنا ابتنى السيد فكرته

وأنا

واقف أرقب تحولات الجسدِ وانحسار الروح

عن شهوةِ السيدة الأولى

الأرض...

هل أنا صائر باتجاه السيد الجسد وفتوحاتِهِ؟؟

فصل

[4]

ترسم الشمس على جسد الذاكرةِ امرأةً تعدو تحت سماء بيضاء

وليل شاسع بهيم ولا أحد

والمرأة واقفة تحت قرص الشمس

تنسج خوص النخل عرائس من زبدٍ لصبيات يتوافدن على سلم الذاكرة

عرايا

ناعمات الطرف

ومفتولات الجسد كالحرابِ

ويخرجن من كل جانبٍ

وعلى جسم كل امرأة منهن وشمٌ

من فراشٍ طائرٍ وقمرٍ محترقٍ والقمر يتسلق فضاء الحكايات

وجثث الذاكرةِ الهرمةِ

وفى ليالى الصيف المصقول بالذهب والفضة يأتين

وبنات الحور يصفقن على سعف النخلِ

ويرتمين كالحياتِ على جسد الأرض.

فصل

[5]

رغاء يخرج من إبطِ الشمس كالماساتِ ولا أحد يراه

سماء تنفتح عن أولها وآخرها

فإذا المرأة تعدو

ولا تنكشف إلا ليْ

وعند رأس كل وردة صغيرة وتويج

تضع قمراً مضاء

وسماء مخصوصةً لشمسٍ مخصوصةٍ لا يدخلها إلا أناس

مخصوصونَ

ولا تنفتح

إلا عندما تشيرُ أو تقومُ.

فصل

[6]

جبالٌ شاهقةٌ تقيم صلوات غامضةً فى انتظار امرأةٍ تعدو

وما بين كل جبلٍ وجبلٍ

متاهةٌ

ومغارات بأوديةٍ

لرجالٍ ونساء كثيراً ما

يتقاتلون فيما شَجَرَ بينهم

عن أى امرأة هى؟!

وعند أى كوكبٍ تقيم

وتحت أى سماءٍ ترقص

ومن أى ذرةٍ تجىء

وعلي أى المهارى تقطع المدنَ والفيافى

أفى الليل أم فى النهار

وما هو لون دابتها وفى أى صَدَفَةٍ تقيم طقوسها

وتخفى أسماء عاشقيها

رغاء يخرج من إبط الشمس كالماساتِ

وعلى جسد الذاكرةِ

ترسم الشمس امرأة تعدو.

فصل

[7]

كيف أحتفى بجسد امرأةٍ ما وأصعد سلالمها خطوةً خطوةً

وعلى تضاريس جسدها يكتب الزمن تصوراتِهِ

وأخطاءه

ويعض أغنياتهِ

إلى أن تحل المرأة – فى جسمى – كالياقوتةِ الخضراءِ

فأنفض عنها غبش الوقتِ

ورداءة الطقسِ

وتصدعات الجسدِ

إنها الفقد والغياب

وتراجع الزمن عن أخطائه وتخوفاته

كيف تتخطى أيها النهار حواجزَ الليل

وتتخطى أيها الليل

كوابيسَ النهارِ؟

بيتها: سلة من الورد الأبيضِ

والذهبِ الإبريزِ والزمردِ الأخضرِ والأرجوانِ المدهونِ باللبن والطريقُ إلى بيتها

مشكاةٌ غامضةٌ ومدائن لا يدخلها إلا إياى سأحتفى بها وحدى

أيها الليلُ

وبيننا الماء والنار

على قيدٍ ذراعٍ

وما لها من خبز عندى سوى زمردات الروح.

فصل

[8]

آيتانِ

تخرجان من صدفِ الوقتِ

– آيتها الجنة الجحيم والجحيم الجنةُ

عليّ من آثارك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت –

سأفتح – لكَ – الطريقَ إلى جسمها لترى ما لا يُرى

الليل والنهار قبتان

تكشفان

عن صلابةِ الجسدِ

وتؤرخان للغاته الكثيرة وحضاراتِهِ المزدهرة ومفاتنه الليلكية المشتبكةِ

وقممِ ثلوجهِ الغارقةِ الطافيةِ

الجسد قرارةُ موجةٍ

وبدايةُ طوفانٍ

وأنا أنتظرها عند بوابة المرايا

هيئوا لها عرشها

واتبعوني

إذن...

فصل

[9]

تهيئى إذن أيتها المرأة لىْ
واكشفى لىَ ما خفى من كتابة الليل وكلام النهار
تهيئى إذن واكتبينى
مثلما تكتب الريح أسماءها وشاراتها
على واجهاتِ البيوت وشجر الحيطان ونوافذ الأرقاءِ وقوائم الأسرى
إنها المرة الأولى التى أرى فيها امرأةً بطعم السمواتِ والأرضِ
تعرفها من الرمزِ بالإشارةِ
ومن الإشارةِ
بالرمزِ
وهى موصوفةٌ لىَ وأنا موصوف لها
سيل مجازات واستعارات ولا تكاد تُبينُ...
المرة الأولى التى أرى الشمس تجرى لمستقرٍ لها وتقعد عند قدمىْ امرأةٍ ولا تأفلُ
– القمر لا ينام إلا متبرجاً وثملاً تحت أسرة نومها وفوق أرائكها
ولها عرشٌ بهيجٌ من الليلك واليواقيت ولها عريشةٌ من
الأرجوان الناعم والحجر الكريم –
وهى غير هيابة منى
ولا– هى – أوابةٌ إليّ.

فصل

[10]

كيف أدَّثر بكِ أيتها المرأة
وأرعى قطعانك اللانهائيةَ
إلى أن تفيحَ الظلال وينهزم النهار؟!
هأنذا أدَّحرج إليك كالياقوتة المنجرحة وعلى منحدراتك أقوم
كالمصلوب فأدعوك إلى جحيميْ
وأقول هذه امرأتي رُدّت إليّ وإليها يرجع الأمر كله
هأنذا أكتب على جسدي:
أنت محياى ومماتيْ
تهيئى إذن أيتها المرأة
وعلميني شهوةَ الحضورِ والغيابِ
جسمك قبة غاوية ولها ألف بابٍ
وبابٍ
وأنا أتطاير إليكِ كالفراش المبثوث
فلا أحطُّ أمامك إلا وأنا جريحٌ أو كالجريحِ إلى أن أموت وأشهد
قياماتي فيك
وقياماتك فيّ
ولا أدلّ عليك إلا بكلماتك أيتها المرأة المتسربلة ببقايا دمي
وكلماتي...

فصل

[11]

هل أصطنع لغةً خاصةً لا يشهد مولدها إلا إياى

ولا يفك رموزها سواكِ أنتِ

أيتها المستحمةُ ببقايا البرق

وكلام الأسرةِ

وشقائق النعمةِ

كيف آتى إليك فى غسق الليلِ

وأصعد نحوك كالتائه الضلّيلِ

وأهيىء مفاتيح جسمكِ بيدىّ إلى أن تقوم الرو ح مترجلة ثملةَ

فترجنى رجاً

وتوقظنى من سباتىّ العميق لتدخلني فى غَيَابَةِ الجسدِ

وهو ثملٌ وسكرانُ

فلا يقومُ إلا ليقعدَ

ولا يقعدُ إلا ليقومَ.

فصل

[12]

أما من لغةٍ واحدةٍ فأعرف بها مفاتيحك

وأفك رموز كلماتك

وأحصى عدد أوقاتك وفضاءاتك

أيتها المرأة:

كيف أزرع تحت جسمك شجرةً وحيدةً لتكون مقامىِ؟

وما من طائرٍ يطير إلا وعندها يتوقف ويتذكر حكاية الطوفانِ

هذه

وتحت سقف بيتها ينام نومةً بهيجةً

وثملةً

إلى أن تطلعَ الشمسُ من المغربِ

فتقول الشمسُ

لمن هذه النجمةُ المضاءةُ المستترةُ؟

ويقول القمرُ:

أيتها الشمسُ

يا مليكةُ

امرأةٌ بهذا البهاءِ

وتسكن فى الأرضِ؟

أيها الجسد: هل ترثُ شريعةَ الأرض وتقيم نوافذَ النهارِ؟؟

فصل

[13]

إنه الجسد..

يفصح عن تأولاتِهِ وتنزلاتِهِ الليليةِ وشعائرِهِ

فوق بنايات الوقت المثقل بالجنونِ والحزنِ

ثانيةً...

كيف أكتب الجسد

وأدون فوق كثبانه وأراضيه أسمائى وشاراتى هنالك ثمة قاراتٌ غارقةٌ

وعلى كل قارةٍ نجمةٌ وحيدةٌ لا تشرق إلا بعد فوات الوقتِ

وعندما ينحسر الماء أجىء كطوفانٍ

يحمل أعشابه

وتخمراتِهِ.

فصل

[14]

هأنذا أطأ حوافّ القاراتِ بخياشيمى

وأمد جسمى

فأرى سفناً ملقاةً...

تحملنى إلى ما وراء الجسدِ وتنزالاته الليلية

وشعائرِهِ.

سأحمل فى يدى مشكاةً

من حروف طافيةٍ

وخاصةٍ بى

وأضع على رأس كل حرفٍ

هلالاً صغيراً يحمل قرصاً صغيراً من النهار

وكبريتِ الماء الأحمرِ

فيتمتم بكلماتى إلى أن أعبرَ المضيقَ

وأتخطى حواجز الجزرِ

وأقيم مناراتىْ.

موقف الغياب

إلى عزة وهذا اسمها يكفي

فصل

[1]

شجرٌ من الدخان يزهر – أيطلىْ ظبىٍّ وساقىْ نعامةٍ –

وأنا أفتش فى فضاء الورد عن لغةٍ أضم حروفها

وأكون بين تويجها شمساً

تُعَمَّدُ فى فضاء الكونِ

أصعد سلماً فى سلمٍ

أكذا سينفجر الرماد المر فى حلقى

وتبدأ هذه الأفلاك فى الدورانِ

والرقص الفجائى المغبش بالعماء الغفل؟

أدخل غابة اللبلاب

تفجؤنى حروف غوايةٍ فى جوف وادى القفرِ

هذى الأرض دائرةٌ

يظل فضاؤها المعمود يظفر بالرمادِ

اقتربنا؟

من يشق الآن في شفتى حناجر وردة سقطت وداستها الأيائلُ

والظباء النافراتُ رمت عليها من ركام الغور

أوردةً

تنز دماً

وتزهر ياسمينْ؟

فصل

[2]

سماءٌ تنزف الآن..؟!

انفراطُ حجارةٍ مصقولةٍ بالموت

غابة أرجوان ناعمٍ

تلتف حول القلب

مائدةٌ من الزهر المضمخ بالخضار الفذّ يحضرها رعاة اللهِ

سوسنةٌ

تشق جيوبها المحمرة الأحناء

ثم تفك فى عز النهار الأبيضِ المغسولِ بالرغبات مئزرها وتأخذ

فى الغناء/الصفو

تتكشف اللآلىءُ

والنجوم يطفن من خجلٍ فرادى

أو جماعاتٍ

ويغسلن الندى بالعطرِ

ثم ينمن...

فصل

[3]

هل ستخط من لغةٍ على جسم الكؤوس الخمر أو جسمى
شقائق من لغات النار؟
آخر ما تبقى من شغاف الفستق المغسول فى رمل الأهلة والنجوم
اطاولت شجراً
ومادت شمسنا بالأخضر المغسول فى زبدٍ
من الزبد النديفِ البحرُ
هذا البحر ينزفنى رذاذاً أبيض الأمطارِ
يغسلنى من القدمين حتي القلب
أمسح فضة العينين بالإبحار
نهرٌ
غارقٌ
ما بين ملحِ الأرضِ والتوتياءِ.

فصل

[4]

أحفرُ...

سوف تنفجر الشرايين الخبيئة فى دمى

هذا أوار حدائق مصفودةٍ بالنار أدخلها تصفق قاصرات الطّرفِ

من يصطف الآن فى لغتى ويخرج من دما الجنات والأنهار؟

بين حروفها والعشق قائمةٌ من القتلى

حدائق من بحار الدم

تزهر عاشقين

النارُ تعرف أنها لغةٌ مصفاةٌ

وأوردة وقديسون

ترتيلات موجودين في قيظ الصحارى الشاسعِ الأطراف

والمأهول بالنسيانِ

والإِضَمِ.

فصل

[5]

وها أورادها اكتملت أنوثتها وصار لإسمها زبدٌ كموج البحر
أفراسٌ تطارد ظلها فى الليل
ثم تخب فى الرقص البهيج إلى أن تبلغ الأعرافَ طائرةً وبين
سمائها والأرض جناتٌ
وأنهارٌ
وهذا الطير منجذب إليها قدر طاقته أأدخلُ؟
هذه الحجرات من خرزٍ ومن حبات رمانٍ ومرجانٍ وعاجٍ طيع
الشفراتِ
أدخل...
من سمَّاك هذا الاسمَ
أعطاكِ البهاء الفذ
والروغانَ
كنت أظنك امرأةً من الآس المكسرواللبان المر والشجر العتيق
تشد فى يدها خيوطَ الفجرِ
بين عينيها نجماتٌ وبحر شاسع الأعرافِ
منفجرٌ بأشلاء النجومِ.

فصل

الكلام الذى للجسد

[6]

علامتان للجسدْ

ورملتان تضويان للأبدْ

واستيقظ النهار بغتةً

يرش ضوءه المبلل الصقيل فى مفارق الجبالِ والنساءِ والبيوتِ

كلما

هممت باقتفائِهِ

أموت قرب شهوة الجسدْ

أموتُ

قرب شهوة الجسدْ.

فصل

تواطؤ

[7]

أعرف أن ذاكرةً لهذا البحر

أوراقاً ستنبت من دمى مثل اليمام الحلو والزهراتِ

أوراقاً

ستورق في دمى كحمامةٍ بيضاءَ

وأعرف أنك الأنثى التى اشتعلت أنوثتها أمام اللهِ

فاختارت طريق الأرض للفانين

كيف هبطتِ نحو الأرض أيتها الصبيةُ

كيف خاطبك الذين رأوك خارجةً لأول وهلة

كالنطفة البيضاءِ ذاهلةً

وشاردةً إلينا نحن أهل الأرض؟؟

أعرف أن أقماراً ستولد من دمى

وأن نجمتكِ الصغيرة سوف ترسل من أشعتها إلى قلبى بطاقة

عاشقين

وسوف ترسمُ فوق خرائبى بيتاً ولؤلؤةَ

سأسكنها

وأروقةْ يداهم خبزها الفقراء مثلى.

فصل

[8]

أعرف أنك الأنثى التى خرجت تداهمنى أمام الله

ياالله

كيف استنفرت عيناكِ ذاكرتى

وراحت تغزوان مناطق الموتِ/الجليدِ

بداخل القلب المسجى بين أوردة الرصاصِ

وكتلة الطين المسمى بالجسدْ؟

ألهذه الأشياءُ ذاكرةٌ

كذاكرتى؟

أم أنها الشمس الصغيرةُ

سوف تشرق فوق أغوار الزبدْ؟

فصل

[9]

كانت الأرض قاتمةً

والسماءُ سهولاً من البرق والرعدِ

والناس من فَرَقٍ يهجرون البيوت ويستدفئون من الوقت

بالعشبِ

والجمراتِ

ويتخذون من النومِ طاولةً لاحتراف الغواية

بالموتِ

قلت:

أهجرهم وأباعد بينى وسوءاتهم

كانت الأرض خاويةَ

غير أن دمى كان يعبرها كشريطٍ من الحزن أسودَ

والبسطاء

يصرون مثلى على الفقد والروغان

وينسربون كآنيةٍ من دماءٍ وماءٍ...

أكلمهم

يلجأون إلىّ

ويسترجعون عذاباتهم

فوق جسمى الكليلِ الكليمِ

وكنت أنا الشاهدُ الميتُ الآن فى هوة أتحدَّر نحو متاهاتهم وأفارق

جسمي الكليل الكليم أبارك راياتهمً

ثم أغرس فى حبة القلب أشجارَهم.

فصل

هجرة

[10]

فى الصباحِ
تغادر مملكة الطير والكائنات مواطنها
وتفتش عن حلمٍ ناصعٍ وموارد أخرى من الـــ... رزق
والفيضانِ
من الماء والظل
تهجر بهجتها فى الليالى الدفيئات
كي تتلفع بالبرد والرغبات الأثيمة والحب
تلتف حول شقائقها اليرقات
وينتشر الناس فى الأرضِ جوابين
هيابين
وفى الفجر
يهجر كل السكارى مواجدهم ومسرات أوجاعهم
ثم تبدأ فى الطفو والروغان
وترتج فى الردهات القصية من غرف القلب بعضُ احتراقاتهم
أيهم يبدأ الآن نوبته فى التذكر والصحو
أنا أم دمى؟
أيهم يترجل فى حلمى ويفرق بين دمى وحدائق جسمى؟
أيهم يتأهب للصفو والسفر المر؟
حين نحزم أوجاعنا ثم ننسى حقائب أحلامنا
فى زمان التسكع والقهرِ
هل حان وقت السفر؟؟

فصل

طراد

[11]

يبدأ الجسدان مساءهما باحتفالٍ مهيبٍ من الرقصِ
والروغانِ
وينحدران إلى هوّةٍ
من سماء زجاجيةٍ وطيورٍ
ثم ينقبضان وينبسطان كلؤلؤةٍ تتدحرج فى آخر القاع والليلِ
والتويجات كاسيةٌ عرى جسميهما فى سكونٍ شفيفٍ أليفٍ
كان برقٌ
وكانت سماء رمادية وشموسٌ
وبحرٌ من البوص والعاجِ
هل تتخوض فيه الأهلة واللجج النجمُ؟
والسمكُ الأبيضُ المتوحشُ يرقد فى سندسِ القاعِ مختبئاً عن
ملامسةِ القاعِ
والدوران على ساحل من زبدْ
والجسدان الأليفانِ يغوصان حول بعضهما ثم ينحدرانِ
وينعقدانِ
كمئذنةٍ تشرئب على لجة الماء
كان طير يرفرف فى آخر القاع والسفح منفلتاً من هبوب الرياح
ومنطلقاً فى فضاء الحديقةِ
مصاعداً للأبدْ.

فصل

مداومة

[12]

كرائحةِ الزهرات الصغيرةِ والعشبِ أذكر وجهكِ
أنتِ الخضراءُ المجلوة كيمامات الدغل وعصفور الماء فكيف
ألاقيك؟
من أيقظ الطفل هذا البرىء المشاكس قرب النهيرات فى غسق
الليلِ
أطلق للبرعم المتشبث بالجذر نشوتَه فاستوى
ثم مال على سوقه فانحنى للرياح اللواقح من كل صوبٍ
وخضبت الشمس أطرافَه بالنجوم القصية والطل
أُشرك فيك الذين أحبوك قبلي فأفرحُ
أسمع وقع خطاكِ فيهتز جسمىْ
أنت البيضاء الحلوة والمجلوةُ
هذا دمى يتشابه فيك أهللٌ
(هل – لى – لو – يا)
(هل – لى – لو – يا)
وأعرف أنك مثل البحيرات والجرح قادمةٌ من عصورٍ خلت
فادخلينى إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض ثم اصطفينى
وكونى
إذا أقبل الليل محبوبتى ويقينى وقرِّى
سلام عليكِ.

فصل

[13]

استرحت قليلاً

وها أنت ذى تصرفين الرياحَ اللواقحَ

أو تركبين المهارى السلالات تركض كالطير فى كل وادٍ

سحاب كثير يمر عليكِ

يبلل رجليك بالماء والبرقِ

والأرضُ

صاغرةٌ بانتظارك.

فصل

حال القبض على الجمر

[14]

أتقلب على حمأٍ من النيران والصحو

وأمسك بجذر شجرة الموت العتيقةِ وأهزها فرعاً فرعاً وورقةً

ورقة..

فيسَّاقط الرماد حمماً على عينى

وتأخذنى براءة الحلم والطفولة المترعةُ العابثةُ

وأنزع عن عينى حدقاتها الفسفورية الغامضة فأبصر

وأرى:

أجنةً تخرج من بيوت أمهاتها

وهى فى الأرحام مخبوءة وغير آمنة فيهلك الحرث والنسلُ

الشموس كراتٌ من الدمِ

ملفوفةٌ

فى غلائل السموات والأرضِ

من فَرَقٍ تتشظى لهيباً أبيض الذؤابات

وتنتشر فى كل واد يهيمون فيه وفيه يسِّبحون بنعمةٍ منها

ومتاعٍ إلى حينٍ.

فصل

[15]

كتبتِ على جسمى العذاب

وكتبتُ على جسمكِ الرحمةَ

وكنت أقول للوردة

أنت جزءٌ منها

وللشمس أنتِ هى

وللقمر هل قدرناه منازل حتي عاد كالعرجون القديم

ليسكن فى آخر برجٍ من أبراجها المضيئةِ المنطفئةِ المنتشرة فوق

حدائق الألوانِ

وفى قبة من قباب الروحِ الغامضةِ

الهاربةِ؟

فصل

[16]

لماذا إذن تهجرينني وتفرقين بينى وبينكِ وأنا كشجرة

السنديانِ العتيقةِ

فيك محياتى ومماتى

وكنت أقول

أنت لى

فتهجر– هى– بهاء الجسم وتغادر دوائر الإمكانِ والقوةِ

لتسقط فى دوامة العشق والقطيعةِ

هل لها من عشيقٍ بهذى المدينةِ

لتهجرنى من أجل فضائه

وشجرات محبتها الغضة الصغيرة محبوبةٌ لى

وساكنة فىّ إلى أن أموتَ؟؟

ولماذا أشق على نفسى من الحزن – إذن –

وأنا أحج إليها آناء الليل

وأطراف النهارِ؟

تسرقين منى شجرة الحلم

فتورق فىّ زهرة المحبةِ.

فصل

[17]

آتيك مسرعاً وجامحاً
والرغبة فيك يمام يتقافز فرحاً وأنت تعرضين عنى
وتبطئين
أطلق نحوك فراشةَ الجسدِ الخضراء
وسلالاتها التى لا تعدّ
فتغلِّقين دونك الأبواب
كيف أنفذ إليك والمسالك وعرةٌ والطريق موحش والجبال
ذؤاباتها من دماءٍ ونارٍ؟!
هل من لجةٍ أتخوض فيها وحراسك كثيرون
ولا حول لى
أو قوة...
هل نهاية المودةِ موتٌ
وبداية المحبةِ
معرفةٌ؟
إذن اشرحى لى كيف أفرق بين الموتين
كيف أفرق بينك وتلك التى لا أعرف منها سوى بيتها؟
كنت أخط على جسمى حروف جسمك المشتعلة
وأهش عليك بكلماتى
آه
أنت لى
أيتها السيدة الآثمة القلب.

فصل

[18]

الغيوم الغائبة تغيب عن عينى وأنا أنظر إليك

وأبارك فيك المسرةَ

وفى العالم رغبة الحنو والمحبةِ

فهل تجدين فىّ بقية الأضداد وتناسل الأمم من قبل ومن بعدُ؟!

آه...

يا سيدة الزهر والسماء اللازورديةِ

والنجوم العالقاتِ المنطفآتِ بآخر القاع والليلِ

ها جسدى

يتشوق إلى جسدكِ

وملايين النساء غيرك لا يغنونَ...!!

فصل

[19]

أنت واحدةٌ وأنا أول العاشقين

وآخر الذين يفنون ويسعون إليك رغم حممِ الألمِ وبلوى الصبر والوجد

هل تشرقين عليَّ وأنا مشرف على الغرق والغيبة أم

تتلفعين ببرنسك الصوف

وحولك الغرقى وأبناء السبيل من كل فجٍ يأتون إليك

ويلتفون بك

وبك يعرفون أول الصبحِ من نهاية الليل

ويطوفون حولك

فيسبحون باسمك

ويجعلون من دمهم بخورَ المودةِ وبدايةَ الاتصال والمعرفةِ

أم أنك فى الوقت الذى ستشرقين فيه ستطردينهم فينتشرون على الطرقات

كجذوعٍ نخل خاويةٍ

ويسألون عنك كل سائرٍ وعابرٍ

أين الطريقُ إلى حيث يسكن النورُ؟

فصل

[20]

شجرى يسأل عنك كل عابرٍ وواقفٍ

وأنا أسأل عنك كل شاهدٍ وعارفٍ

ودمى يسأل عنك كل حاضرٍ وغائبٍ

فأين هى حدودُ المتاهةِ من حدّ الرؤيا والمشاهدةِ

وأنت أول القبيلةِ وآخر القباءِ

وهمو من حولك جدث ونشور؟ قلت: أسأل عنك من رآك ومن

لم يرك

وأسأل عنك قطرة الماء وطحلب البحر والغيم

وفلذة الأكباد والأحشاء وجنيات البر والبحر

وعرائس الحلمِ وحنوط الموتى

وكواكب الزهرةِ والشعرى وأتتبع خطاك إلى أدنى الأرضِ

فما دلنى أحد – منهم– عليكِ

وأنت أقرب إلىّ من حبل الوريد وتسكنين قاعَ العين ولكنى لا أكاد

أبصركِ

بين حشائش القلب وشجره الكثيفِ الملتفِّ

وما دلنى أحدٌ – منهم – عليك إلا دابةُ الأرض وهى تأكل منسأتى

مرهبةٌ أنت يا حبيبتى

كجيشٍ بألويةٍ

ودروعٍ.

فصل

[21]

تخرجين إلىّ من الحلمِ
وأخرج إليك من فضاء الذاكرةِ والعيانِ
وتكتبيننى ورقة خضراء فوق منازل القبيلةِ
والشمسِ
واكتبك علامةً على الموت والقيامةِ
فكيف أفرغ إليك وأنا
لماَّ أزلْ أبحث عنك على شواهد الموتى وحدقات الأحياء
وبين حروف كتبهم الفارغةِ
وتماثيلهم المعجونةِ بفجيعتهم فيك وخوفُهم عليك وتمائمهم
وصلواتهم خير شاهدٍ على ما أقولُ
فرغ الصبُر إلا منكِ ولم أعد بحاجةٍ إلا إليك أيتها
الشاهدةُ الغائبةُ القوَّامةُ اللوَّامةُ
متى تكشفين عن نقابك لى؟
فسوف آتيك سعياً
ومن حولى كثير من الناس والخلق يشهدون.

فصل

[22]

بك أفرح وإليك يكون تمام حلمى ووصلى
وأنتِ على ما أقول شهيدة
كيف تمُّر طيورك علىّ
وهى مختلفة الألوان والشرائعِ
ولا تسألنى هل بك حاجة إلىّ فلا أقول لهم
إلا أن تتوقف عند منازل الرحمةِ وشواهدِ المعرفةِ وأن تأخذ قبضةً بيمينها
وترش على قلبى بعضاً من طعمِ الرحمةِ ومسكِ الخلاصِ
لترد إلىّ بقية من ظمأ الروحِ وعصف الخواطرِ
والقلب عندئذ يتصابى
فتميد الأرض وتندك الجبال دكاً
هل أنتِ لى مثلما أنت للماء والأرض؟!
ماذا أقول للأصحابِ أيتها السيدة
وأين هو وصلك الذى به تعدين؟!

فصل

[23]

هل أقول لهم:
إننى خارجٌ من دهشةِ الموتِ وأنت خارجةٌ من براءة الحلم
وحناناتِ الطفولةِ
المزدهية بنفسها؟
أم أقول لهم
نسيتنى على شجرةِ المعرفةِ وحيداً كطير أخرس و أعمى
فلا هى تبصر ولا هم يسمعون!!
شهد الخلق أنه لا امرأة غاوية غازية إلا أنتِ
ولا جمال إلا وبه قبضة من جمالك
أرنى أنظر إليك
أرضك ملغومةٌ بالنعمةِ وأرضى عطشى إلى الماء
فكيف لا تفرطين أرضك على سمائى فيتم الفرح ويحدث
السرور
وتزدهر حدائق الرمان والزيتون والأعناب والنخيل
ولا يتبقى لنا من العتابِ شىء
لنتوبَ إليهِ؟!

فصل

[24]

كشفتُ عنك غطاءك فإذا أنت غاويةٌ وإذا أنا شيطانُ

وكتبت على جسمك حرفين اثنين

فاشتبكت بقيةُ الحروفِ وانكسر الألف على الياءِ وانتهزتُ

فرصةَ المشاجرةِ

فانسللتُ من بين غابةِ الدماءِ

فإذا أنا هالك إلا وجهك وأنت كما أنتِ من كل غاشيةٍ

تخرجين

ظافرةً

وتطلبين كلَّ عاشقٍ جديدٍ

ساء من يحكمون عليك بالقطيعةِ والهجرِ

وساء من يحكمون عليّ بالجنونِ...؟!

فصل

[25]

قلت:

أخرج إلى الصبح وقناطيرِ الريح المقنطرةِ

والليل الراجف الكليمِ

... لعلى آتيكم منها بقبس

فما وجدت غير شجرتى لوزٍ

تقفان وحيدتين فى الفراغ وتحكى إحداهما الأخرى

أينا يزهر قبل مواسم القحطِ

والجفافِ؟

فتبسمت ضاحكاً من قولها وقلت:

من يدلنى على شجرةِ الخلدِ وملكٍ لا يبلى؟

فصل

[26]

فكان أن كنتِ واقفةً
كزهرةٍ
بريةٍ
وحيدةٍ
بين صحراء العالم المتوحشة ومدنهِ التى لا تنسى
تنادين علىّ
وتمسكين بقميصىَ
المبلولِ
بالخوفِ
والفزعِ
وأنت آمنةٌ وجميلةٌ.

فصل

[27]

ونظرت فإذا أنت قدَّامى

وورائى

وخلفى

وعن يمينى وشمالى

وتسكنين قاع عينى

ونظرتُ فإذا أنت الشجرُ والماءُ والجبالُ والوديان

والجناتُ

والأنهارُ

ونظرت:

فإذا أنتِ كل شىء

ومن وراء كل شىء!!

فصل

[28]

هل يدلها أحد عليّ

وأنا واقفٌ على جبلٍ عالٍ من النار أتفصد عرقاً وأتصبب دماً غزيراً

أتت حمامة بيضاء

– بجناحين مشتعلين –

وحمحمت حولىَ وعلت علواً كبيراً وفى منقارها غصن من الزيتون

يقطر براءة وحلماً

والريح تتعجلها أن تبتعد عنى

وفى كل مرةً تهبط على رأسي وتأخذ بيمينى وأنا منجردٌ

وساهم سهوم الموتى

وأطفالِ الحلمِ

فقالت:

هل أدلك عليها؟

قلت: رحمةً بنا ومتاعاً

إلى حينٍ...!!

فصل

[29]

مرهبةٌ أنت يا حبيبتى كجيشٍ بألويةٍ ودروعٍ
تخرجين من توقد الذاكرةِ وارتطام الأفلاك بالأفلاكِ وعند
مصباتِ الأنهارِ
تخرجين غزالةً ظافرةً
تحل ضفائرها المستشزرات على حممٍ من جحيمى الحميمِ
وتعِدُ عشاقها بجسمها الأبيض المغسولِ
باللبن
وتتوعد من يحاول الإمساك بها
والاقتراب منها
بحوافرها التى تطق شرراً
وحتفاً.

فصل

[30]

على جسمكِ المغسول باللبن الأبيض يكتب العالم أخطاءه

وتبدين عشقك لعشاقكِ ومجانينكِ

فتتنسبُ الشمس إليك والقمر يواصل تصوراته وتخيلاته

وعلى جسدى تكون زلزلةُ القيامة ورجفةُ الموتِ وعمق الفجيعة

وجنون التوقِ والانعتاقِ

أكتبك شجرةً مزدهرةً فتكتبيننى ورقةً ساقطةً أتقرب إليك

شبراً فتبعدين عنى باعاً

وأتقرب إليك باعاً فتبعدين عنى سنواتٍ وفراسخَ

وكلما آتيك بالصحو والصفو

تشبكيننى فى قميص الريح المتناثرة شظايا وأشلاء فى سماوات

لا أول لها ولا آخرَ

أعدكِ بالعشق والمودةِ

فتعدينى بالقطيعة والموتِ

قلت: أكون حكيماً أما هى فبعيدة...!!

فصل

[31]

لماذا تتحلون بأساورَ من ذهبٍ ودمى

حول رقبتكنَّ وصدوركنَّ وخصوركنَّ وخدودكنَّ أبيضُ وأخضرُ

وأحمرُ

وعلى كل لونٍ

وأنتن تقمن بينى وبين حبيباتى

سرادقات الألمِ

وسواحل الذكرى

فعلى أى جانبيك تميل أيها السيدُ وهى من أمامك الرحمةُ ومن خلفك

العذابُ

والتهلكةُ

لم أنم

وملء عينى محبةْ

ولم أقم

ولها عيان وشهودْ.

فصل

[32]

قصدتُ إلى البابِ

فمنعنى الحرسُ الطائف فى المدينة وقصدت إلى القصر

فمنعنى الحرس الطائف بالباب فماذا أفعل

ولم يتبق لدى من الزاد سوى الوجعِ وعصارةٍ الأحداقِ أعجن بها

جمارة الروحِ

وأخبز قطميرى على نار قلبى لعلى

أسد بها رمقى يوماً أو بعض يومٍ

وهأنذا مغشى عليّ

يرجمنى الصغارُ بالحجارةِ والأطفالُ يضحكون منى فلا أبالى

كدت أيأس وما وصلت

أجدل من ضفيرة السموات سلماً

وأرتقى إليك درج الصلواتِ

هل أجدكِ عند قبة السماءِ؟

أى نار تكونين أيتها السيدة فنعرف كيف نتقيك

أو نحتمى بكِ منكِ؟!

فصل

[33]

وها هو ذا الطريقُ إليكِ حاسم وقائظ ولا من يدلنا عليك أو يصفك

فتتوسل إليك مرةً بعد مرةٍ...

وصرةُ خبزى سرقها اللصوص و... ها هو

الظلام حالكٌ وهالكٌ

وما من نجمةٍ تبزغ أو تلوح فى الأفقِ

فنتفادى المسالك الوعرةَ

والشعاب الضيقةَ الحرجةَ المحروسة بالوحوش والصقور

وليس لنا من رفيقٍ فى هذه الرحلةِ الشاقةِ

سوى قطرات الدم المتسرسبِ

على أطراف الصخورِ

وقمم الجبالِ

وأنتِ

أين هى مكامنك فنصعد إليكِ.

فصل

[34]

هدأ الليل

وما من نأمةٍ أو دابةٍ إلا وتأتى إلىّ وتسألنى وأنا قاعدٌ فى مكانى

– إلى أن تقوم الساعة –

وفيك يختصمونَ

أرنى أنظر إليك

ألم أقل لكِ: مرهبةٌ أنت يا حبيبتى كجيشٍ بألويةٍ

ودروعٍ؟

أزرعك على بابى نجمةً

فتزرعيننى شجرة صبار على شواهد الموتى

وآتيك بالمودةِ

فتصرين لى الألم والإثم

وأنحت اسمك علي كل خليةٍ من خلايا جسمى

فتمحيننى من الذاكرةِ

والحضورِ

أليس لديكِ غير الغياب؟!

فصل

[35]

قلت:

أهجرهم وأتوبُ إليك

فإذا بهم يتشبثون بخرقى الباليةِ وأسمالى الرثة

وسراويلى

الباردةِ

الجافةِ

ويتعلقون بقمصانى المحبوكة على دمى

وخرابىْ

غارقٌ أنا لا محالة

أما من عاشقٍ واحدٍ فنسأله...؟؟

ومن بين أيديهم وأرجلهم تخرج النار كالمهل

فعلام تتعجبون يا أصحاب المواقيتِ

والناسِ؟!

فصل

[36]

ها هى تأتى كجرح يمشي على قدمين

فتسبقها الريحُ

وها أنذا قد جمعت لها الشمسَ والقمرَ فكانا رفيقى جسدٍ

أما الأرضُ

فكانت بساطاً من الماء الأخضرِ يُفرد ويطوى كل حينٍ بإذنها

والناس يخرجون لتحيتها من أكواخهم الصغيرة

وبيوتهم الرطبةِ الواطئةِ

الجافة

فعلام تتعجبون ولا تبكون وأنتم سامدون

كالخشبِ المسندةِ

والجدرانِ المتهالكةِ على نفسها..؟!

فصل

[37]

من يعصمنى من الجنون فأحمل له الهدايا وأقدم له القرابينَ

وأكون أحد عبيده الموثوقينَ؟

قلت لها: أنت راحمةٌ وسحبتُ فوقىَ غطائى ونمتُ

فإذا بى مصلوبٌ على جذوعِ النخلِ وفي مداخل البيوتِ والطرقِ القديمةِ

والشمس تزور عنى

فتقلِّبنى ذات اليمين وذات الشمال

والقمر لا يتهيأ إلا لى

والقصور ازينت أبوابها وفُتِّحتْ وأنا فى الفراغ أتلوى من الألم والجوعِ

أرانى:

أحمل فوق رأسى خبزاً تأكلُ الطيرُ منه

أرانى:

فى حدقات العيون منبوذاً وبه تقيحات

وفى كل وقت أعرف حرسك وعبيدك وجواريك بسيماهم

وهم يعرفوننى بجنونى

ومتاهات روحى الضالة وقلبى الأثيمِ

من يدلنى عليها أو يدلها علىّ

فأعملَ لديه أجيراً؟!

فصل

[38]

وسمعت صوتاً يقول لى:

كسفينةٍ غارقةٍ

– على القاعِ –

تظل هكذا أبد الدهرِ

كشجرة زيتونٍ

طرحها ناضج وغير حامضٍ

ولكن لا تجد من يأكله

كظِلَّةٍ أنت

فرعها ثابت وأصلها فى السماءِ

وهى تسير تحت حائط الشمسِ

والقمر الصافى

وتظل تبحث عن مثالٍ

أما أنت فلا تنظر إليك.

فصل

[39]

غناك في نفسك فلا تبتئس وكن للمحبةِ بيتاً

من يسكن إلى جوارك وأنت غائبْ

ومن يسكن فيك وأنت غائب

هل يكون الغياب سمةً من سمات حضورك؟!

فصل

[40]

بيت من هذا الذى تدخله فلا تسلم على أهلهِ وتقول

امكثوا...!!

من أين خرجَ حبيبى وما هو ميعاده؟!

فلا يكلموك فيما شَجَرَ بينهم وأنت عاتبٌ وغاضبٌ؟!

فصل

[41]

أكذا ستزرع الرماد في كل واد وتبنى سفينة من الحسك

والشوك لتجوب بها البحارَ والآفاق؟

من يكون هذا الذى عَلَمُهُ فوق رأسى محبة وشمسه على صدرى

مودة وشعره بيمينى

ويده شجرة حنطةٍ وحدائق زيتون ورمانٍ وكلما قطفنا من ثمره شيئاً

نقول هل من

مزيد؟؟

فصل

[42]

دخلت إلى بيت الخمرِ وقلت للساقى:

أريد خمراً

فدلنى عليكِ

وأخذت أشرب حتى مطلع الفجرِ

ولماّ أرتوى بعدُ

فقلت:

يا ساقى...!!

أنت مجنونٌ وأنا ثَمِلٌ

فمن ذا الذى يقودنا إلى المنزلِ؟؟

فتبسم ضاحكاً من قولى

وأشار لى عليكِ.

فصل

[43]

قلت: ابن لى بيتاً أدخله وقتما أشاءُ وأخرج منه وقتما أشاءُ

وليس لى عليه من حرسٍ ولا له من جدرانٍ وبه يحل فرحى

الداخلُ إليه كالخارج

والخارَجُ منه كالداخل

وليس بيننا سوى الهواء أنسجه قطيفة لجسدها وأعرش به عليها

وأسقيها بيدى وأسمع لكلامها ولا يحجبنى عنها...

إنس ولا جانٌ

ولا تلهينى عنها صلاةٌ ولا فلاةٌ

فتركنى الخمار وغلَّق باب الحانة علىّ

فقلت:

من يدلنى على شجرة الخلدِ وملكٍ لا يبلى...؟!

فصل

[44]

واصطف الناس فى الشوارعِ

وأتت أمم من كل فجٍ

ليشهدوا عرس حبيبى..!!

أما أنا

فكنت أطرقع الهواءَ وأخصِّف عريي من الشمس

بالماءِ

وأدحرج الأرض بقدميّ

وأتدحرج على بقع الثلج الجهنميةِ

وأصرخ فيهم كالمجنون:

ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم..!!

ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم..!!

فصل

[45]

وسمعت صوتاً يقول لى:

تشبث بالهواء واكتب على كل فرسخٍ من فراسخِ الأرض

اسمها

وأسماء عشاقها

ولا تتعجب...!!

فتلك سنة أممٍ قد خلت من قبلُ

وإنما عليك أن تتبع الأثرَ والخبرَ فى كل بيتٍ تحل فيه

وكل عينٍ ترد إليها

وكل نجمةٍ تضىء أو تنطفىء

إنما هى من نجومها التى لا تعدُ

ولا تبح بسرك لأحدٍ

فتهجرك سنين عدداً

إلا ما شاء لها اسمها وأرادت المشيئةُ فحزمت أمرى وكتمت

سرى

ولم أبح به إلا لنفسى.

فصل

[46]

ووجدتُ دخاناً كثيراً

وظلمةً

هالكةً

حالكةً

فقلت: ما هذا؟؟

فقيل لي:

طقسٌ من طقوسها

وعلامةٌ على الغضب والشماتةِ

فقلت:

أصلي لها ركعتين متى ترضى...!!

فصل

[47]

أنتِ واحدة وأنا وحيد وليس مثلك شيء

ولي

على كل حجرٍ دمعةٌ مشتعلةٌ ووجهُ

ولي

في كل بيتٍ مثالُ

وبين كل لحظة وأخرى تخرجين على أجنة الحلم بعدد الحصى

والنجوم

وفيها من كلٍ

زوجين اثنين ولا أبالي

وهأنذا... أصنع من جسدي خميرةً لجسدكِ وبرتقالةً بلا مثالٍ

ومن دمي أيقونةً وسواراً لمعصمك وأقول للريح:

هذا هو حبيبي

فتحملك كالفُلكِ وتسري بك إلى حيث تشائين

وللشمس: هذه هي امرأتي

فتحنو عليك وتظللك إلى حيث تذهبين

فماذا أصنع وقد استنفدت كل حيلةٍ لي

ضعف الطالبُ والمطلوبُ.

فصل

[48]

أهتف:

يا فضة النهارِ ويا زبد البحر

يا شرنقةَ السماءِ

والأرضِ

يا سواقى الألم

ويا أشجار التوت

والنخل

من رأى منكم وجهَ حبيبى

فيدلنى عليه

قد شغفنى حباً

ولم أتخلص بعد من إساره وأسرهِ.

فصل

[49]

إنها الموجُ

والزبُد...

الحقيقةُ

ونقيضها

النهارُ

والفضاءُ

وثقبُ الإبرةِ..

فصل

[50]

حين يبقى الحجرُ صديقاً لى

والحيواناتُ الكاسرةُ

أنيسى

ماذا أفعل؟؟

غير أن أعبر السماء من أيِّماجهةٍ ومن كل جهةٍ

والأرضَ

أدحوها كرةً

وبالونة

توشك أن تنفجرَ

وأسوى من الطين كائنات

أخرى

غريبة علىّ.

فصل

[51]

أصنع شمساً وهلالين

لامرأةٍ

لا تفيق إلا بغتةً وتعود لسيرتها الأولى ولا تليق إلا بى

هل قابض أنا على الماء

والنارِ

فى آن واحدٍ

فأعجن الروح فى خميرة الروح

والزمن

ألبسه خرقةً

باليةً

وأدور بهِ فى الطرقات كالضالين

إلى أن تنهزمَ الظلالُ

ويفيح النهارُ

وأراكِ

آتيةً

ومشرقةً

كجيش بألويةٍ

أتدلى إليك فامسكينى

لئلا أقع فى الهاويةِ...!!

فصل

[52]

أجيئك مليئاً بالإثم فتحملين إلىّ البراءة ومعفراً بالترابِ
فتمسحين عنى الأوساخَ
فكيف يكون لمثلى أن ينظر إليكِ...؟؟
أشهد علي نفسى بالمحبةِ وعليك بالقطيعةِ والهجرِ
أشهد على نفسي بالقربِ وعليك بالبعدِ
أشهد على نفسى بالأسرِ
وعليك بالحريةِ
أشهد على نفسى بالرجسِ وعليك بالطهرِ
أشهد على نفسى بالغيبِ وعليك بالوجودِ
أشهد على نفسى بالغيابِ وعليك بالحضورِ
فهل بعدُ ثمَّ شهادةٌ؟؟

فصل

[53]

أبعثر الهواءَ بالهواءِ

وأخيط اسمكِ

باسمى

كاف

ها...

يا...

عين

صاد...

فلماذا تكتبيننى فى حرف الياءِ

وأكتبك فى حرف الألفِ

والمدِّ؟!

وآتيك هرولةً

ولا تأتين إلىّ سعياً؟!

كيف أصفو إلى الحلم

وأصف لك الرحلةَ

والبحارُ التى بيننا ضاريةٌ؟!

والمراكب التى تحملنى مليئة بالريحِ والشراعات ملآنة بالثقوبِ

آه...

ليس من طريقٍ

سوى الغرقِ والغيابِ...!!

أشياء صغيرة

فصل

تقاطعات

[1]

بين وجهى وسرة هذى السماواتِ نخلٌ وخيلٌ

من الحجر الصلدِ والريحِ

والشمس تشرق فى داخلى وتمر بأطراف أثوابكم فتفيض دماً

وأفيضُ

أنا العاشق المتفرد نخل بلادى وليلَ بلادى وشمسَ بلادى وقهر

بلادى

فماذا عليكم

وهذا قميصٌ من النار ألبسه

فتمرد المدائن بالهالكين

يجىء دمى مثل أيامكم

حارقاً

وتخر الصباحات صرعى كأعجاز نخلٍ

وأنتم سكارى حلم.

فصل

[2]

اسكنوا داخلى

واشربوا من توابيتِ أحزانكم

وارفضوكم معى

إننى بينكم واحد

فارفعوا موتكم

ارفعوا موتكم

واجعلونى عليكم شهيداً

وصلّوا عليكم
كنت ألبس قمصانكم
وأغسِّل نفسى بحنطة أسوارِكم
وزنازن أشجاركم
ومسراتِ أوجاعكم
فأرش عليكم مودات قلبى
وأغرقكم بالولاءاتِ والحبّ.

فصل

[3]

هذى زنازنكم فادخلوها معى وارسموا فوق جدرانها بعض

شمسٍ

وجوعٍ

ونارٍ

فهل تشربون معى نخب كأسين للموتِ

كيف انخلعت عليكم وبدلت ثوبى بأثوابكم وانحللتُ

بكم واحداً واحداً

ثم أشرقت نفسى عليكم وحيداً

وعلقت روحى على شرفات منازلكم

ومداخل أوجاعكم

وطناً فادخلوه

وطوفوا بكم

إننى واحد بينكم

فاسكنوا داخلى

ثم صلّوا عليكم وغنوا

سلام عليكم

سلام.. سلام.. سلام

سلاماً...

واصعدوا صوب أشلائكم واجمعونى بكم واحداً واحداً وارفضوكم

ارفضوكم

ارفضوكم جميعاً أو

فاسكنوا موتكمْ

اسكنوا موتكمْ.

فصل

غناء فردى

[1]

سأربط زنبقةً حول قلبى ثم أدخل هذى المدن
وأشجِّر فوق رمال الصحارى دمى
إنه قاتلى
وأسمىِّ السماءَ بروقاً ورعداً
يكون الشقوق التي تتفجر من ساحل الأرض
هل تدخلون معى؟؟
إن هذى المدائن قد لوثتنى
اعتصرت رحيق محبتها واحترفت غواياتها وغوايات أبنائها
واحتراقاتهم... وعذابات أبوابها
وغرست دمى شاهداً فوق قمصانِ أشجارها.

فصل

[2]

لونتنى

يا لهذى المدن!!

قمرٌ فوق وشم ذراعى

نخلةٌ حول سرة قلبى

وشمس من النار تحرقنى ثم تشرق فوق جنائنكم

وردةً

وتحط عليكمْ

فادخلوها معى

ادخلوا

واتركوا فوق جدران هذى الزنازن أشكالكم ثم أسماءكم

وارسموا ببقايا دمى لونَ أشجاركم

ثم هاتوا حروف الكلام

وصبوا عليها من الدمعِ والدمِ

بعض احتراقاتكم

ووصيات أبنائكم واتركونى

اتركونى على عتباتِ الشوارعِ

قمراً ضائعاً..

فصل

[3]

انبئونى

انبئونى... بأسمائكم واحداً واحداً

فسأربط زنبقةً حول صدرى

وأدخل فى غيمة العاشقينَ

وأقطف بعض التويجات حبراً وأكتب أسماء من صلبونى

وأدلق فوق الأسرةِ بعض حروف الهجاء

أبايعكم

بالقيود التى فى يدىّ

أبادلكم وطناً بالزنازنِ والأغنياتِ

وكنت انقسمتُ

أنا ضد نفسى

وضد الورود التى تتطاول فى داخلى

ومنازل قلبى

وضد التى خاننى دمعها

ثم كنت لها عاشقاً

وكانت لها صبغةُ الشهداءِ

فصل

[4]

توحدت فيَّ

توحدت فى جمعكم وخيانات أشجاركم وانقساماتكم

ثم كانت بلادى على غيمةِ الدمع ثكلى

تنز دماً حارقاً

ونجوماً من الفحمِ

كنت لها شاهداً

إننى سوف أدخل قلبى وأزرع حول حدائقه

وردةً

ثم أعبر صوب بلادىْ.

فصل

سلام عليكم

[1]

النجوم الطوارقُ فى الليل يدخلن بيتى
ويخطرن فوق أرائك قلبى فرادى ويرقصن تحت الصباحات مثنى
ويرحلن فى الليل عند انتهاء المصابيحِ كالبجعات زمرْ
أيركضن تحت خيام الجسدْ؟؟
ثم ينعسن قربى قليلاً..
وعند النداءات يرحلن ناراً وخيلاً مسومةً وغير مسومةٍ وغباراً
حدائقَ مرجومةًبالشياطين
أو سنبلات من النار خضراً أأفتح؟ من سوف يدخلُ؟
هذى الرياح سهوم من البردِ شوكٌ يحز عظام النخيل ويجرح خد التويجاتِ
يخرطها فى بكاءٍ عنيفٍ مع الفجر والليلِ
هل نتكاشف؟ أو نتحاضن أو نتخاصم؟

فصل

[2]

يا أنتِ

أيتها الوردة المستحمةُ فى الفجر نامى قليلاً بقربى

أو انعطفى فوق شباك بيتى القديمِ حدائق مغمورة بالتويجات

– فى غبش الصبح –

ثم اغسلى فوق خيمات صدرى عصارةَ نعليكِ

أو فانثرينى ندى فوق أهلى

وهزِّى سلام عليك

سلام على الورد فى كل لونٍ

وفى كل أينٍ وفى كل غصنِ

سلامٌ علىّ

– حين ولدت وحين أموت وحين سأبعث حياً.. سلام علىّ –

ويا أيها الداخلون حدائق قلبى سلام عليكم

وطبتمْ

سلام... سلام... سلام...

فصل

[3]

أيها الواقفون ببابى سلام عليكم

أيها الفقراء سلام عليكم

أيها الشعراء سلام عليكم

أيها الحقراء سلام عليكم

أيها المتعبون سلام عليكم

أيها الخائفون سلام عليكم

أيها العاشقون سلام عليكم

أيها الخاضعون سلام عليكم

أيها القانطون سلام عليكم

أيها السجناء سلام عليكم

أيها التعساء سلام عليكم

أيها الميتون سلام عليكم

أيها الهاربون سلام عليكم

أيها التائهون سلام عليكم

أيها الضائعون سلام عليكم

أيها المبعدون سلام عليكم

أيها القادمون سلام عليكم

سلام... سلام... سلام...

فصل

رغبة تحت شجرة الدردار

[1]

تأتينى غارقةً فى النومِ فأمسح عن خديها السوسنَ وزهورَ
اللوتسِ والمرجانِ
وبضعة أقمار
وتميل الشجرات الخضرُ المملوءة بزهور التفاحِ على طرف الثوب
القطنى
فأقطف من تحت البقع الشمسيةِ بعض فصوصِ التوتِ المحمرّ
أترجعُ للبيت؟؟
لماذا لا تطلق طيرَ الرغبةِ كى ينسل إلى حقل الحنطةِ يجمع سبع
سنابل خضراء فيغسلها بالضوءِ
وسبع سنينٍ ذهباً ذهبت وأنا أنتظرك أن تأتى
تخبرنى عن كل عصافير الضوء فلا أبصرها
تأتينى غارقةً فى النوم فتدخل كل جنائن قلبي
هل تسمع صوتىِ يا محبوبى؟ لا...
من يشعل قنديلَ البيتِ إذن
وامرأتى عاقرْ وأنا مسكون بالوقتِ وبالبرقِ.

فصل

انتظار

[1]

كان لونُ الفضاء كلون دمى حمرةً خارقةْ

وطعامى صبيرةً

والندى لجة فائقةْ

فرت الشمس من تحت أعتابها واستقرت

هل انتثرت فى السماء الكواكبُ؟

أو مرت الريح مغسولةً بالشقائقِ والبرقِ وانفلق الضوء

– محترقاً –

بين هذى السحائب والأرضِ؟ جميزة – يخرج الطير من بين

قمصان أوراقها ميتاً؟

فاستمع أيها الطير يُوحى إليك

ويا أيها النمل هذى مساكنكم فادخلوها معى

وهذا مكان الوقوف على جبل الماءِ والنارِ من سوف يصعدُ؟

والماء لجته لجة فائقةْ؟؟

فصل

[2]

أأبصرت ناراً؟؟

أأنستها؟

وانفطرت بها ثم حطت على جبلٍ شاهقٍ؟

هل سترجع يا أيها الطيرُ

أم سوف تُقلع وحدك

صوب الأهلةِ والشمسِ والموتُ أقرب منك إليك

فحاذر

وحاذر

ولا تقتربْ...

فصل

تخطيطات

[1]

قبراتٌ من الضوء تصعدنى أرتقى سلماً هادئاً – نحو غابات
أشجارِها
هل نجومٌ تعشش فىّ؟
تحط قريباً على يرقات الفراش الذى يحتوينى ندى فوق صدرى؟
ترى أين خبأن هذا القميصَ الجميلَ من النخلِ
من راودتنا؟ وحلت على الفجر مغسولةً بالبنفسجِ والحلمِ؟
من ذا يقود الضريرَ إلى بيتهِ والنجوم خوافتْ؟
ربما شجر فى المتاهةِ ينمو وتخضر فى الجبل الصلد بعض
التويجاتِ
أقمارنا غابةٌ
من أرائكَ أو أرجوانٍ
فمن ينزل الغور أو يصعد الليل يقطف بعض النجيماتِ
يجمعها فى سلالٍ من الوردِ والقشِ ثم يوزعها فوق ذرات
أجسادنا
مطراً أو حدائقَ – مخضرةً – فاهبطى
واهبطوا بسلام..

فصل

انكشاف

[1]

النهارات ومضٌ من البرق يختم فوق أعنتنا وخرائط أجسادنا

زبداً

حين نملؤه بدماء الصبايا الجميلات يصبح مسكاً وزيتونةً

وحدائق غُلباً

فهل أنت سيدةٌ من أراضينها السبعِ تخرج سنبلةٌ للزفاف

وسنبلة للقطاف وسنبلة

تخرج الملكات لها راقصاتٌ

ويشعلن ناراً

فيتبعها الطير فى كل وادٍ

أم انت المليكة سيدةٌ من سمواتها السبعِ يخرج لؤلؤها البكر

شمساً توهجُ

تتكشف الأرض أو تتفتت ينكشف الوقت أو يتفتت

مشكاتها فى زجاجٍ من الضوءِ والضوء حلته مثل ياقوتة الحلم

مخبوءةٌ تحت سرة أشجارها الذهبية

مصباحها

أم كواكبُ درية تتوقدُ؟

كيف انكشفتِ إذن أيتها السيدة؟؟

فصل

زيتونة

[1]

نارٌ تخرج من زيتونة قلبى صوب هضاب الرغبةِ
لغةٌ تفصح عن جوهرها من غير أداة التعريف وكل حروف الجر
وكل حروف النفى وكل حروف التشبيه
فهل تفقد لغةٌ مرمرَ خضرتها كى تدخل فى دائرةِ الرمزِ ووحل
اللمز
وبيتِ التيهْ؟
الإثباتُ.. المشكاةُ.. المشكاةُ.. الإثباتُ
أوَ يبقى المصباحُ المطفئُ مضاءَ قرب سماوات خضرٍ
من يشعل زيتونةَ قلبى أو يقترب قريباً من لؤلؤها يجد الآن
شهاباً رصداً
وسماواتٍ غامضةً
تتأرجح بين سموات بيضٍ
وغيوماً حاملة برقاً تفرطه فوق ذؤابات فصوصِ الرغبةِ
– حُمُراً وحشيةْ –
أو سراباً من غزلان سابحةٍ فوق محفات بيضاء وخضراء
وطيراً يتتبع طيراً
كى يخرج عن دائرة الطير
فكيف يكون المصباحُ المطفى مضاءَ
والبيت غريب وفريدٌ في التشبيه؟؟

فصل

امرأة

[1]

ينفسح البحر كآخر نجمةْ

قمرٌ يخرج من تحت الماء

نساءٌ يغسلن عباءتهن بأطراف البحرِ ولؤلؤة تتفرس فى وجه امرأةٍ

يتجمع تحت ملاءتها نخلاً

يتقرى جسد ميقاته

الأرض تكاعيب عنب

والشمس طريق ذهبى

وأنا طفل النخل المتهيىء – ملكاً – يحرسه الورد وجمار النخل

فهزى

هزى

هل تسكن قرب خيامى مريمُ؟ أو أسكن فيها؟ أم أنزل صوب

مدارجها؟

والمرأةُ

قبرة تتغسل تحت ضفيرات الشمس وتمسح نهديها باللبن الكونىِّ

وتنعس قرب بحيرات الماء فهل يعشقها الرّبُّ

ويصنعها من كل شآبيب الرغبة ثم يجمِّلها بالشهواتِ..؟

ألهذا يتقرى جسدٌ ميقاتَه؟

كم مر علىّ بهذا الحلم دهراً.. شهراً.. لا أدرى؟

اللحظة فاصلةٌ حين تجيء وسنبلة خضراءُ

تمر على الأرض فينفتح القلب كآخر نجمةْ

أتكونين طريقى أيتها المرأةُ أم أزرع جسدى بالنار

وأتوضأ فى عين الشمس الحمئةْ؟

فصل

السيدة/تساؤلات

[1]

هل يمكن أن تهبط هذى السيدةُ الخضراءُ إلى الأرضِ

ويأتى السيد تحت النخلِ فيحمل كل جراح الرفض ويصعد

كالغيمةِ

نحو التل

ويقطف زهر الآلامِ

ويهدم كل متاهات القهرِ

الريح خواءٌ

والشمس الميتة على شجراتِ الحنطةِ والزيتون وجبل الليمون

خواءٌ والنخل جذوع متهالكةٌ

أعجازٌ تتسدل على وحدتها خاويةً

والموت بطيئاً يتقدم كاللص الدمويِّ

فهل نعطى اسمينا للنار وللتاريخ القش المنزوع الريش الخائف

والأجنحةِ العاجزةِ عن الطيرانْ؟

فصل

[2]

لماذا يطردنا التاريخُ

براغيث شعوب باليةٍويعلقنا فوق جدارات متاحفهِ نسخاً باهتةً

من شهداءٍ منسيين وصلباناً

من أوراق ساقطة.. يرفضها العصرُ

ويحملها الولدان نكاتاً هازئة

ويزوِّرنا ضمن حفائر الأثريةِ؟؟

هل يمكن أن تهبط هذه السيدةُ إلى الأرض

ويأتي السيد تحت النخل ومشتعلاً بالرفضِ؟؟

لماذا نعطى اسمينا للذاكرة المحشوة وهماً وخرائبَ؟

ولماذا...

نبحث عن لغةٍ أخري لا يعرفها غير الله؟

فصل

أغنية صغيرة دافئة

[1]

جسدُ المرأة تاجٌ من نورْ
والشمس عشيقةْ
هل تبقى الروح على جسد المرأة أيقونة فلٍّ في صدر العرش؟
أم ثوراً يتخذ طريقه؟
أم تبقى المرأة حقلاً من حنطةْ تحرثه الأيامُ
وتسقيه الشمس بكفيها الخضراوين لآلىءَ من ذهب
ورحيقاً يتقطر من شهد رائق فوق محفات من فضة
أو قطرات من لبن مختومٍ زاهٍ
يحمله الولدان فرادى وجماعات
– يلبسون ثياباً خضراً –
ويطوفون على سررٍ ونمارقَ خضراء وزرقاء بأيدهم أطباق من ضوءٍ مسحورٍ؟
والمرأة مرآة وقناديلُ
وقرنفلةٌ بيضاء وحمراء وصفراء أتذبلُ؟؟

فصل

[2]

أتذبل؟

أم تتفتح فوق خلايا الجسد المتوحشِ سنبلة خضراء

على حقل من لؤلؤها المنثورِ؟

هل تمسك طرف الروح بأنملة محبتها؟

هل غيمةُ

– وحدتها –

ساكنةٌ في أعماقى؟

هل تسند قامة هذا الكون – بخيطٍ – من ريق أنوثتها؟

أم نظرتها؟

أوَ تخذُ السوسن قاعدة تتكىء عليها

والورد طريقاً؟

سيدة خرجت من تحت عباءات الليل وحلت من بين ضفائرها

قمراً

واستلقت فوق فراش الرغبةِ قرب حدائقها

وانتظرت شمساً تشرق فى داخلها أوريحاً تسكنها فى وحدتها

هل كان الجسد المسنون المتوقد خيلاً

أم كان عشيقاً؟

فصل

تماثل

[1]

يتواطأُ جسمى ضد الورد

وضد أنوثات الورد

وضد خيانات الأشياءْ

فتنكسر سماواتى فوقى أرغفةً

من ورق الموت

وأشجار النار

وسفنا ملقاةً

فوق شواطىء آفلةٍ أبنى أفقاً من شجر محروقٍ من شمس متفتتةٍ

ومنازلَ من أضلاعى المتناثرة على رملً الصحراء

أناديكم

فمر ينزل أغوار دمى

– بحر لجى.. –

فينازلنى.

فصل

[2]

إياكم

إياكم،... أن تقتربوا منى حين يفاجئنى صحوى

فيهزّ فضاءات الجوع

ومطر الموت المتشبث بعروقى

وزلازل أرضى وسماواتىْ

إياكم

أن تقتربوا من جثتى الملقاة على وحلِ الطرقاتِ

وفى أرجاء حدائقكم

ودواخلكم

وبأحجارِ منازلكم

وشقائقكم

إياكم أن تقتربوا.

فصل

[3]

هذا جسدى يتقراكم فرداً فرداً

ويؤاخيكم ويفاجئكم

فى كل سرائركم

– حين تنامون وحين تقومونَ

وحين تمسونَ

وحين تصبحونَ...–

أدعوكم أن تتجهوا صوب مدائن موتى وسماواتى المشتعلة ببقاياكم

ثم اقترحوا أن نتلاقى عند سماواتٍ أخرى وأرضين من الماءِ

كثيرةْ أرضٍ... لم تطأوها من قبل

– شموس ذاكية...وغزالات بيض –

وأقيموا حين تجيئون هناك ممالك لصبياتٍ يأتين من البحر

ومن خصل الضوءِ

فيرقصن عرايا تحت القمر الصيفى الأحمرِ.

ثم يباركن شظاياكم واقيموا
مئذنةً من سنبلة الدمعِ
ومن صلصلةِ الموتِ
وغنوا
غنوا
هذا حقل من لؤلؤة العشق ومن ورد الماءِ
وأشجار الزيتون المر
وحبات الحنطةِ
ودمایَ
وصلوا خلفي... صلوا
فمدائنكم خبزٌ من نارٍ معجون بالجوع
وبالفزع الأكبرِ
والصلواتِ
انفجروا حين يباغتكم وجعی
وخياناتی
ثم انتشروا فی الأرض
كآلهة
ونبيينَ.

فصل

رمل

[1]

إنه الرملُ يلمع
متقداً
تحت وهج الجروحِ
ويبرق من رَهَج الذكرياتِ
انظروا
كم تكون الرمالُ
مغامرةً
تجمع الشرق بالغربِ
والغرب بالشرق؟
كم يكون الندى خالعاً سترة العشب
ومرتدياً شكّة الحربِ
أكثر مما يكون له الرمل عشاً
تحط عليه العصافير
ثم تنام
وتحلم بالبحر والسفر اللؤلؤيِّ.

فصل

[2]

انظروا

إنه الرمل

كان دماً

يتناثر فوق التويجاتِ

بعد التقاء البنادقِ

بالعشبِ

هل كان رملاً؟؟

فصل

مزج

[1]

المرأةُ

تعطي مقودها

للرجل البنيِّ

الرجل البني

يخصِّف

أعضاءَ المرأة بالوردِ

فهل تعطي المرأة

ثوبَ قطيفتها

للرجلِ

الأخضرِ؟

أم يعطي الرجل البنيّ

رداء اللون إلى البحرِ

ويرحل صوب جزيرتهِ؟

فصل

[2]

الرجل الأخضرُ

يسَّاقط

فوق الجسر الممتد

ما بين القدمين

إلى تاج الرأسِ

والمرأة

تسَّاقط

ما بين الغيمةِ

وخيوط الفجرِ

فهل تخرج شمس

من قلب

المرأةِ؟

أم يخرج طير الرغبة

في زى طرادٍ

جبلىٍّ؟

قطعان

من ثلج أبيضَ

تصَّاعدً

فوق ضواحى الوقتِ.

فصل

ثنائية

[1]

ها هو القنفذ البشرىْ

يعرِّض

أعضاءه للنهارِ

ويطلق أفخاذه للرذاذِ

الذى يتصبب

من قطرةِ الجسدين

اللذين

يغوصان

فى بقعةٍ

لامتزاج الرحيق المقطَّرِ

بالبتلات التى تتعري

على شهقاتِ الخيولِ

التى تتراكض

فوق السهول الفسيحةِ

والغيمِ.

فصل

[2]

يبدأ طير الهدأةِ

فى الرقص

على جسدين

اثنين يغوصان

إلى

قاع الخضرةْ.

فصل

طلقة

[1]

الطلقةُ
تتبع صوتَ الطلقة
ثم تحوِّم
فوق حواف الأشجارِ
الخضراءِ
فتتفجر الخضرةُ
والطلقةُ
إذ تتبع
صوت الطلقةِ
تكشف عن عرس دمويٍّ
تنشق إلى نصفين
فنصف للطفل المتمايلِ
فرحاً
والوردِ
ونصف للضوء الساقط
فوق العشبِ
البرى
وأعشاب البحر.

فصل

[2]

والطلقة

– إذ تتشظى

تأخذ شكل الموتِ

المتساكبِ

بغتةْ

هل كانت هذى الطلقةُ

آخرَ ما

يكتبه الإنسان

على الأرضِ

أم كانت

شكل بنفسجةٍ

محترقةْ؟؟

مشهد

إلى حسب الشيخ جعفر

يهبط من شرفته فى الليلِ ويسأل عن ماهيةِ شيءٍ ما
كان يقولْ أمنح نفسى للماءِ
أتسمى بالقمر الأزرقِ وخرافات الوقتِ
أسمى أحلامى شجر الأسمنتِ
وأهرب من ذاكرتى فى سقف اللحظةِ أو أتصيد خطأً ما لامرأةٍ ما
تركت نكهة شرفتها فوق سريرى
حين سأخرج من وقتى
قد أعطى امرأةً أخرى
مفتاحَ دمى
وخرابىْ
أيتها الذاكرةُ المسكونة بالفوضى
لا يشبه هذى الفوضى إلا ساعات الألمِ الزرقاء
انتبهى أيتها الروحُ
سأفتح أدغالي
وأضمد فوضاى على طاولة الأمسِ
الآن
هدأت شاحنةٌ أخرى قرب الجسرِ
بعض رجال الدرك يثرثر فى نوبته عن قمر أحمرَ وضآلة راتبهِ
رجل يغمز لامرأةٍ ويواعدها عند الفجرِ
ثمة خطأٌ ما في هذا العالم
قطرات الملح على جسم امرأةٍ خارجةٍ من ماء البحر تتنشف
بالفوضى وتحاصر أبعاد الوقتِ
كيف أعيد اللحظات الهاربةَ إلى مأواى أنا مسكون بالذكرى
لا شيء يلامس قلبى إلا رغوته
حسناً سأعيد على ذاكرتى نفس المشهد وأهيىء نفسي للنسيان.

موسيقى أزهار فاضل

لماذا يتجمع دمُكِ الأبيض قدَّام الموسيقى؟

هل رائحةُ النازنج

وزهرات اللوتس

والبشنين وعطر الماندولينا فى الليلِ مع الذكرى

لا يجرح قلبك

مثلى؟

لا أعرف كيف أضمد قلبى

كيف أفضّ وساوس روحى

وأزحزحُ نفسي عن طاولة العشقِ

وأنسى..؟

هل يجرحك الليل

وحين تباغتك الذكرى؟

ماذا نفعل بالموسيقى إذ نهبط كصبيينِ غريقين

أمام اللوحةِ؟

هل نمسح دمها المنسابَ على أكمامِ القلب

بأطراف العينِ؟

الموسيقى...!!

أعرف كيف تطاردُك الموسيقى

كيف تزلزل جسمى المنهوك أمام غوايتها

هل

لون القلب هو السلوى؟

أيتها السيدةُ الآثمةُ القلبِ

لا شيء يلامس قلبى حين يجن الليل مع الذكرى

إلا صوتُ

ال

موسيقى

كيف أعلِّق أقمارك فوق الأبواب الموصدةِ

وأكتب فوق الحيطانِ

ونخل القلبِ
وأغصان الماءِ
أحبك؟
هل هذا القلب يورطنى فى شيئين نقيضين
الحب
أو الموت؟
هل هذا القلب سينقذنى
أم
سيورطنى أكثر؟
لا أعرف
حاولت كثيراً أن أنسى
كانت موسيقى روحى تختلط بموسيقى روحك
فأحبك أكثر
وتعذبنى الذكرى
لا أعرف ماذا أفعلُ
هل أهرب منك
وإلى أين
إليكِ؟
يا الله؟!
ماذا أفعل بالموسيقى
عينك موسيقى
شعرك موسيقى
صوتك موسيقى
صمتك موسيقى
عطرك موسيقى
ياللموسيقى
إذ تخرج من معطفك الشتوىّ وتفجؤنى قدام اللوحة
بالعشق الخارج من بين العينين الصافيتين الرائعتين
ومن خلف دموع الفرشاةِ
المتوحدة بهذا الكونِ/

اللونِ

الموسيقي

لماذا يتجمع دمُك الأبيضُ

قدام اللوحة

وتجيء الذكرى

طافيةً

من خلف سماءِ الموسيقى؟؟

ثنائية

(1)

فى متاهة باريسَ كان السيد بيكاسو

يمسك الضوء من خشب الماءِ

يشغل حبة خرز بكاملها

ويسوى بين ال

جورنيكا

وال

ما

تا

دور...؟!

يدخل دالى ممتشقاً سيفاً بنطاقينِ

ويمسك غدَّارته المحشوةَ بدماء اللون

على مددٍ

من قامته

يرسم سيدةً خائضةً لجج الإنديز

تفتش عن شمس الله

وعن خبز الشوفان

لماذا يتمدد دالى فوق قواربهِ المطاطيةِ

ولماذا

يتذكر لوركا فجأة..؟؟

يخرجُ من كراسته كارلوس ألبيرتى

وينادى الثور الهائجَ

كى يدخله الحلبة

يلمع خبز الشوفانِ

ويتشمم رائحة الماريجوانا

فيدوخُ اللون أمام بصيرتهِ

ويخر الثور على عتبات الضوء

صريعاً

مغشياً

ينطح بالقرنينِ الضوءَ

ويترك دمه المنسابَ على قبعةِ الــ

ماتادور

يخرج لوركا محتضناً زند فتاةٍ من فتياتِ الباسكِ

ويحسو كأسين من الفودكا

عن أى فتاةٍ يبحث دالى؟

أين ستشرق شمس الله

وفى أى نهار سوف تجىء الحريةُ؟

هل كان السيد بيكاسو وهو يهدِّىء من لوعةِ باريسَ

بلوحتهِ

يدرك أن الماتادور يفتش عن دمِهِ

تحت عطور الطروادياتِ

ويبحث عن نوع فصيلتهِ

بين الثوراتِ

العرقيةِ

أم سيفتش عن وطنِ آخرَ كى يسكنه

ويخبىء دمه الأخضر تحت الماء إلى أن يأتى خبز الله

وتشرق شمس الحرية؟

آه

هل جاء السيد رامبو؟

إذن

سنقوم إلى طاولةٍ

أخرى..

(2)

أحياناً

كان الأصلعُ بيكاسو ينقل ريشته فوق اللوحة

من شلال الضوءِ

إلى شلال الماءِ

وأحياناً

كان اللون يراوغه

والفرشاة المجنونةُ تفلت من يده

وتفر يميناً

ويساراً

حتى ينسرب اللونُ من اللونِ

وتنسرب الفرشاة من الفرشاة إلى خارج ناصيةِ اللوحةِ

ينتظر قيامة شيء ما

يتردد ما بين الظلّ

وبين الظلّ

ويلقى بالفرشاة بعيداً حتى يدهمه اللون على أرض الحلبةِ

يلقى بطفولته ويفتش عن شيء ما

هل يرسم نهراً

أم وطناً؟

أم ثوراً يطعنه الماتادور على أرض الحلبة؟

مازال الجمهور يصفق

والثور الهائج ينطح بالقرنين نهايته

وها هو ذا

يخرج من غرفته

مفتوناً بالضوءِ

ومسكوناً

بالألوانِ.

أبو حيان التوحيدى

كان إذن...
يتحاور فى الليل مع وحدتهِ
يمسك بالأوراق
وأقلام البوصِ
وبالزمن الخائخِ
يتوقف قرب نهايته
يسَّاءل:
ما معنى الموت؟
وما معنى الكلمة؟
ماذا يعنى الفقرُ أو العجزُ؟
وماذا تعنى اللذةُ
والإثمُ
الأملُ
اليأسُ
الظلمُ
العدلُ
الوحدةُ
والخوفُ
ما معنى المعنى إذ يسأل؟
كيف أفك رموز الكونِ
وكيف أفسر هذا النور بهذى الظلمةِ
أو هذى الظلمة بالنورِ؟
وما معنى أن تشرق روحى بالإصغاء إلى أصغر شىءٍ ما؟
هل سيعود الجسم إلى سيرته الأولى؟
وما معنى هذى الروح
وكيف ستفقد معناها أم ستعود إلى صيرورتها الأولى؟
ماذا يعنى هذا؟

هل أتبدد فى اللاشىء؟
ما معنى أن يتلاشى النورُ وتنهش هذى الروحُ خفافيشَ الظلمةِ؟
ماذا أفعل بالأوراقِ وبالكلماتِ؟
وهل تجدينى اللغة
وإذ أتفتت فى البحت عن الكينونةِ
والسِّر؟
سأغلِّق دارى
وأوارى سوءة جسمي أنطرح كماء الجلمودِ على مدد
الصحراواتِ
آهٍ
سأقوم إلى مخطوطاتى كى أحرقها
قد تشرق شمسٌ ما
فى أقصى الروحِ.

الغجريـــون

فى الفجرِ
يأتى الغجريون وفوَّهة بنادقهم
تتقدم ركباً
من غجرياتٍ بيضٍ
محلولاتِ الشعرِ
ومنسدلاتِ
الأردافِ
والغجريون وراء العربات الخشبيةِ ينطلقون فرادى وجماعات
ما من أحد يعرفهم
العربات الخشبيةُ
مطفأةٌ
إلا من مصباح أجردَ يتناوم فى الضوء ويستأنس بالعتمةِ
والغجريات يراقصن النجمَ
ويرقصن عرايا
أو يتشممن العشب
ورائحة النتراتِ ويشعلن الرغبةَ بالرغبةِ
والغجريون يغنون ويعتصرون الوحدة بممارسةِ اللذةِ
والقسوةِ
فوق العشب المبتلِ
وينسربون إلى العتمةِ
حيث بنادقهم
تلمع
أو تطَّاول كالنصلِ
وخلف العربات الخشبيةِ بضع كلابٍ
متناثرةٍ
تترقب
أو تتشمم رائحة الصيدِ

وطعم النتراتِ

فى الفجر

يأتى الغجريون وينسحبون الواحدَ بعد الآخر

ما

من أحدٍ

يعرفهم؟!

الوعل

إلى حسب الشيخ جعفر مرةً ثانيةً

كنت أراقبهُ

حين يفكّ الليل الشتوىُّ أخاديدَ الوحدةِ

والشيخوخةِ

ثم يصير شظايا

وأراجيحَ

حيوانات هاربةً

غجريات يتسكعن أمام الدور الخاليةِ

ويضربن الرملَ

ويسكن – هنالك – فى جسد الماءِ

وفى آخر دورتهن يمارسن السطو ويخطفن القمر الصيفىَّ المخنوقَ

ويجلبن أريج الحنَّاءِ

وكان يقهقه مثل الوردةِ حين تباغته السمكاتُ الذهبيةُ

يشعل بعض لفافاتٍ

باقيةٍ

من علبة تبغٍ

متآكلةٍ

ثم يفتش عن حلمٍ أخضرَ كى يمسكهُ

مازال الليل كما أعرفه

أغفت نجمتك السهرانةُ فى مخدعِها

كيف أفسر هذا العالم بالشعرِ؟

تحزِّر...؟

هل عندك خبز ونبيذ؟؟!

من هذى المرأة كالمشمش

تفِّرق صحوى وتقض مضاَجع حلمى

أوَ تعرفها؟

تمرق خارقة – كالسهمِ – وتترك فوق ثيابى نكهتها

حنطة أرض

قاصيةٍ

لونَ ضفائرِها

والكحل المتأجج فى عينين نبيينِ

فهل من أحد يشبهها؟

خذ نجمتك الخضراءَ

وخذ

وردتك الحجريةَ

وارحل

ارحل

تتبعنى..؟

والشعرُ...؟؟

ينفتل الدخان سحائبَ من مطرٍ أحمرَ ورذاذٍ مندثرٍ

نجمات بيض يتقاطرن حواليه

فرادى

وجماعات

والليل الشتوى

يغادر شرفتَه

والوعل يفر إلى حيث أراضيهِ

فهل من أحدٍ يعرفه؟

المغــوليون

كان المغوليون ينسربون مثل النملِ
يقتربون من النهر فى الصبحِ ثم يمرون قرب البناياتِ
والشجر الخائفِ
المترقبِ
كانت بنادقهم
تترجل فى العشبِ مثل الغزاةِ
وكنا نشاهدهم فى انتصاف الظهيرةِ
يجترحون الطفولةَ
أو يخطفون النساء عرايا
وكانوا يجوسون بين البراءةِ والحلمِ
يقتربون من الموتِ
بالموتِ
يبتعدون عن الموت للموت
كانوا برابرةً يشربون دماء الضحايا
وكنا نمالئهم
بالأغانى
ونأوى لمخدعنا كى ننامَ
يطاردنا الجندُ
والحرس المتحفز بالطلقاتِ
فتنكسر الأعين النجلُ
ينكسر الحب بين الفضاء المضمخ بالموت والخفقانِ
وينكسر الوقتُ
وكنا نُطَارد مثل القطا فى الفلاةِ
فلم ننجرف صوب أحلامنا
مرةً
لم نتعلم من العشق غير اسمه

أى أرض تمد لنا غيَمها
أى عاصفةٍ تحتوينا
أى دم نخالطه فى الصباحِ
أى ظلٍ لنا نرتجيه
أى شمسٍ تضىء مدائننا كى نراها
خدعتنا المدن
واستبانا ملوك الطوائفِ
ضاعت فلسطينُ
والقدسُ
غرناطة المستحمةُ فى الليلِ بالفجرِ
والشمسِ
جند من الرومِ
والتركِ
جاءوا بقرطبةٍ كالقنيصةِ ثم تسابق كل الرماة إليها
ولم يتركوها سوى جثةٍ
وفروا فرار العبيد إذا ما انتهوا
ثم كبَّر فينا الطغاةُ
وأمَوا الصلاةَ
وكنا نتمتم بالدعواتِ وبالكلمات التي ليس فيها سوى رنة
الخوفِ
أيها المغوليون
سوف تتكسرون فى الصبحِ
سوف نخدعكم بالكلام المنمقِ
والضحكاتِ
نفاجئكم بقنابلَ موقوتةِ تحت هذى الأسرة
والعشب
نبددكمَ كالغبار الملوث
ثم نباغتكم كالفريسة وسط الرمالِ
ونرشقكم بالحجارةِ
والموتِ

نترككم كالنفاياتِ فوق الصحارى

فهل تخرجون

سوى جثةٍ؟!.

ملح جاف

فوق إبرة الحقل

كتبت هذه النصوص بين عامي

2005 – 2000

إعوجاج القوس استقامته

محيى الدين بن عربى

الفتوحات المكية

(واضرب لهُم مَثَل الحياة الدُنيا كماءٍ أنزلناهُ من السماء فأختلط به نباتُ الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح)

قرآن كريم

متاهـــات

نعم نعم..
سوف نعرف كيف نلِّون السماءَ
بماءٍ
منهمرٍ
وسوف نعرف كيف نقود الضوءَ
إلى متاهاتنا التى لا تنتهى
ونجرجره إلى جزيرةٍ
صاخبةٍ
بينما نعرف كذلك كيف نوضِّىء النهار
على شفا جُرُفٍ هار.

جســـــدى

إنه جسدىْ

قاتلى!!

سوف يعرف هو الآخرُ كيف يقود الطبيعةَ عبر مسالكها الوعرةِ

ومن خلالِ المخيلةِ

إلى حظيرة اللغةِ

ولا ينتظر أن تفقس أو تبيضَ

عند أية هاويةٍ

صـــرخات الغرقى

ليس للنجمةِ أن تتسمى باسم الحديقةِ التى تعرفها
ولا تعرفها
ليس للبحر أن ينام فى حجر أمرأةٍ وحيدةٍ
ممدداً رجليه
على أريكة السماءِ الفضفاضةِ
فقط..
عليه أن يتسع لمراكبىْ
وأن يضحك من صرخات الغرقى
ثم يبحث لنفسه
عن حصيرةٍ
باليةٍ
ويترك حصوات الزمن الجافِّ
على شواطىء الوحدة!!

شاى الوحـــــدة

أحياناً
أصنع أنا والوحدة شاياً نشربه
أعلق اليأس أيقونةً فى رقبةِ النهار
أصنع من الموت جرساً من الرخام على باب غرفتىْ
وأجلس إلى قططِ الفراغِ الهرمةِ
لكى نتناوب الضحك
والبكاء
على شفا الوحدة!
ربما
نتلصص على الزمن
وهو يفرك بيديه البنيتين
شجرة الحياة
المُرَّة
وينام متواطئاً مع الغبار
على صخرةٍ
منجرفة.

لا ضـــــوء هنالك

الوحدةْ

كأس مترعة من الألم

الزمنْ

حجر من رخام وكهرماناتْ

اليأس شجرة يابسةٌ على هواء البحر الصخَّاب

لا ضوء!!

لا ضوء، هناك

ليأتي من بعيدٍ

الفجر!!

مريـــــم 1

يا أمنا المباركة

يا شفيعة الربّ

يا سيدة التنهدات الصغيرة

والصبر

ويا صانعة الرغباتِ اللانهائيةِ

عند بوابة الليلِ

فجركِ نهار يحترقْ

صوتك من ذهبٍ مصهورٍ ولماعٍ كذلك

كلماتكِ

من عنبٍ

وشفاعات

يأسك من أملٍ كامل

جسمك ماسات تلمع عبر الآفاق

حناناتك اللانهائية تقف على البواباتِ

عذبٌ سلامك الأكيد

الذى يتخلل المسامَّ

لننضم إلى قافلة الرب بلا مباركةٍ من أحد

بلا سيمفونيات تعزف

وبلا إيقاع

يرن

مثل بحرٍ يغرقُ

أو

صاريات تحترق!!

مريـــــم 2

السلام لك يا مريم
يا أمنا المباركة
يا تعويذة اليأس الخالدة
ويا شجرة الرب المباركة
اشملينا بحناناتك التي بطول طيبتك
وبطيبتك التى تضاهى الألم
عينك نافذةٌ علي حديقة الرب المباركة
أطراف أصابعك كلها شهواتٌ وأمطارك ما لها من مثيل
إذا ناديتُ عليكِ أنتِ
دقت نواقيس الفرحِ
بالليل
صلواتكِ
صحراوات تقهقه وحبات من الخرز والدمع
بكِ يهتف النهارُ
ومن خلال شفتيكِ
يخرج الذهب الحار
أيضاً

خيمة الرب

ما هذه العزلةُ التى تتكدسُ
ما هذه النوارسُ التى تموت فى الأعالى
شموسك قاسيةٌ
وصدى صوتك
عظاءات
وأفاع
آثارُ نعليكِ
طلاسمٌ لسحرةٍ قدامى
وكتابات
لأنبياء من العهد القديم
فى الأركانْ
ينتصب الزمنُ كشجرة واثقةٍ
تحت خيمة الربّ
التى لا تقهر!!

مطرقة الفجر

القوارب تأتى وتذهب

البحر نفسه يستيقظ وينامُ

الفجر يدق على الأبواب

بمطرقته

التى تشبه يد الرب الهائلة

الريح تأخذ بوصلتها الأخيرة وتسافر

عبر الجهات الأربع

لا لن تصل تلك الريح اللعينة

إلى بحرٍ إلا لتدخل فى بحرٍ آخر

ولا تلقى الشباك أبداً

أنتِ علامة على الضوء

والضوء

قمرك

الذى يسيل على الجدرانِ دائماً.

مريـــــم3

نعم
كنت أنتظرك
أنتِ أيتها الأم المباركةُ
يا شفيعةُ
إذ يعتم الليل
وينطفىء كلام الأرض!!
ولأنك
كلمة الربّ الأكيدةُ وعملته الغير مزيفةٍ
ولأنك شجرةالروح المصوبة نحو السموات دائماً
والمبللةُ بالخطيئة حيناً والخطأ أحياناً
لم أكن أسمع إلاصوتكِ
عبر السماء الواسعة التى تصغى وتنحدر
ومن خلالِ مطر الصحراواتِ
الأحمر
وظلمة السديمات
اللانهائية!!

صناجات الحصى

فيما نعرفك من آثار الحصى

والليل

فيما نعرفك من خلال نعمة أصابعك

الرّنانة

كلماتك تشبه البرق

والرعد

فمك يشبه قبلة الرّب المرسومة على الأحجار والحصى

وعلى حرير النجوم الفضفاضة كذلك

ليديك

نغمة الموسيقى

ولأصابعكِ

صناجات

الأبد

والأزل.

وشيجـــة

وحيداً
أجثو على ركبتيَّ فى مواجهة الرّب
حيث أستند بذراعيّ على الصمتِ
حيث الكلام فى اللانهايات
يشبه عربة الرب المطهمةَ
وغناء الفرشاتِ الضخمةِ
على شجرة الأبدية
المسيجةِ
بالموت
والوشيجة.

عبــــــور

بقدمينِ فارهتين أعبرُ ممرَ الوحدةِ الشاقّ
وأرتكن
على الهاويةِ
مثل قمرٍ منجرحٍ وفمٍ بتراتيلْ
بلا سلام واحدٍ للقلب
وبلا شجرة واحدة للروح
بلا ندم أخير
على سلامِ العالم الحيَّ.

أغنية المحارب الأخيرة

أيها البحرُ
يا ندم الرّب الحقيقى
ويا دمعته المنكسرةْ
أين ذهبت كل هذه المراكب
أين ذهب كل أولئك الغرقى
أيها البحرُ
يا ظل المسافر الأخيرْ
ويا أغنيةَ المحارب المتمثلةْ
لا نجومَ لك
ولا خلاص لى
سوى ندمك الحقيقى الذى ينحت
جسدَ الشواطىء
بشفتيه
المستبسلتين.

تألق

فى الصمتِ
تتألق الوحدة
وينهدل الزمنُ
علي صخور
الليل
الصلبةِ!!

فتحى عامر أيضا

نحن الذين صنعنا من الصمت

أرغفةً كسيرةً

علي موائد الرّب الرّنانةِ

لكى نجلس

إلى جوار اليأسِ على مائدةٍ

واحدةٍ

وتحت شجرة الزمنِ

المتحركةِ

نترك لفراشاتنا الميتةِ

أن تضحكَ

نحن الذين كتبنا بالدم

والدموع

ضحكاتِنا التى تشبه الأسى

فى ليل الفراشات

المقموع

نحن الذين سرينا – وبعيداً عن فتنةِ البحر –

لكى نحييّ إخواننا الذين ماتوا

وهم يجترحون نسيانهم الأخيرَ

حتى يكشفوا لنا عن سلامهم الذى يرقد تحت

صخرةِ الموتِ المسننةِ

لشدّ ما يألف الهواء الندمْ؟!

مجدّوا الألم

مجّدوا الألم
لأنه يصنع الحياة
مجدّوا اليأس
لأنه يصنع
الألم!!

أيها البحارة

لا ممرَ لهذا البحر
ولا سكةَ لتلك السماء
ابحروا بعيداً أيها البحارةُ باتجاه
العاصفةِ
انقذوا سفنكم الراسية من الغرق
والنسيان
لسوف يبتلعكم الموج
الموج الجبار الهائل
فى مياه بَرَكَته الأزليةِ!!

أنها رنا التى تلمع

سنواتنا التى تلمعُ عبر المدّ والجزر
مثل ضغينةٍ مدويةٍ
أنهارنا التى تلمع بالملحِ
والحدادِ
كلماتنا المستعمَرةُ مثل جزيرةٍ
لكافةِ الطغاةِ
حلوقنا المحشوة بالرمادِ
والشوكِ
صلواتنا التى تستنفر اليأسَ
وتنطفىء على شفا ذاكرةٍ
مسننة
عزاؤنا الأكيدُ الذى لا يمجَّدُ
حكاياتنا التى تتعدد عن مزايا الربح
والخسارة
لحننا الجنائزى الذى لا يتوقف أبداً
أرضٌ صامدة
تحت سقف الريح
المحدّبة!!

يقنعنا الهواء

كل يوم
يقنعنا الهواء
بعبثية
العالم.

حديقة الفراشات الميتة

تلك خاتمة النهارْ

ليكن كل هذا الهواء الكريم

شهادة ميلاد

لشفتيك

الكهرمانيتينِ

ليكن كل هذا الليلكُ الزاهى مِلك لعينيك الإلهيتين

قمرك الأكيدُ مثل أبجدية سومريةٍ

قصتك المدوّرة حديقةٌ لفراشاتٍ مُسَوَّرةْ

لتكن نجمتك السوداء هذه

فَلَكُك الذي لا يتوقف

عن الدوران أبداً

لتكن كل تلك الأرض

أرجوحةً لقدميك الملكليتين

بالتعب

والرُّشْد.

الشمس المتألهة

هذه الشمسُ المتألهةُ بنصف عين

هذا القمر الراقدُ

إلى جوار نافذتك المبجّلةِ

لم لا يمكنها جميعها

أن تحاصر

ألمك النضّاح

هذا؟!

صـــــلابة

سوف نكتسبُ صلابتنا اللامعةَ

من خلال

عملنا المشترك

معــرفة

لم يلدنا الموت

فقط

كبرنا

بمعرفةِ النعمةِ

ذلك هو العالم

صحراوات من ندم
بيوت من أطلال
وحيوات
غالبة!!
ذلك هو العالم
وتلك –إذن – متاهة الروح
التى تقعُ فى الشَّرَكْ.

الموت السيد

سنواتنا المتوحشةُ

سنواتنا اليقظة الجافةُ

أرض

راسخةْ

المجد للموتِ السيد

المجد

للحياة السيدة!

زجاجة السماء

الأيدى الكسيرةُ الناعمةُ
الأيدى الكثيفة السوداءُ
تفتح وببطء
نوافذ السماء العليمةْ
الزمن
الرّنـان
ذو الأيد
يكنس
وبرجاجة عقلْ
زجاجة السماء
الأكيدة!

جديرون بالحياة

جديرون بالحياة
لأننا نتشبث بالجذرِ
جديرون بالعالمِ
لأنه
ما من حياةٍ
خالدةٍ!!
ما يوحِّد اللهب
هو ما يربط الجذر
بالجذرِ
حياتنا التى من نعمةٍ خالصةٍ
قمرنا الذى من عينٍ جامدةٍ
نهارنا الذى من ليلٍ وحصى
ليلُنا الذى من حجر ودمْ
دعواتنا التي تصاب بالغبطةِ مثل طبلٍ بصنّاجات
شفاهنا التي تصطك بالعدم
أصابعنا التي تقبض على اليأسِ
مثل سبيكةٍ من الذهبِ
جراحنا التى تسوّد مثل غابةٍ من الأرجوان والفحمْ
ونحفرها مثل نبع
جديرون بالحياة
لأننا نتشبث بالجذر
جديرون بالعالم
لأنه ما من حياةٍ
خالدة!!

تماســـــــــك

تماسكى أيتها الروحْ
فلم يعد ثمت شىء
لا أملَ فى السلام الخالصِ
ولا أملَ
فى الحقيقة الغالبةْ.

مواصـــــلة

سوف نواصل السعى

بنفس الطاقةِ

وقوة الروح

بنفس لطافةِ الجسدْ

وقوة

الجذور.

لا أحد لا أحد!

لا أحد!

لا أحد

يعلم حقيقة ما يجرى هنا

أو هناك

كمن يتسلق جدار الروح الأعزل

كمن يمسك بيديه الغرينيتين

عن العمل

طاقة الإبصار الوحيدة

لمجموعة من الفئرانِ الضالةِ

وخُلدِ الماءِ

كمن يهب الضوءَ

حيويةَ الإمساك بالسلامِ

والسكينةِ

كانت روحى التى تصغى

وبضراوةٍ.

تقوى الجذور

ينهزم الليلُ
ويتعب النهارُ
الحقيقة بألف يد
والفمُ
– الراسخ –
بنصف عين
تقوى الجذور
وشهادةُ الحواس
كلها
أيادٍ تعملُ.

الطبيعة السيدة المرحة

سوف نتعرف على صلواتنا الصامتة التى تؤديها الطبيعة نيابة عنا
الطبيعة العاقلةُ
الطبيعة المجنونةُ
الطبيعة السيدةُ المرحةُ
لا ثمرةَ فى الحقل
ولا عين فى الشمس
والليل يرقة
بألف فمْ
هذا النهارُ
منجل حصاد
لصديقه الزمن.

مصنع الآلهة الجاف

بعيونٍ
شرهةٍ
وعالمةٍ
تطبع السماءُ قبلةً أخيرةً
علي الأرضْ
وها أنذا
لم أزل أواصل السير
ومنذ أكثر من عشرة آلاف قدمْ
لم أقطع سوى بوصة
واحدةٍ
ما بين صخرة الأمل وشفتي امرأةْ
ماذا يفعل هذا القمر بعيونهِ الكهرمانيةِ الأثيرةِ
وهو يجلس قريباً
من مصنعِ الألهةِ
الجافّ.

يتشكل الألم

سوف يتوقف الزمن على شفا حفرة من الألم

وسوف يقول لدقائقه المنتصرة:

هنا

يفقد النبعُ دورتهُ وهناك

سوف يتخلى الشجر عن ليلهِ

الأخير

المعولُ والبلطةُ

يدُ الإنسان المكفهرْ

السكينُ

والخنجرْ

حضارة الوردةِ الداميةْ

اوقفوا

التاريخ

على عجلة الخطأ

وحده يتشكل الألم على الأرض

وتلك –هى –

هزيمة الروح

الكاملة.

يخرج الواقع من الخط

النهارُ
بتفجراته اللامرئيةِ
البحر بانغماره المدوخ بالزبد
واليودِ
النبوءة الرثة للأحجار
ملاءة الخريف الملونة بالملاط
والمطرْ
سوف يتوقف اللون عن تقديم أى عزاءٍ
للشمس
وسوف يخرج الواقع عن الخطِّ
يا للحظ الأعمى
للبحَّارْ.

عين السمكة

رغم كل شيء
سينبت النور فى الأصابع
رغم كل شيء
سيخرج الفجر
من حدقة الصخر
رغم كل شيء
الواقع أقل حكمة
من عين السمكة!!

المجد لله فى الأعالى

المجد لله فى الأعالى
وبالناس المسرة!!
ما الذى يجعل السمكةَ تبكى
ما الذى يجعل النهار يتوكأ على عكازه
فى الليل
وينام فى غرف الدفن كشحاذٍ وأعمى
ما الذي يجعل الوردة تعترف
وحتى الرمق الأخير أنها سمكةُ الحظ العاثر
ما الذى يجعل الشجرة تنقِّى رائحتها من الألم
ما الذى يجعل الشمس تشعر بالحزن دائماً
وتنام على المنحدرات مجرحةً
ما الذى يجعل الهواء أشد كثافةً حتى من الزجاج نفسه
اربطوا ذراعىَّ فى جبل الصهد المبجّل
جففوا روحى المسيجةَ بالندم علي صخرة الوخذِ هذه
كللوا رأسى المتوج بالشوك والندى
ما جئت لألقى سلاماً على الأرضِ
سلاماً أيتها العاهرةُ المقترحةُ
يا أمنا الرؤوم
سلاماً
أيها الهواء المتوجُ
يا سلمنا المكسوْر.

قتامة الحزن

سأجعل روحى الأشد قتامةً من الحزن

تكتب عن الحزن ذاته

سأجعل قلبى – المبجّل – يتناول طعامَ إفطاره مع الملائكة

والشياطين على حدٍّ سواء

وسأسمح لهذه المنضدة الملوثة بالنفايات

والدم

أن تنام فوق روحى الجريحةِ

وأقول لهزائمى المتواليةِ

أنتِ ملجئى الوحيد.

التوقف المفاجىء لكل عمل الرب

سأكنس هذا النهار بيدىّ
وأقول للزمنِ
ابتعد عن مائدتى أيها المراوغ اللصُّ
ماذا تعنى كل هذه الوحدة
الضحكة الهازئة لرجلٍ يحتضن الهاوية بكلتا يديه
الافتقار الحميمُ لكل ما هو إنسانىٍّ
ومبجلٍ
التوقف المفاجىءُ لكل عمل الربِّ
السماء العاكفةُ على النولِ
والنوى!!

سنتسامح مع الألم والرغبة

سنتسامح مع الألمْ
لأنه لا يعرف ما هو الخلاص
ولا ماهى مادّته
سنتسامح مع الرغبة
والفعل
لأنهما
لم يكونا جديرين وكاملين
بكل رغبةٍ حقيقيةٍ
وفعلٍ حقيقى.

الفراغ المباغت

سوف نتوقف بإزاءِ الفراغِ المباغتِ
ونقول له:
أنتَ يا نبتة الظلام المرّة
لِمَ كنت هنا بالأساس
ولم تكن هناك!

تأكيد

سننتصر على الشرِّ
لأننا بشرٌ من عجينة مغايرة
ولأن الشرّ فى ذاته
غير موجود
وسننتصر على الخير كذلك
لأننا بشرٌ
وفانون**!!**
الشرُ
والخيرُ
علامتان أكيدتان
على وجودنا الإنسانى
المضمحلْ**!!**

مريـــم 4

هى الاسمُ

وهى المسمّى

لها الوقتُ والفوتُ

ولها البدءُ

والانتهاءُ

تحت رايتها يقف كل علمٍ

وباسمها تنبض كل شفةٍ

ما أورقَ على شجرتها غير اسمائها التى لا تحصى

وما انحرفَ عن سمائها

أى طيرٍ!!

آيتها الليل

إليها
طار كل واقفٍ
ومشى كل طائرٍ يجناحيهِ
صوتها يأتى من الجهات كلها
وصورتها تنطبع فى الرئاتِ والأصابعِ
مارآها أحدٌ سوي بالخواطرِ
وما سنحت على قلب كل أحدٍ سوي بالظنّ
هى الحصى
ومنجل الذهب الحصَّاد
هى الليلُ
وآيتها الشمسُ
هى النهارُ
وآيتها الليلُ.

شجرة الرئم

لها حَجَر الفلاسفةِ

ولها

غناءُ المنشدين

هى شجرةُ الرئم

وأنشودةُ الإثم

فى صحراوات البراءة التامةِ

ونقا الآل والدّلالِ

رؤيتها غيبْ

وغيبها مشاهدةْ

لها الظاهر المتلون فى كل لونٍ

وهى الخبيئة عن كل لونٍ

هكذا

هى الاسمُ

ولها المسمى!!

قبائـــل

أسماؤها

أشياؤها

أحياناً

تكتب الكلمةَ بالحرف

وتكتب الحرف

بالنفْس

وتخلق من النفَس ألف طائرٍ

وتخلق من كل طائرٍ

قبيلةً

من الحروف

واللظى.

طائر الكلام

منها ما يكون طائر الكلامُْ
ومنها ما يكون طائر الحروفْ
منها ما يكون طائر البهجة
ومنها ما يكون طائر الظلمة
وعلى تلكم الشجرةِ
تقيم كافة القبائل
ودائماً
ما تتقاتلُ كافة الأسماء!!

كلمة

العينُ كلمة

والقلبُ كلمة

الروحُ كلمة

والجسم كلمة

اللهُ

كلمة

والطبيعةُ كلمة

الإنسانُ كلمة

والجمادُ كلمة

الألف هي عين الياء

بلا منازعٍ

والياء هى نفس الألف

وما ثمّ فرق

سوى في الصورةِ

فقط

تلك أنشوطة المرايا.

العبارة بمفردها

أحياناً
يتعرف الحرفُ إلى الحرف
فتصير الكلمةْ
وتتعرف الكلمةُ إلى الكلمةِ فيكون المعنى
الحرف بمفرده قيدْ
والعبارة بمفردها
ساحلْ
وما ثمّ هنالك إلا بحرْ
هلكَ الساحلُ
والموجُ!!

فى مثل هذه المتاهة

هناك كلماتٌ بلون الدم
وهناك كلمات بلون الحصى
هناك كلماتٌ بلون النار
وهناك كلماتٌ بلون النور
هناك كلمات بلون العقيق
وهناك كلمات تشبه الحجرْ
ماذا يفعل العاشق
فى مثل هذه المتاهةِ؟!
أسماؤها أشياؤهُ
وأشياؤها
أسماؤهُ
يا لكِ من ريحٍ صرصرٍ
وعاتيةٍ؟!

الحجر الكريم

قالت لى:
ظاهركَ
فى كل شىء
فى النبتةِ
ومثلما يكون فى الحجرِ الكريمِ
فى الفلك الأطلس
ومثلما يكون فى النملةِ المتربصةِ
باطنكَ
هو الظاهرُ
رغم حجابِ السوى
وظاهرك هو الباطنُ
رغم غلبةِ الظنّ!!

سرابٌ بقيعةٍ

قالت لى:

لا علامةَ لديك فنعرفك بها

ولا مكانَ عندك

فنقصدهُ

تعب الليلُ من سهرك

وارتجّ على النهار من تقلباتك وشهواتك

أليس لك عين شمسٍ واحدةٍ

أضلنا السيرُ فى الليل

برقك خُلّبٌ

وما ثمّ سوى سرابٍ

بقيعةٍ

يحسبه الظمآنُ ماءَ.

يا لك من طاغية

قالت لى:
في الليلْ
آتيك خفيةً فلا أجدك ومثلما تلوحُ لى ألوحُ لكْ
وبالنهارْ
آتيك متلصصاً فلا أكادُ أبصركَ
أطرقُ على بوّاباتك السبع ومدائنك التى لا تنسى
إلى أن أفقد السمعَ والبصرَ والكلامَ
وأقعَ فى الخلطِ
فتلوحُ لى
من وراء كل
وجهٍ
يا لك من أثيمٍ
ويا لى من مُرَاودةٍ؟!

خارج الزمان والمكان

قالت لى:
لِمَ حَجبت نفسك عني
إرادتك جبرٌ لى
وإرادتى اختيار لك
وما أنت لى
مثلما أنا لك
لِمَ حَجبت نفسك عنى
ولِمَ آويتنى فى بيتكُ وأخرجتنى عن مداراتك وأهلك
ما هو زمنك بالأساسِ
ووقتك ما له
من وقفةٍ
أنت خارج الزمان
والمكان
لأن يديكِ المدربتين هما هما اللتان تصنعان الزمان
والمكان
وتمحوان المكان
والزمان
فى نفس الوقت
حنانيك أيها السيد
حنانيكِ أيتها السيدةُ.

انصهار

أنا ترسكِ

وأنتِ حربتى الوحيدة

أنا قوسكِ

وأنتِ سهامى المصوبة

جرَّتك

وفخاركِ أنا

منجلك

وآلة حصادك أنا

أنا غيمتك التى لا تهطل

وأنتِ

مطرى المنهمرْ

أنا قوسك المشدود بالسهر

والحمي

وأنتِ يقينى المندثر

شدينى إليكِ

لئلا أنكسر

أيتها المجوسيةُ المصبوبةُ

من الجحيم

والصخرْ!!

أرض ملوحات

كلماتكِ
حروفٌ
مضمرة
وكلماتىَ
أرض ملوحاتْ
أقذف إليكِ بالجسد فتعلقيننى على أنشوطاتك
القويةِ
إلى أن ينقضى الليلُ
الليل علىّ سرمد أبداً
وهو عليك سماءٌ ووشاحاتْ
وها أنذا أتلصص على النهار من فُرَجِ البيوت
ومن خلال أصابعكِ الرّنانة
فلا يخرج لى سوى الجمر
آما أنوارك
فشهبٌ
مصوبةٌ
ونيازكُ!!

أيتها السوسنة التى تشبه عمل الرب الأخير

أضمك بين شفتىّ

وأقضمك قطعةً قطعةً

إلى أن يخرج إلىّ صوتكِ

وصورتكِ

فأقف أمام قلاعكِ القويةِ

وحصونكِ

المدججةِ

كالجاهلِ

أنا مأخوذ بالرسوم والتقاويم

وها أنذا أرفعُ أنقاضك المنجرفة

بيدىَّ – المستسملتين – إلى قمم جبالكِ الضاريةِ

وأرضكِ الرحبةِ

المسيجة بالوحوش والضوارى

أنتِ الظاهرةُ لدىّ

أيتها السوسنةُ التى تشبه

عملَ الربّ

الأخير!!

الزيتونة والمشكاة

أهى المهالك لكِ
أم أن مسلكك الرّدى
شمسك منارة على كلِّ طريقٍ
وشمسى لا تقف إلا على كثيبٍ مهيلٍ
غربتىْ
سكن لكِ
وغربتك
سكناىَ
أنت أيتها المنجردةُ
ما لكِ من مشكاةٍ
وما لى من زيتونةٍ
إحاطتك بى
تفوق قدرتى على الفعل
واحاطتى بك
تتفوق على السوى
من يسكن فى منزلك أيتها المأخوذة بكِ وليس لكِ
من أجيرٍ
وحامل مشكاةٍ
سواىَ؟!

سرمدية اللذة

إذن
تأتينى بالليل والناس نيامُ
فآتيك ضحوةً
وعند مضرب كل فجرٍ
أعلِّمك بسيماكِ
فتعلمينني بحروفكِ وكلماتك
عيني عليك
وعينك عليّ
رغم ما بيننا من الأزلِ
إلى سرمدية اللذةِ
من هاجس الحكايات
وحتى مطلع شمسٍ حمئة
لن أشرك فيك أحدا
ولن
يشاركنى فيكِ
سواكِ

ما بين رمز ورمز

أنا صورتك المركوزةُ
فى الطرقِ
وعلى حواف اللِّحاءات
وأنتِ صورتى
المبثوثةُ فى كل خليةٍ
وعلى طرف كل حصاةٍ
قائمة أنتِ لى بالمرصادِ
وليس ثمة ميثاق بينى وبينك
سوي ما تتطلبهُ الروح من الشهادةِ وما يعرفه
خيالك الذى يتغلغل فى كل رمزٍ
سأكتب ما تبيتين لى
وستكتبين ما أبيِّت لكْ
وها هو زيتُ المشكاةِ
قد أشرف على النفاذِ!!
فيالك من ريحٍ عاتيةٍ
ويا ليَ من سراجٍ
وهاجٍ.

صـــــوى

سأقول لكِ
من أى البلاد أنتِ
وما هى وجهتك
وماولاّكِ
عنى
وما هى قِبلتك يا شفيعةُ
هل أنتِ مدينة الرغبةِ
أم بيت العصمةِ
والطاعة؟
هل أنتِ سرمدية الأنوثةِ
أم أبدية اللذةِ
وما بين سرمدية الرغبةِ
وأبدية اللذةِ
علاماتٌ وصوى
فراتك
زجلٌ لطيرٍ يحترقْ
وفراتىَ
ماءٌ
أجَّاجْ!!

ظهيرة الآل

لماذا

تتركين على شفتىّ طعمَ ملحك الحارّ

ورائحةَ حرائقك

وها هى ذى شجرتك العاليةُ

تنتصبُ أمامىَ

وعلى مرمى جحرٍ

ولا ظل لىْ

أنا فى متاهة صحراواتك اللانهائية

ألمع مثل الآلِ

والسرابِ

وبينما يقصدك الهلكى

والمتعبون من كل فجٍ

أقف أنا فى العراء

والبردِ

إلى أن تحل علىّ عطاياك

أيتها الواهبةُ

الموهوبةُ

يا شجرةَ الإلِّ

ويا ظهيرةَ الآلِ.

جلجثه

أردكِ وأنا على شفا الماء

وأرتكن إلى حقيقة اسمك

فأسمع بشبشة النزولِ

ودهش الرؤيا

وصليلَ الضحكات التى تجلجل فى الحلكةِ

ليس للظلام سوى معنى واحدٍ

هو حقيقة النور

وليس للنور اسم

سواكِ

أنتِ.

الماء الجارح

طعمك بلون الماء الجارحِ
وطعمى بلون الأسى الرنانْ
كافة مسالِكك وعرةٌ
وعلى بواباتك المسيجة باللظى
أسمع دبيب حرسك
ولمعان شهبك
لا أهل لىْ
وسكناى عندك
وكأنما مسافر بجراحات
أحمل عصاى بيمينى
وبشمالى
أجرجر متاعى
وكأنكِ
سرابٌ بقيعة
يحسبه الظمان ماء
أما ماؤك فلا هو عذبٌ فنشرب
ولا أجاجٌ
فنتلظى.

حشرة الزمن

الزمنُ
حشرة تقرض وببطء
كل ما عملته الأيدىْ
لم يكن لنا من عُملةٍ غير هذه الساعات
لكى ننشر على صارياتها الصدئهِ
أرواحنا التى تعملُ مثل فخاراتٍ
تتكسَّرُ
على عتبة البحر
الذى يضىءُ!!

حطاب الموت

الكلماتُ

التى نربيها – كل صباح –

تحت أسقف بيوتنا الواطئة الضالة

تتحول كل يومٍ

إلى نبات ظل راسخةٍ

لكى تسهر هىً الأخرى – وبمفردها –

على شرفاتنا المغطاةِ

بالألمِ

والندم

هل لهذه الكلمات

أن تثأر من الزمنْ

ومثلما يفعل حطابُ الموتِ

الأعمي

بآلتهِ التي لاتتوقف

عن السمعِ

والطاعةِ.

انصهار

ذات مرّة
سيكون الألقُ للنهارِ
وسوف تكون الوردةُ
نفسها
من نصيب الألمْ.

تبدُّد

إذ
يتبدّدُ الهواءْ
يظل القاع عالقاً
وجريحاً
بقطرةِ
الماءِ
التى تتفحمُ.

سكنى

سوف يتوقف الغيم
على إناء تلك الشجرةْ
كهفٌ وحيدْ
تسكنه الشمسُ:
القمر.

صلابة الوردة

القططُ التى تتفحم على نوافذ الروحِ الهرمةِ
أجنحةٌ لفراشاتٍ ميتةٍ
سوف نتسلق وبعفويةٍ
صلابة الوردةِ
من يملك أن يقول لملاكِ النظرةِ الأخيرْ:
من ثقب الإبرة
يولد البحر
والبحرُ
هو هو نَفَسُ الطبيعةِ
المفخخةِ.

إبرة الحقل

بيدٍ مسننة تكتب الريحُ
وبيدٍ مشتعلةٍ تخططُ العاصفةُ
أيادٍ تعمل
وآيادٍ
تطحن الذاكرةْ
ملحٌ جافْ
فوق إبرةِ الحقلْ.

نــــزوع

ينزع الجسدُ إلى الوحدة
وتنزع الوحدة – إلى مرايا الغرف المقبضةِ
سوف تظل هذه الجدرانْ
بزواياها الأربعْ
علامةً
على فعل الزمنْ
الذى ينزعُ إلى
التحللِ.

هواء الشجر الأسير

تهتف النجمةُ المستقيمةُ
لقمرٍ وحيد
علي إناء الليل البردان
إذ ذاك
يقف ظل الوردةِ
كشاهدٍ أخيرٍ
على التغييرات التي تطرأ وبكثافةٍ
على هواءِ الشجرِ
الأسيرْ.

سلاماً أيها الحجر

الحجرُ

بأغلاله

وغلالاته

نفَس أخيرْ

لهواء الغرف المقبضة

لا شىءَ

يسبر أغوارَ الجسد الرّنانْ

غير تصدعاته التى تتكفلُ بنشارةِ اللذةِ

من على مائدةِ

الوحدةِ

سلاماً لك أيها الحجرُ

بأغلالكَ

وغلالاتكْ؟!

مجد الشواطىء

ها هى السماء الواطئة
تلتف على أشجار الروح مثل سرطاناتٍ هائلةٍ
وعلى طاولات الزبد والرخامِ هذه
سوف ينحسر البحر على إيقاعاتِهِ التى ترتفعُ
مثل موجةٍ ضريرةٍ...
أى علامةٍ على مجدِ الشواطىءِ
بينما يعزف الموجُ أسطورته اللانهائية
بأصابعَ من زبدٍ
ترتعشْ!!

أيها الهواء لا تذهب بعيداً

لا تذهب بنا بعيداً إلى هذه الناحية أيها الهواءُ
أيها الهواءُ لا تذهب بعيداً
فسوف نكتشف كيف يكون الهواء عميقاً فى كل تلك الناحيةِ من الليلِ
أن تلك الأيام التي تتكدسُ
ما هى إلا جثث متراكمةٌ
لحيوانات ضالةٍ
فى جسد الليلِ الميتِ
بينما صخوره التى تنحدرُ
تسقطُ
وبضراوةٍ
فوق فوّهة العدمِ الشرهةِ.

أبـــــــداً

أبداً

لم يكن لهذه الشجرة أن تكتب على الفراغ:

الزمن بلا تاريخٍ

والماضى قد يعنى الحاضرُ

والحاضرُ

قد يعنى الماضى

أبداً

لم يكن لهذه الكلمةِ أن تتفوهَ بالحكمةِ

تلك التى يعزفها الجذرُ

ثمة هواءٌ يتأهب لليلٍ

لا غنى عنه!!

امتثـــال

من ذاتِ اليد التى تحمل الحربةَ
يخرج النهار على عجل
إلى ممرات الهزيمة والنصرْ
الليلُ بنجومهِ الأخاذةِ
كنظرةِ الأجيرْ
مغفلةٌ من الاسمْ
أخيراً
يمتثلُ الظلُّ للنبتةِ.

أيها الموت الحطاب

من ذلك الاسمْ
يولد من جديد اسمٌ آخر
من تلك السماء الموضوعة
تخرج سماوات أخرى غير موضوعةٍ
من تلك الوردةِ
الجهمةِ
تنبت وردةٌ جديدة وغير جهمةٍ
لا شمسْ
ولا قمرْ
فقط هاويةٌ تتربصُ
طوبى
ليدك التي تعمل بأنشوطاتٍ وخطاطيفَ
أيها الموتُ
الحطابُ
بلا مساندةٍ من أحدْ.

قاب قوســـين

هل أردُ الماء صفواً
فلقد خلعتُ عنى النعلينِ وما أحمل سوى متاعب الطريقِ
وقلة الزادِ وبُعْدِ السفر
أرى طائرك بجناحيه الأبيضين يقف منجرداً فى الأركان
وها هو ذا يومىء لىْ وما بيننا من إشاراتٍ سوى الوصلِ والقنوطِ
وإذ أهمّ
ينتقل من وادٍ غير ذى زرعٍ
إلى وادٍ غير ذى زرع
ومن خطوةٍ نائيةٍ لسفر دانٍ إلى خطوة دانيةٍ لسفرٍ ناءٍ
تقع المسافة ويبدأ الطريقُ
فلا أستظل إلا بىْ
وأفرد مظان الرؤيةِ
ومراصدَ السككِ
وأتتبع خيالاتى الهائلةَ الضحلة
وكأنما وقعت فى الشركِ
وحاق بى النسيانُ
فتأخذنى حيث تشاء ولا آخذها حيث أريدُ
فبين المشيئةِ والإرادةِ
هولٌ غير مأهولٍ
وسمواتٌ بلهب وشواظٍ
إلى أن يشقق الحلق من العطش
وتنعدم الرؤيةُ
وأقف فى الفصلِ والوصل ولا تلوحين إلا لىْ
سهرك لايحلو سوى والناس نيامِ
وعلى طاولاتىْ يأخذ المجازُ حقيقةَ الرؤيةِ
ويصبح الماءُ
قاب قوسينِ!!.

طائر الموت الأخرق

أيها الموتُ
كن رفيقاً بىْ
ولا تأتِ سريعاً
مثل طائرٍ أخرق
فقط
توقف أمام منزلى
مثل سيدٍ مهذبٍ تماماً
واركن درجاتكِ الهوائيةَ
وخذ معاولك
وقفازاتك
وكافة لوازمك
إلى حقلٍ مجاورٍ
وانتظر
انتظر
لبضع دقائق أخرى
ريثما تجفّ سراويلى
وأنتهى من إعداد قهوةٍ لى
ومائدةٍ لآخر أصدقائى الموتى
وأهيىء سريراً لتلك الشمسِ
الخالدةِ
وربما
أكتب قصيدةً تشبه هواء
هذا العالمَ المتوحش!!

خبزنا كفافنا

الألمُ يجرى على الأفاريزِ ويقفز من النوافذِ
الألمُ هذا الهواءُ الملبّدُ بالمكرِ والخديعةِ
مثل أسماكٍ ميتةٍ
يزيح أغطية الليل البردانةَ حتى
عن أطرافِ الليلِ الرطبةِ هذه
الألمُ يحوّل الخبز إلى سلاحفَ وتنانينَ
ويجعل الأعضاء التناسليةَ
تنمو أكثر من اللازمِ
ومثل حقلٍ من النباتات الشوكيةِ
الضوءُ – نفسهُ– يتسللُ هارباً من الضوءِ
آهِ
يا روحى التى تتسعُ لألفِ قبر
ويا قلبى الذى يتسع لألفِ هاويةٍ
ويقيم – بمفرده – على حافّة الأودِ
لِمَ كانت كل هذه الساعات الهَرِمَة
أيها القمرُ يا خساراتى المتواليةُ
لِمَ كانت كل هذه الرحلة – المربكةِ – بالأساس
أيها الليلُ يا هزائمى الأكيدة
لا صوتَ هناك لطائرٍ حتى ولو كان أعمي
ولا حنين لشجرةٍ حتى ولو كانت زائفة
صارت الشوارع
لا تتسع حتى لروحى الدبقةِ
أو حنانـاتى الميتة

المتوحشة
ومثلما تتسع لملايين الحفر والمكائد
وملايين النجوم التى تنطفىءُ
يا إلهى
اعطنا خبزنا كفافنا
خبزنا كفافنا
اعطنا
يا إلهى!!.

عن محمد آدم
برواية محمد آدم

لكم كانت حياتك يا محمد آدم

خربةً

وخاويةْ

أنت يا قائدَ جيوش الفوضى العارمة وكافةِ المدنِ المحاصرةِ

بشكَّتك الخشبية هذه

سوف تقف على كافة الأرصفةِ المبللةِ بالخديعةِ والندمِ

لتقاتل فى صفّ الخسارات الدائم

ولتكون بشرائعك المنقرضة هذه

وسُنَنك الباليةِ

البطل المأساوىّ فى ملهاةِ التاريخِ الضخمةِ

أنتَ

يا مرساةً ترفع مضخاتها الصدئة على صَدَفةِ العدم الرّنّانة

أعرفُ

أعرفْ

لقد كانت حياتك الموقوفةُ على الزنازين والسجنِ

مثل حصاةٍ متدحرجةٍ على سفحِ جبلٍ

أو قشةٍ بين أمواجٍ بأنيابٍ

ومخالبَ

أنتَ

أيتها الكلمةُ التى ما خرجت من بين شفتىْ إلهٍ قطْ

بل

من فوّهةِ فجيعةٍ!!

زنجى

الأسودُ المثيرُ للضحكْ
الموسيقىُّ كثيرُ الحركةْ
اللونُ التراجيدى
للعالمِ
صورة العم توم المطيعْ
ذلك الزنجى الذى يرثُ الأرضَ
ويهبُ السماءَ حيويتها المفرطةْ
أنتَ
أيها الزنجىّ الأسودُ
المثيرُ للضحك
سوف يكون لك – وفى نهاية الأمرْ –
حنجرتك الملونة
التى تعرف كيف تقضمُ
سكينةَ الكراهيةِ
بفمٍ
ضاحكٍ.

السيد المسيح

وقبل أن يصيح الديك ثلاثَ مراتٍ على الأقل
كان السيد المسيحُ
يجلس قبالة المذبح
ومتكئاً على مخدةٍ من الشوك والحصى
وفوق حصيرٍ
بالٍ
وبضراوةِ فراشةٍ محترقةٍ
ومكللةٍ
بالرماد
والشوكَ
كانت جرَاحهُ التى تلمع مثل أيقونةٍ
مبلَّلةٍ بالدم
– من القطيفة الحمراء –
ترتفع عالياً
لتصل ما بين الأرضِ
والسماءِ
وبينما كان قلبه الذى يعمل مثل بندولٍ كهربائىٍّ
لساعة رومانيةٍ
قديمةٍ
كان الحواريون يتحلقون حوله
غير عابئين بما يحيط بهم من هزائمَ وخساراتٍ
وكان بيلاطس البنطى
يضحك من بلاهة السماء
التى اختارت يسوع المسيحَ

ابنَ الناصرة بالذات
والرضيعَ المبجل للسيدة مريم العذراء
– الخطيبة السابقة ليوسف النجارْ –
لكى يكون صوتها المسموعَ عبربريةِ فلسطين القاحلةِ
وفيما كان العبرانيون الأوائلُ
غير واثقين تماماً من الرب
ويقفون صفوفاً
صفوفاً
فى انتظار البشاراتِ
والتعاليمِ
كان الإمبراطور الرومانى دقليديانوس والمحمل بالأوزار
والخطايا
يغرق فى الشر الكاملِ
والدم
مثل سفينةٍ هوائيةٍ تمخر البحارَ والمحيطاتِ
لتحمل الآلاف من العبيدِ الأفارقةِ
وبعيداً عن ذويهم
الذين ينتظرون نفس المصير
وكذلك آلاف الأطنان
من الذهبِ
والفضةِ
وأشجار الأبنوس الضخمة
لصالح مجموعةٍ من التجار والقتلة
كل ذلك من أجل التضحيات والقرابين التى يقدمونها
إلى بوابات الرب
الواسعةِ
الشرهةِ
والتى ظلت مغلقةً طيلة كل هاتيك القرونْ
وبينما
كان السيد المسيحُ يكرِّزُ بصوته الصارخِ فى البريةِ

كان أنبياء اليهود

واللصوصُ

والعشارونَ

يفتحون كوةً

هائلةً

في جدارِ الربِ المائلِ

وينتظرون أن تتفوه السماءُ

ولو بكلمةٍ

واحدةٍ

أو حتى مجرد ملاحظةٍ**!!**

بيلاطس البنطى

كيف نصل إليك أيها الآبُ السماوىّ المبجلُ
الجالسُ خلف سحبك الرنانةِ
المدججةِ
بالشهبِ
وملائكتك الشدادِ الغلاظِ
أنت!
أيها السيد الآب المدشَّن بكل قوةٍ
والمحاط بكل مشيئةٍ
سماواتك السحيقة الغور مثل قيعانٍ
بألف بحر وما لها من قرار
نائيةٌ
وقاسيةٌ
كصحراواتٍ تقهقهه بألف فمْ
وتصفر فيها الدببة المرنةُ
والسحالى الصخَّابةُ
وسطاؤك كثيرون ولا يحصى لهم عدّ
بدءاً
من إبراهيم الذى وفىّ
وترك امرأته الأثيرة كالزمردة
في العراءِ
والبردِ
بلا كسرةٍ واحدةٍ من الخبزِ
أو حتى
قطرةٍ من الماءِ
ومروراً بمعجزتك البحرية
يونان الذى ابتلعه الحوتُ وألقاه فى اليمِّ

مثل فقمةٍ هائمةٍ

إلى هرمس

وأفلاطون

ومريم امرأتك الوهابة

وأسطورتك النسوية المدوية

عبر العصور

إلى الرب الإلهِ

مخلصنا

يسوع المسيح

ابن الناصرة والطفلُ الجليلُ للسيدةِ العذراءِ

الراكب الأعزل للأتنِ

والذى لا يظهر سوى للفقراءِ

والمعوزين

وكافة خرافك الضالةِ

في براريك الشاسعةِ المتوحشةِ

والغير مأهولةٍ

أنبياؤك العراةُ!!

أولئك الجوَّالون البررةُ

والمطهرونَ

لا يظفرون سوى بالطيباتِ

والبَرَكةِ

بينما نحن الآثمون والخطاةُ

لا نجدف إلا فى الضلالِ

والوحل

وبلا مصابيحَ تضىء لنا حتى طرقك الوعرة هذه

مثل مجموعةٍ من الفئرانِ الضالةِ

وخُلْد الماءِ

واأسفاه!!

مالنا من محيصْ

كُتبت علينا اللعنة

كأنما
جئنا إلى هنا
إلي العالمِ
من أجل خلاص العالمِ
بدون إرادة منك
أو حتى مشيئةٍ من يدك التى تخطُّ فى اللوحِ
بلا محجةٍ
أو حتى أسرارٍ
كذلك
لم نكن في حاجةٍ إلى جنتك العاليةِ
ولا إلى أرضك الواسعةِ ذى الشعاب والأخاديدِ
فيما تخوفنا كلابك الضاريةُ السعرانةُ
من الحجيم المستعرْ
ونيرانك القويةِ التى تشوى الوجوهَ كالمهلِ
ماذا نفعل فى مثل هذه المتاهةِ المهلكةِ
أيدينا معرّاةٌ من النعمةِ
وخالية من كل إرادةٍ
أو حسنةٍ
ولا نقف إلا على الخطأ والشر!!
جندك مسلحٌ باليقين الخالص
ولا سلام لنا
على الأرض
لتكن مشيئتك
أيها السيدُ العادلُ
ليس لنا من سلام حقيقى سوى ما تفرغه
الأرواح الشريرةُ
من صلواتٍ لا تنتهى
وأدعةٍ تشبه الركشَ والحجارةَ
على بواباتك المغلَّفةِ بالرصاصِ والسحرةِ
نجلس كالقردةِ والأفاعى

وأبناء آوى

ولا خلاص لنا

سوى ما يقوله الروحُ القدسُ من ترهات

وأكاذيبَ

لا تحمل أى أملٍ في الخلاصِ

أو النعمةِ

فيما نعوى نحن الموصومون بالخطيئةِ الأبديةِ

والخطأ الخالصِ

كاالكلاب الضالةِ

عبر بواباتك الواسعةِ الرحبةِ

والتى تعجُّ بالمن

والسلوى!

نوبة صحيان

ما الذى يجعلنى أنتظر
ما الذى يجعلنى أنتظر الشمسَ أن تشرق
ما الذى يجعلنى أنتظر البحرَ أن يمر من أمام منزلى
وقبل أن ينام
ما الذى يجعلنى أنتظر الأرضَ أن تكف عن الدورانِ
ما الذى يجعلنى أعلّق هذه النجوم جميعاً
وإلى أعلى نقطةٍ
فوق سطح بيتىْ
إلى حبل غسيلْ
ما الذى يجعلنى – وعندما أريد أن أنامَ –
أربطها كلها في طرْف حذائى
ما الذى يجعلنى أتصيّد للسماء أخطاءَها الجمةَ
وانتصب في الشتاء عارياً
مرجّحاً كينونتى
كينونتى الزائلةَ
كينونتى الهشةَ
ما الذى يجعلنى أسحب القمرَ من رأسه
لأفليه
وبعيداً عن المنحدراتِ
وقانون الجاذبيةِ
ما الذى يجعلنى أنظر إلى الموتِ شزراً
وأقول له
أيها الحصّاد الأكبرُ
مهما ضحكت
واجتهدت
فلن تأخذ منى أي شىء
سوى كومةٍ من العظام النخرةِ
والأوحالِ.

أيها الموت
يا صديقى العاطلُ عن العملْ
لأننى أعرف أولاً وأخيراً
أن الكل باطل وقبض الريح
ما الذى يجعلنى أنظر وبضراوةٍ إلى الوحدةِ
وانتظر الليل فى الليلِ
وفى هدوءٍ
وتؤدةٍ
أتلصص على النهار من فُرَجِ البيوت
ما الذى يجعلنى أقبض على الهواء متلبساً
وأقول له
أيها المراوغُ اللصّ
لماذا تتخفى فى شعرِ امرأةٍ
ما الذى يجعلنى أقول للبحر
أيتها السلحفاةُ الهائلةُ
ذات الدرقاتِ
سلاماً
سلاماً
سلاه...
أيها السيدُ الغامضُ
ألم تتسلق شوارع الوحشة واليأس الجهنمية هذه بعد
ولمَ تمشى فى الرض مَرَحاً؟
ينبغى أن تتعلم السير في الطرق المنزلقةِ
والمعتمة هذه
ولو لمرةٍ واحدةٍ
كمتسولٍ
ولاعب سيركٍ
وأعزلَ

وجامعٍ قمامةٍ
وأجيرٍ
كيف يمكنك أن تكنس شوارع الغبار هذه
وبيدين عاطلتين عن العمل تماماً
وكالحتين
تجلس على الأرصفةِ
ممدداً أرجلك الخشبيةَ
التى تشبه أرجل سرطانات هائلةً
ولابساً عويناتك القرمزية المضببةَ
ومعداتك التى لا تعمل
من نهارات صدئةٍ
وأجولةٍ من الأساطيرِ
والحكاياتِ
لا لتعمل ومثلما يعمل الآخرون
وإنما
لترقب المارةَ
وعابرى السبيل عن كثبٍ
وهم يندفعون نحو موتهم المجانى
وحياتهم التى لا تساوى بصلةْ
وتماماً
ومثلما كان يفعل ملك من ملوك الهنود الحمر
وهو جالسٌ على حافة الندم
يحصى أشلاء جنوده وعدد قتلاه
بعد انتهاء إحدى معاركه الأخيرةِ
وإصابته بطعنةٍ نافذة في القلبِ
وفى نوبة صحيانٍ
طاغيةٍ
كان عليه أن يتذكرَ
كم هو عميقٌ
كل هذا الألم!!

كم هى واسعةٌ كل هذه الحفرةِ

من اليأسْ؟!

جريدة القدس

2004/01/9

أيها الوقت

أيها الوقتُ!

هب لنا بعضاً من الحركةِ والفعلِ

دون أن نشعر أو حتى نحس

أعطنا بعضاً من حياتنا التي سرقناها سوياً من الموت

وامنحنا مزيداً من البَرَكةِ

لكى نمارس رغباتنا الصغيرةَ

بحيوية جذع أعزل

وتأهب عربةٍ

تالفةٍ!!

سوف ننفِّضُ الألم عن ثيابنا المتسخةِ

وبضراوة ثمرةٍ معطوبةٍ

نخلص أيدينا من ثرثرة اليوم الفارغة

وسوف نملأ جيوبنا التى اكتظت من الأسى

بحبوب النسيان الخالصِ

ونعمل كما لو كنا ملاحين

وبلا بوصلةٍ واحدةٍ فى ليل أزرقَ

وبلا سماء باتجاهاتٍ

على طريق الآلام والدم

كانت حياتنا التي بلا ضغينةٍ واحدةٍ

في حديقة اليأس الخالدة هذه

زرعنا – وبكل بساطةٍ – أرواحنا المتفحمةَ

على حبالٍ باليةٍ

وأوتادٍ مكسورة

لم نســـأم من الوحدة الضريرةِ

أو حتى نكرهها

بل علي العكس من ذلك تماماً

تعاملنا معها بطيبة قلبٍ وحيويةِ

خُلْدٍ أعمى
ولا مبالاة نرد!
لم نسأل عن وضعنا الإنسانى المرتبكِ
كلا
بل تقبلنا كل ما يأتى به القدرْ
كأنه نوعٌ من الاختيارِ الحميمِ
أو الرغبة الحاسمةِ
أيها الوقت!
لم يمهلنا الوقت حتى
لنمسحَ عن دموعنا كثيراً من العَطَبِ والأعاصيرِ
أو نجفف بعض ضحكاتنا
التى ضربتها الشيخوخةُ المبكرةْ!!

شاعر

بلا نياشينَ حقيقيةٍ أُمضى حياتى

مثل ملك مخلوعٍ

بلا تذكارات

أو حتى أكاليلِ غارْ

أعمل مثل درقةٍ

مشوهٌ

أعمى

وأصمُ

أحياناً أقول لنفسىْ فى محاولةٍ يائسةٍ لانتشال روحى الميتةِ

من الوهدةِ

إننى شاعرٌ

شاعرٌ وكفى

من ذا الذى سيهتم

الجميعُ قد غادروا منازلهم وربما أرواحهم كذلك

البعض قد ذهب إلى البحر

البعض قد ذهب إلى الخارج للعملِ أو للدراسةِ

البعض الآخر قد فضّل الموتِ

على حياةٍ كهذه

ولأن الجميع قد يفكر فى السيارةِ

والمرأةِ الجميلةِ

مثلما يفكر فى الحذاء

وأسعار العملات

أقول لنفسى:

علينا أن نعمل –يا روحى التعسة – مثل حيواناتٍ ميكانيكيةٍ
بقوة الجاذبيةِ
وحركة الطبيعة العمياء
بلا هدفٍ أو حتى أملْ
الوجودُ
والموتُ
التوحّدُ اللا إنسانى
والسلامُ
التعاطفُ
والرحمةُ
الأمُ – الآبُ – والروحُ القدسُ
كلها كلها من مخلفات الذاكرةْ
مثل بيتٍ بأنقاضٍ
وبلا ذكريات
الخيرُ
الشرُ
علامتان إنسانيتانِ فقط
الموتُ
هو هدف الحياةِ النهائى
وربما الأكيدُ
كذلك.

أحجار

على حافة روحى الجريحةِ

روحى المتوحشةِ

المرحةْ

تنبت هذه الأحجارْ

حجرٌ أسود للموت

حجرٌ أبيض للذكرى

حجرٌ أحمر

للدم

حجرٌ أزرق للأحلام

حجرٌ أخضر

للنسيانْ

ترى

أى شىءٍ يمكن أن ينتزعه الموتُ منى أنا البحّارٌ الأعمى

وبعد أن أكون قد ألقيت بكل هذه الأحجارِ التى تعملُ

أسفلَ السماءِ التى تنحدرْ.

احتفال

من أجل لا أحد

(1)

سأحتفلُ بالأرضْ
لأننى أومن بالريح
سأحتفلُ بالريح
لأننى أومن بالأرضْ

(2)

المنجلُ الذى يحصدُ
الزمن الذى يقطّع ويشرِّحُ
الحياة التى تنعم باليأسِ
والأملْ
الفعلُ
واللافعلْ
وجهٌ متغضن
لحياةٍ شبهِ
جامدة!!

(3)

سنواتنا التى تشبه أنهارَ الملح الجافّ
أنهارنا التى تشبه الظمأ والنسيانْ

كلماتنا المشبعة بالندم
والسوادْ
نخلاتنا التى تنبثق وبضراوةٍ من الدم
أرواحنا المكللةُ بالشوكِ
جراحنا التى تشبه الحصى
احتفال من أجل لا أحدْ.

(4)

آهِ
تلك الهبَّةُ التى للجذرْ
الإطلالةُ الغريبةُ لأغنيات الموتى
الوجهُ العظمى للزمنْ
الصوتُ المدوى للعدمْ
احتفالٌ من أجل لا أحد

(5)

الذى يبصر الحزنْ
الذى يدرك الألم الحقيقىَّ للوردةِ
الذى يبصر الندمَ الأكيدَ فى الأصابعْ
الذي يعرف حكمة الخلاصِ
وحقيقة النعمةِ
الذى يقول عن الهواء:
إنه النشيد الحىّ عن الظفر الإنسانى والموت فى النهايةِ
كل ذلك
احتفال من أجل لا أحدْ.

(6)

حتى الهواء نفسه
وهو يحتاج بين الحين والآخر إلى التفسيرِ الإنسانيِّ
الأقل كمالاً من الموتِ
لكي يلعب الزمنُ على بندولهِ الخالصِ
وتعزف الروحُ
على سلّم التناقضاتِ
احتفال من أجل لا أحد

(7)

الربيعُ
بأبهته وأنامله الملونة بالفراشاتِ والشوك
السماء بأنفلاتتها المدمرة للاشيء
الحصى
بصراخه المرنّ
والمنبعث بضراوةٍ من الغسق
حركة الأذرعِ
وتكامل اليدْ
ترنيمة الخلاص
واختلاجة العدم
أوانٍ لطبوغرافيا المكان
واحتفال من أجل لا أحد

طراد

العقلْ

آه

تمكنتُ منك أيها العدميْ!!

طريقة أخرى للحياة!

سأسكن في هذه الناحية من الألمْ
حيث تسكن صديقتى الحياةْ
سوف يكون للهواءِ أنبوبةً ماصةً تسمى الرغبةْ
حيث تأتى الريح مترجلةً
ثملةً
وأقول لها: آهِ
يا حناناتى الضائعةُ
سوف يكون اللهُ صديقاً لىْ
ولا يسبب لىَ الخوف من النار
أوا لجحيم المستعرْ
من حممهِ التى لا ترحمُ
وثوراته المدمرة
من براكينه التى لا تتوقف
وزلازله التى لا تهدأ
من عواصفه الهائلة
وطوفاناته
وسوف أتآلف مع الموتِ
فى صداقاتٍ
وتحالفاتٍ
ولا يعود الموتُ – هذا الأخطبوطُ الماهرُ بشبكاتهِ الكهربائيةِ
وأفعواناتِهِ –
يشكل تهديداً خطيراً
لىْ
عندئذٍ
سأضع يدىّ فى جيبى كمتسولٍ
وعابر سبيل

ولا أعبأ بطاحونة العالم هذهِ
وسأنتصب مثل قارةٍ
غارقةٍ
وأضع الشمس في يمينى
والقمر فى يسارى
وأتناول طعام افطارى المطعَّم بالإثمِ والبراءةِ
مع كل أصدقائى المنسيين
من القطط الضالةِ
وكلاب الشوارع
وعلى مائدةِ الوحدة
المسننة هذه
أتأملُ الفراغَ
بعينٍ منجرحةْ!!

عن سيرة حياة رجل تافه

أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفىْ
لم تنفعنى حياتى الماضيةُ بشىء
ولم يتقرر مصيرُ خيباتى بعد
نزيل خمارات سابق
وصديق دائمٌ لمستشفياتِ الدرجةِ الثالثةِ وكذلك
لنوبات الجنون
والصّرع!!
أنا أستاذ وأبله
فقيه فى علم الروث الكونى
وصديق دائم لسقراط
مقامرٌ ولا أملك سوى أزرار بنطلونىْ
وفردتىْ حذاءٍ من مخلفات حربٍ كونيةٍ سابقة
لم يقل لى أحدُ ما هى الحياة
وماذا يحدث بعد الموت
أصاب بالزكام لمجرد عبور امرأةٍ على سطح الذاكرةِ
أشعر بالأمراضِ الجمةِ وأتعلل بالأوجاعِ
حتى لا أذهب إلى العمل اليومىّ مثل حمارٍ بعويناتٍ
فى الحماماتِ العامةِ
أصاب باسفكسيا الغرقْ
وأبصق على كافةِ الجماهيرِ البلهاءِ التى لا تعرف غير معنى واحدٍ للحياةِ
أبولُ بضجرٍ
وحميميةٍ على كافةِ النظمِ السياسية والديكتاتورياتِ
أكاد أنتشى حماساً لإحساسى الدائم بالعبثِ واللاجدوى
أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفى
أتقلب فى فراشى مثل رجلٍ مصابٍ بالصَّدَفيةِ
ومثل درقةٍ

أحلم بالشىءِ
ونقيضه فى نفس الوقت
أتوقف أمام كافة الشوارعِ
وأقول:
يجب علىّ أن أجلس على كافةِ الأرصفةِ المعاديةِ
– دعونى أحيى هذه الأرصفةَ التى كلّت من الوطء –
أرفع تحياتى الحارَة للشمسِ
وأقول:
أنا الكائنُ العابرُ بشكل غير منتبهٍ ولا إنسانىّ
كل امرأةٍ تعبر من أمامى ألمحُ تحت ثوبها جسداً يتكلمُ
أو أسداً يزأرُ
كل نجمةٍ تظهرُ
أو تختفى
تكون بمثابة روح ضالةٍ أو عينٍ شريرةْ
كل قمرٍ يضىء – هو بالتأكيد – نسيانٌ أخيرٌ لرائحةِ الموتِ
كلما أتوقف لأتذكر اسمَ شارعٍ
تهبط على رأسى حمامة ضالةْ
كلما أنحنى لأربط حذائى
تسقط منى دمعةٌ متآكلةْ
أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفىْ
اللايقين يصير حقيقياً لمجرد أننى أفكر فيه
المادة تتحول بين أصابعى إلى الآب والإبن والروح القدس
كافة المحسوسات تتحول إلى اللامحسوسات
الميتافيزيقا تنتقدُ كل فلسفة الأبعادِ وفلسفة اللا أبعاد
وتخترع لنفسها ميتافيزيقا جديدة
العالم يستحيلُ إلى مائدةٍ من وسخاتٍ
ومجموعةٍ من الكلاب الضالةِ
وقطط من الفخار
المضمحلْ
فى الطبق الذى أتناول فيه طعام افطارى

تسقط كافة ذكرياتى الميتةوالحيةِ
على السواء!!
أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفى
لعدم درايتى الكاملةِ بقوانين الدولةِ الاستثنائيةِ
وألاعيب رجال السياسةِ الوقحةِ
والتشريعات العجائبية الغريبة عن مجمل الخير والشرِّ
ورفع أسعار الفائدةِ
وزيادة معدلات البطالة أو التنمية
وانتشارِ الفقرِ في العالمِ
وزيادة معدلات مرض الإيدز
ولماذا ظلّ الرجلُ الأبيضُ هو السيد وبامتياز
على كافة العصور
ولماذا ظل الرجل الأسود هو العبد وبامتياز
على كافة العصور
هل كان الله منحازاً للرجلِ الأبيضِ – وطوال الوقت –
إلى هذا الحدّ
أم أنها الصدفةُ الغيرُ مبررةٍ ولا منطقيةٍ
أنا رجل تافه بما يكفى
أقرّرُ السير فى هذا الاتجاه
فأكتشف أننى أسيرُ فى اتجاهٍ آخر
أقرّرُ
عدمَ الكلام مع أحدٍ البتة
فتنفجر كل خلية – فىّ – بالضحكِ
أتطلع من فوّهة غرفتىْ
نحو قبة السماء الصافية فأرى القمر ينظر لى
بنصف عين والنجوم تتبول في تلك الناحية من الجسر
أجلس على الأرصفةِ
ودائماً ما أجلس على الأرصفةِ فأرى الشمس أرنباً
والقمرَ فأراً
وبقوة الرغبةِ فى الحياة أواصل السيرَ

والتفكيرَ فى اللامفكَّر فيه
لا أدرى لماذا ودائماً أفكر فى اللامفكَّر فيه
فأصاب بالشلل التامِ
وتتوقف كافة خطوط مواصلاتى
وأفقد الثقةَ فى العالم
وأنهارُ على أول رصيف مقابلْ
أحياناً تنتابنى الرغبةُ الملحةُ فى أن
أُخرج عضوى لكل شىء فى العالم
وأبول على كل شىء
وأقول إلى الجحيم لكل هذه المهزلة
الأرضية!!
يا لها من مسرحيةٍ فجةٍ
اللهُ والشيطانُ
وأنا بينهما
مثل كرةٍ البلياردو
يا لها من حفلة تنكريةٍ
وميتافزيقية كذلك
لا تكاد تنتهى إلا لتبدأ
ولا تبدأ إلا لتنتهى
فى اللحظةِ الواحدة أكون الشيءَ ونقيضَهُ
غالباً
ما أرتكن على الرصيف لأرقبَ حركةَ الشارعِ العضويةَ
وهى تنقبض وتنبسط مثل رحمٍ
بألف فمْ
لم لا أقول:
أن هذه السماء صندلْ
وأن هذا الليل
جورب بثمانيةِ أزواجٍ
لم آتِ لأقلق أحداً
فقط

أقلقت روحى الجريحة
أنا سائق العربة المعطوبةِ
لست أكثر من دودةٍ تسعى على الأرضِ
و70 كيلو غراماً
من اللحم المخلوطِ بالعظمِ
والمخاطاتِ!!

نوبة حراسة

سنواتنا الأكيدةُ التى أنهكها الألمُ والوحشةُ
سنواتنا التى تئن مثل حصاةٍ
ناتئةٍ
فى منجرف سيلْ
سنواتنا التى نربطها في صخورنا الكثيرةِ
التى تنحدر نحو الأملِ واليأسِ عبر الندم والكراهيةِ
لا لنتخلص منها تماماً ونهائياً
ومثلما نفعل بكومةٍ من الأنقاضِ
والتناقضاتِ
بل لنِركنها إلى حائطِ العزلة الضخمِ
ونقف إلى جوارها مبللين بالفجيعةِ الخالصةِ
ومشدوهين بالألمِ الخالصِ
كتذكارٍ أكيدٍ ونهائى
على صيحاتِ الظفرِ والنصرِ
وصرخاتِ الهزيمةِ المروعةِ إثر معركةٍ خاسرةٍ
سوف نقولُ لأنفسنا أخيراً وفى نهاية الأمر
أن البطولة الحقيقيةَ تكمن
فى أن نقف على بواباتِ اليأسِ
وبضراوةِ جندىٍّ أعمى
على أسوار تلك القلعةِ
إلى أن تنتهى
تلك النوبةُ اللعينةُ من الحراسةِ!!

حماقة التفكير في شىء ما

إن تجلس فى حديقةٍ ما على مقعدٍ شاغرٍ وكأنك أحد المتسولين
العظام فى انتظار أن تتزحزح السماء قليلاً أو أن ترتكب حماقةَ التفكير
فى شىءٍ ما كأن تدفع يدك في جيبك لتتأكدَ من جاذبية
الفراغ الذى تحتفظ به – ومنذ سنوات – لا يزال موجوداً
وأن كمية القصائدِ التي كتبتها فى حياتك لا تكفى بالكاد
لشراء تذكرةٍ واحدةٍ لمرحاضٍ عموميّ ناهيك عن قضاءِ
ليلة واحدةٍ فى سرير امرأةٍ جميلة عندئذ – وبدون إرادةٍ منك –
سوف تمدد رجليك وكعادتك دائماً فى مثل هذه الحالات الحرجة
ستقول: فليذهبْ العالم إلى الجحيم وسوف تأخذ فى متابعة
مجموعةٍ من الفراشات المتناثرة فى الحديقة وعلى قيد
ذراعٍ منك وتتذكر أسرابَ البقرَ الوحشى والماعز الجبلىّ
أو ربما تتصور كذلك أن السماء – وبلعبةٍ ذكيةٍ جداً – لا تكرر
نفس المشهد ربما للمرة الألف وأنها – أى السماء وهى عادلةٌ بما يكفىْ – وبدلاً
من أن ترسمك جالساً على مقعدٍ فى حديقةٍ شاغرةٍ كأحدِ
المتسولين العظام سوف تضعك هذه المرة فوق محفةٍ
لإحدى الحورياتِ وأن السماءَ قد أخدت تضحك
بملء فمها لا لشىءٍ إلا لأنك وقد نبتَ لك جناحانِ أبيضانِ
قد أصبحت نورساً.

يا سقراطى الحبيب

والآن
ماذا تعملُ يا سقراطى الحبيبْ
لا شك أنك عاطلٌ عن العمل تماماً مثلى أو ربما
تجمع كراريسك تحت مخداتك التى صنعتها من رمادٍ وقشٍ
وتنام متأرجحاً ما بين حقيقةِ الموتِ
واليقظةِ
هل تنظف شوارع أثينا المبخرةِ بالزمن
وتكتب على عجيزة الهاوية:
لا شيء يفنى
ولا شىء يستحدثُ من العدمْ
أعرف أن زوجتك السيدة المرحة الجميلة تنام شبه عاريةٍ
إلى جوارك فى ليالي الصيف الخانقة الحرِّ
رغم ما بينكما من خياناتٍ
وضغائن
هل تشعلُ لك مصباحك الأجردَ
أم تكنس الأفكارَ التي تتوارد على رأسك بالمقشات
ومثلما تنظف عتبةَ البيت
تنظف رأسك من الصئبان
والقمل
كعملٍ رئيسى من أعمالها اليوميةِ
يالروعة الحظِّ!!
يا لتلك الحياة التى تجلب لك الدعةَ
واللامبالاةَ
علي حجارةِ أثينا الماطرة السوداء
يالتلك السماء التى تخيط كلماتك
بإبرة المجد الصافية
وتحيطك بعينين إلهيتين!!

هل تربط حمارك الأثينى – أمام عتبة الدار –

وتقول لتلاميذك:

امكثوا على بوابة مينيرفا

ريثما أتخفف من ملابسِ النومِ

وأغسل حنجرتى

بحجر النسيان!!

الزمن نغمةٌ يائسةٌ فى حياةٍ غير كاملةٍ

أو مبررة.

نقَّـــاد

ماذا سيقول هؤلاء النقادُ عنى
سيقولون:
حاول أن يكتب عن الوردةْ
فاخترع بيتاً
حاول أن يلتقط نجمةً بائدةً فأمسك خشبة
حاول أن يسكن مع الريحِ فى حديقةٍ واحدةٍ
فنام على الأرصفة كالحلزونْ
حاول أن يكتب عن الحبّ
فأمسك حجرةَ الشك هذه
حاول أن يتأبط ذراع الليل البردانْ
– ويأخذه إلى بيته فى المنحدراتِ ليدفئه –
فأطلق نجمة بائدة
حاول أن يختصر الليل كله
فى كلمةٍ واحدة
فجز عنقه!!
ماذا سيقول كل أولئك النقاد عنى
بكل تأكيد سيقولون:
أصابه الألمْ
من فرط ما سكن مع اليأسِ
فى سلةِ مهملات.

ديكتاتور

أعرف أنك ترقدُ الآن بسلام
بلا إيماءةٍ واحدةٍ أو حتى تعبير عن الفرح أو الحزن
رغم ما تملك من إمكانياتٍ لا نهائيةٍ على إدارة دفة حياتك
الجديدة بين ملايين الأحلام التى تأتيك
ولا تملك القوة المناسبة على إظهار
فرحك أو ضيقك يأسك أو رجائك
فقط تستقبل الأحلام بعينين باردتين تماماً وذراعين
لا مباليتينْ
وبينما ترقد ممدداً رجليك فإن عينيك الأليفتين
قادرتان على اختراق كافة الحجبِ
وذلك رغم رطوبة المكان!!
تستطيع على الأقل أن تنظر بكثافةٍ إلى السماء اللامتناهية
وأن تحدق جيداً فى النجومِ
المرصعة بالضوءِ
ربما يمكنك كذلك أن تفكر بجديةٍ فى
أن ترشح نفسك كرئيسٍ للجمهوريةِ العظمي
أو لقيادة صف من الملائكة الصغار
وطابور طويل من العبيد والمستضعفين بدءاً من
كنفوشيوس وانتهاء بماركس و
تروتسكى وحتى المسيح نفسه
كما يمكنك وفى الآن نفسه أن تقيم في أفخم البنايات
محيطاً نفسك بجيشٍ كاملٍ من اليأسِ
ربما تعرف كيف تحرر كثيراً من البلدان والمدن
التى لم تقم أصلاً بزيارتها
ولم تفكر لمرةٍ واحدةٍ فى أن تقوم بزيارتها
إلا برؤيتك لها على أطلسِ مدرستك الابتدائية

كيف يمكنك وفى النهايةِ أن تتحولَ إلى جنرالٍ بكابٍ عسكرىّ أنيقٍ
وديكتاتورٍ يمسك بعصا المارشاليةِ
لتقفِ في مواجهةِ القصائدِ الجديدةِ
موقف الحاكمِ بأمر الله؟!

جريدة العربى الناصرى

القاهرة فى 2004/9/19

مجرد ملاحظات

لم يعد لنا غير عادة التبول الإرادى واللاإرادى
القلب أشد اخضراراً من سماءٍ كهذه بلون القرفة
الشاعر له عملٌ واحدٌ فقطَ
الضوءُ دائماً وأبداً
خطايا الليل
نحن نعرفها بسيماها
ودائماً
ما يكسوها النهار بتشوهاتهِ وألاعيبهِ
الربيع
يكنس الخريف دائماً
بأيامٍ من فضةٍ
وأيدٍ من ذهب محروق ولمّاعٍ كذلك
المرأة التى نحبها كثيراً ما تخونُ حتى القمر
نفسه
الموتُ
بأوردتهِ المدببةِ وسكاكينه القويةِ
يأخذ شكلَ بخار الفناجين
ورائحةَ غرف النومِ
وحوائطَ المستشفيات
وسارينات
عرباتِ الإسعافِ المسرعةِ
فى لعبة الطاوِ
القاتلة هذه
كانت تلك
مجرد ملاحظاتْ
قد يكون المكسب الوحيدُ هو هو نفسه عين الخسارة الوحيدة
وجهان لعملةٍ واحدةٍ

اسمها الحظ
كثيراً ما تبدأ الحياةُ الحقيقيةُ وعندما يأخذنا الزمنُ
بأياديه التى لا تعرف معنى الموت حقاً
فجأة
قد نكتشف أن الزمنَ
مثل بيت بعنكبوت
له نفس الملمس
وطعم رائحةِ
الخطأ
بحريرهِ الملتبسْ
ما هى حقيقةُ المرأة
إن لم نكشف عن حقيقةِ المرآة
في الليلْ
وحينما تتمدد الوحدة بجانبى
– مثل خلد أعمى –
أتفرس فى أنيابها الشرهةِ
وأقولُ:
وداعاً لواقعيةِ العالمِ.

صديقى الراحل العزيز

إلى س.ح في مثواه الأخير

وهكذا
انتهت حياة الراحل العزيز
صدفةً
على الأرض
انتهتْ
لم يقل حتى لأصدقائه الوداع
فقط صعد وحده درجات السلم بتؤدةٍ
وثقةٍ
كان يرى أن الحياةَ مثل زهرة النرد
لعبةٌ من ألعاب الحظ الماكرةْ
أدمن على مطاردة النساء خاصةً الصغيرات منهن
وكان يرى أن المرأة الحقيقية تشكل الحقيقة الغامضة لبناء هذا الكون
جاب الصحارى بحثاً عن لقمة العيش
خطط طويلاً لمدن كان يعرف أن أحداً لن يسكنها من بعده
عبأ لفافاتٍ من ورق الجرائد تحت وسادته
وقال:
إنه سوف يتفرغ يوماً ما لقراءتها
ومتابعة ألاعيب رجال السياسة والحكم
ما الذى جعل صديقى الراحل العزيز
يسكن هناك
على الحدّ الأقصى من الحياةِ
أهى لعبةُ الحظِّ الخادعةُ أم قدره السيء الذى كان يخبئه فى أحد جيوبه
التى تمتلىء بزهرات النرد

الجالبة للحظّ
وحده
كان يرى أن البورصةَ
وتجارةَ الأراضى
والسمسرةَ
وأوراقَ النقدِ
وتجارةَ العملةِ
والبنوكَ
وعملياتِ الاستيرادِ والتصديرِ
هي آلهةُ العصر الحديث بلا منازعٍ
وأن لعبةَ الحياةِ ما هى إلا الاستثمارُ الأمثلُ لكل تلك الآلهة الجديدة
بذكاءٍ
وخدعةٍ
صديقى الذى مات وحيداً
بلا دمعة واحدةٍ من أحدْ
أكتشف أن زهرة النرد الوحيدةَ التى كان يحملها بين يديه
لكى تجلب له الحظّ
لم تكن تحمل أية أرقامْ؟!

السبت

12جمادى الأول 1424هـ

12 يوليو (تموز) 2003م

5 أبيب 1719

أصول الفن المرعيّة!

ما الذى يمكن عمله فى هذه الساعة من الظهيرة الكاويةْ
أحاول أن أكتب قصيدةً جديدةً وتشبه هذه السماء
أو مؤخرة تلك المرأة
أفتش فى الغيوم التى تنطفىء على الساحل
عن جملةٍ – واحدةٍ – تشبه هذه الحديقةَ أو حتى شكل بنطلونْ
أبداً
لم تكن هذه الموسيقى الصاخبةُ مثل لوحة تيسارو
– منحوت من خشب محروقٍ
وصندل أنا –
أعمل مثلما يعمل قارعو الحظّ التعساء
وأنظر إلى السماء الواطئةِ ببلادةٍ وبطءٍ
لا شىء سوى ذبابة ميتة!!
أعود من رحلتى النهاريةِ وقد تبددت قوایَ
أحلم بنصف عين
واعٍ
وأهجر حنانات نفسىْ
خائب وأحلم برئاساتٍ
فى حجرتى الــ متر فى متر ترقد كافة أحلامِ العالمِ الميتةِ وكوابيسهِ المحنطةِ
بدءاً من ضفادع أريستوفان وأشعار
ايسخيليوس وفرجيل
ومروراً بأرسطو وأفلاطون
وانتهاءً بالتكعيبيةِ والتفكيكيةِ
ومايكل جاكسون
وشعراء البيتلز المبجلين
وحركة ما بعد الحداثة فى الفن
سددت طعناتٍ غادرةً إلى كافة الامبراطوريات السالفةِ
وأطلقت الرصاص على كل الرؤساء السفلة ثم

أقمت ممالك من قش ونشارةٍ

وأحييت جمهورياتٍ بائدة

أحلم بنصف عين

واعٍ

وأهجر حنانات نفسى

من يعبأ بى إن كانت حياتى تساوى بصلة

أو حتى فردتىْ حذاء

لم لا أسوى حياتى مع هذا العالم التعس

غداً

أو بعد غدٍ

سوف يأتى شاعرٌ آخر ليقول:

حقاً!!

لقد كان شاعراً عظيماً

ولكنهُ

لم يلتزم بأصولِ الفنِ المرعيةِ.

بطالة

الآن

وبعد ثلاثين سنة من العمل اليومى

ومخاطبة الجمهور كأحد الثيران الجريحةِ

أنا عاطلٌ عن العمل!

فجأة

اكتشفت أن حياتى كانت جزءاً من مؤامرةٍ كاملةٍ

وأن الوقت الذى أمضيته فى الدوام

وتحت علم الدولة الرسميّ

ذى الشعارات الثلاثة

الأحمر

والأبيض

والأسود

كان يكفى لإصلاح ثلاث عربات كارو

وشراء حمارين منكودي الحظ وبالكاد عكاز لمتسولٍ وضرير

لقد كان يتعين علىّ

أن أدور على كافة صناديق القمامة

لأجمع أعواد الكبريت الملقاة على جانبى الطريق

وبقايا الزجاج المكسور

وقطع القماش الدبقة

لأحصل بالكاد – وفى نهاية الأمر – على ما يسد الرمق

ويقيم الأود

الآن!

وبعد ثلاثين سنة

أنا عاطل حتى عن العمل

عاطل عن الإرادةِ

والفعلِ
عاطل عن الأمل
واليأس
عن ممارسة الحب بشكل طبيعى
تماماً
وكما تفعل أحقر حشرة فى هذا العالم.

دون كيشوت
فى مقابل
السيد المسيح

لا شك أن السيد سانشوبانزا سعيد جداً فى هذه الأيام
بتلك الخاتمة التى وضعها له سرفانتس ولم يكن يتمنى أكثر من
ذلك حتى لو أراد
لكن الاعتراض الوحيد القائم لديه إلى الآن
كان يتركز فى النقاط التالية

أولاً
إن دون كيشوت لم يكن على دراية كاملة بعلم الأديان المقارن
الأمر الذى وضعه فى مأزق البطل التاريخى وأن الله وهو يضع
التصور المطلق لبناء الكون كان قد وضع دون كيشوت فى
حالة أقرب من ما تكون إلى درقة سلحفاةٍ – ناقصة التكوين –
منها إلى بطل مأساوى

ثانياً
إن الحمار الذى ركبه دون كيشوت لم يكن يشبه حمار السيد
المسيح أبداً إلا فى الإسم فقط
فبينما كان حمار دون كيشوت ربعة ومن الطراز القديم
بفخذيه اللدنين الملفوفتين كاسطوانتين من الرخام
الخالص وظهر مكتنز باللحم ويضع نظارات سميكة
على عويناته المبرأة من الذنب والخطأ لكى يرى العالم
على حقيقته إلا أن حمار السيد المسيح كان محملاً
بالخطيئة والشعور الحاد بالإثم والبراءة الأمر الذى
جعله وفى نهاية المطاف يشاهد عملية الصلب هذه
بعينين داميتين

ثالثاً

ولما لم يكن لهذا السانشوبانزا إلا سيفه الخشبى المرح
والذى يلوّح به في الفضاء الوسيع ليطارد أوهامه وخيالاته
كان يهوذا الإسخريوطى يقف مبهوراً بتلك المسامير
التى يثبتونها – وببراعةٍ كاملةٍ – فى هذا الجسد الناحلِ
ودون أن تندّ عنه ولو صرخة واحدة الأمر الذى
جعله يفرك عينيه أكثر من مرّةٍ واحدةٍ ليتأكد
أن ما يراه هو الحقيقة بعينها وليس مجرد حلم من
الأحلام التى تراوده فى اليقظةِ

رابعاً

إن السيد سانشوبانزا – وهو الخبيث دائماً والمخاتل
أبداً – كان ينظر إلى حياة السيد المسيح نظرةً خياليةً
تماماً تكفى لإضحاك سلحفاتين معمرتين لمدة ألف
عام على الأقل وبعد أن تكونا قد أنقلبتا على ظهريهما فى
محاولةٍ بائسةٍ لاسترداد ما يمكن أن يسميانه بالوعى
الكونى للخلايا بينما كان دون كيشوت بطلاً
واقعياً بل أكثر واقعية من الواقعيين أنفسهم وذلك
نظراً ليقينه الراسخ وعقيدته الثابتة والتي تتبنى على
أن العالم كله مجرد خيال

خامساً

لم يكن دون كيشوت أبداً بائع خردة ولا تاجر عاديات
لم يكن له كذلك أن يقف تحت شرفة حبيبته لعدة
ساعات ليغنى لها على الجيتار بعض قصائد الغزلِ
الأندلسية وأغنيات الفجر الدبقة
– كان ذلك الراعى الأسمر والذى لوحته الشمس لعدة
آلاف من الأميال ومن فرط ما أصابته الحمى ظلّ يهذى
لسنوات عدة عن صورةٍ واحدةٍ ظلت تطارد أحلامه الإفريقية
كفقاعةٍ من صابونٍ فوق سطح بحر –

لقد كانت تلك الصورة للسيدة مريم العذراء
وهى تمسك بيديها اللدنتين الجميلتين غلالة السيد
المسيح البيضاء على ظهر الحمار الذى يركبانه وربما للمرة
الألف فى رحلة شاقة عبر صحراوات متوحشةٍ وصارية
بينما
كان يوسف النجار بقدميه العاريتين
اللتين تدبقتا من السير فوق الحصى
ورؤوس الشوك النفاذة
قد أخذ يغذ الخطى بتؤدة
وأناةٍ كاملتين
مؤمناً إيماناً راسخاً بالخلاص والمحبة
وربما أمكن للسيدة العذراء أن تربت على كتفيه
فى نهاية المطاف
أو تمنحه حتى نظرة وادعة ليحتفظ بها عبر سنواته
المتبقية كتذكارٍ أكيدٍ و لا ينسى!!
إلا أن دون كيشوت وهو يمسك بسيفه الخشبى
ومن خلفه السيد سانشوبانزا
كان يؤمن إيماناً كاملاً بأن السيدة مريم العذراء
سوف تمنحه البركة النهائية وربما تصلى من أجله
لكى يحل السلام على روحه القلقة
وذلك بعد أن يكون قد انتهى تماماً ونهائياً من قتال
الأعداء وواضعاً سيفه الخشبى تحت شرفة حبيبته
كاستراحةٍ أخيرةٍ للمحارب الذى أفنى معظم سنواته
الماضية فى نضالٍ أكيدٍ ضد الأعداءِ والشر.

الكتاب الثالث

ملح جاف فوق إبرة الحقل